

كلمات ونفحات داعية

الجزء الثاني

الكاتب الإسلامي المصري

سيد مبارك



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات ونفحات داعية

الجزء الثاني

الكاتب الإسلامي المصري
سيد مبارك

فهرس مقالات الجزء الثاني

****

مقدمة الكاتب

إن الحمد لله، نَحْمده ونستعينه، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربّي وسلامُه عليه، وعلى آله وصَحْبه أجمعين.

أما بعد..

هذا هو الجزء الثاني ولله الحمد والمنة يضم مجموعة من المقالات المتنوعة المنشورة لي علي الانترنت علي موقع الألوكة وغيره كتبتها علي مراحل وأخذت مني الوقت والجهد الكثير . جمعتها في كتاب واحد مع الاستمرار في جمعها في أجزاء أخري كلما تيسر لنفيد ونستفيد .

فمن شاء نشرها كمقالات فبها ونعمت ومن شاء نشرها ككتاب تحت العنوان المختار "كلمات ونفخات داعية "فليفعل كل ما نريده إعطاء الفضل لأهله فتنشر بأسمى لحفظ حقوقي الفكرية ومن نشرها فهو في حل مني عن أي حقوق مادية فهي حق لكل مسلم سواء للدعوة أو التجارة والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

وكتبه/ سيد مبارك
كاتب وداعية إسلامي مصري

١
فوائد الرضاعة الطبيعية

الحمد لله ربّ العالمين وكفى، والصَّلاة والسلام على النبي المصطفى - صلَّى الله عليه وسلَّم.-

وبعد:

في القرن الواحد والعشرين خرجتِ المرأةُ للعمل ومنافسةِ الرَّجلِ؛ حبًّا في المساواةِ أو للتسليةِ أو لضرورياتِ المعيشة الصعبة وضيق ذاتِ اليد، وما أشبه ذلك، وبالتالي أهملتِ الرَّضاعةَ الطَّبيعية لطفلها إلا في فتراتٍ قليلة بعد عودتِها من العمل، ونشأ طفلُها على الرَّضاعة الصناعية التي تضرُّه أكثرَ مما تنفعُه، والرَّضاعةُ الطبيعية هي أسهلُ وأكثر الطُّرق الطبيعية إشباعًا لاحتياجات الطِّفل غذائيًّا وعاطفيًّا، لذا يجبُ على الأمِّ إرضاعُ الطِّفلِ بعد ولادتِه مباشرةً في أسرع وقت ممكن؛ لأنَّ غريزةَ الامتصاصِ عند الطِّفلِ تبلغُ أقصاها في ذلك الوقتِ، كما أنَّ الرَّضاعة تساعدُ على سرعةِ عودةِ الرَّحمِ إلى وضعِه الطبيعي، وتقلِّلُ من التَّزيفِ - بإذن الله.

أهمية الرَّضاعة الطبيعية للطفل:

لأهميةِ الرَّضاعة الطبيعيةِ حثَّ ٱللَّه - تعالى - الأمهاتِ على إرضاع أطفالهنَّ الصِّغار مما وهبهنَّ الله من اللَّبن في أثدائهنَّ؛ قال - تعالى-: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) -البقرة : ٢٣٣؛ قال ابن كثير في تفسيرها: "هذا إرشادٌ من الله - تعالى - للوالداتِ أن يُرضعنَ أولادَهنَّ كمال الرَّضاعة، وهي سنتان، فلا اعتبارَ بالرَّضاعةِ بعد ذلك؛ ولهذا قال :(لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)، وذهب أكثرُ الأئمَّةِ إلى أنَّه لا يحرم من الرَّضاعة إلا ما كان دُون الحولَيْن".اهـ.

وفي السنةِ الصَّحيحةِ عن جدامة بنتِ وهبٍ الأسدية أنها سمعتْ رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقولُ: "لقد هممتُ أن أنهى عن الغِيلةِ، حتَّى ذكرتُ أنَّ الرُّومَ وفارس يصنعون ذلك فلا يضرُّ أولادَهم"؛ رواه مسلم.

قال مالك في الموطَّأ والأصمعي وغيرُه من أهل اللُّغةِ في تعريف"الغِيلة": أن يجامعَ الرجلُ امرأتَه وهي مرضع، يُقال منه: أغال الرجلُ وأغيل: إذا فعل ذلك.

قال العلماء: "سببُ همِّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - بالنَّهي عنها أنَّه يخافُ منها ضررَ الولدِ الرَّضيع، قالوا: والأطباءُ يقولون: إنَّ ذلك اللبنَ داءٌ والعربُ تكرهُه وتتقيه، وفي الحديثِ جوازُ الغيلة، فإنَّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - لم ينه عنه، وبيَّن سببَ ترك النهي". اهـ.-1-

ومما سبق يتبينُ عظمةُ وصيةِ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - واستحبابه أن يتركَ الرَّجلُ جماعَ الزوجةِ أثناء فترةِ الرَّضاعة؛ لأنَّه يُضعِفُ من لبن الأمِّ، ولكنَّه أباح ذلك، فكان نهيُه نهي إرشادٍ وتوجيه إلى الأفضل.

•يقول" رونالد وسينثيا الينجورث "في كتابِه الرضع والأطفال الصِّغار-2-: " إنَّ الأطفالَ الذين يعتمدون على الرَّضاعةِ الصناعية أكثرُ تعرضًا للأمراضِ من الأطفالِ الذين يعتمدون على الرَّضاعةِ الطبيعية".اهـ، وأكَّدتْ منظمةُ" اليونيسيف "للطفولةِ أنَّ الطفل الذي يتلقَّى رضاعةً طبيعية في أيِّ بلدٍ من البلدان النامية تكون احتمالاتُ بقائِه على قيدِ الحياة أكبر بحوالي ثلاث مرات، مقارنةً بالطِّفلِ الذي لا يتلقَّى رضاعةً طبيعية، وقالت" آن م. فينمان "المديرةُ التنفيذية لليونيسف - سابقًا-3-- بمناسبةِ الأسبوع العالمي لتشجيع الرَّضاعة الطبيعية: "إنَّ الأسبوعَ العالمي للرَّضاعةِ الطبيعية يمنحنا فرصةً للدعوةِ إلى وسيلةٍ بسيطةٍ للغاية لإنقاذ أرواح الأطفال، ومع أنَّ معدلاتِ الرَّضاعةِ الطبيعية تتزايدُ في العالَمِ النَّامي، فإنَّ التقديراتِ تشيرُ إلى أنَّ ٦٣ في المائة من الأطفالِ الذين لا تتجاوزُ أعمارُهم ٦ أشهر، ما زالوا لا يرضعون بدرجةٍ كافية".اهـ.

فوائد الرَّضاعة الطبيعية:

لا شكَّ أنَّ حليبَ الأمِّ يحتوي على كلِّ الموادِّ الغذائية التي يحتاجُها جسمُ الطفل وبالكمياتِ الملائمة، وثبتَ عند الأطباءِ وعلماءِ التغذية أنَّ للبنِ الطَّبيعي للأمِّ فوائدَ جمَّة، نذكرُ منها:

١-غذاءٌ نظيف وآمن، يدركُه الطفل بلا عناء.
٢-يلبي كافّةَ المتطلباتِ الغذائية للطِّفلِ في الأشهر الأولى من حياتِه، ولمدى سنتين أو أكثر.
٣-يحتوي على عناصرَ طبيعيةٍ ضدَّ الجراثيم، كما يشتملُ على حمايةٍ ووقاية هائلة.
٤-يتميَّزُ بسهولةِ الهضمِ، وسرعة التمثيلِ سواء من قبل الأطفال العاديين أو المبتسرين.
٥- يعمِّقُ العَلاقةَ العاطفية الحميمة بين الأمِّ وطفلِها، وهذا مردُّه إلى العلاقةِ النَّفسية التي تحدثُها عمليةُ الرَّضاعة.
٦- تساعدُ ظاهرةُ المصِّ على تقويةِ الفكَّيْن لدى الطِّفل، وظهور الأسنان سريعًا.
٧- يحمي حليبُ الأمِّ الطِّفلَ من السِّمنةِ والبدانة.
٨- يمنع سوءَ التغذية وكثيرًا من المشاكلِ الصِّحية.
٩-يتضمَّنُ أمورًا كيميوحيوية تكسبُ الطِّفلَ مناعةً طبيعية ضدَّ كثير من الأمراض.
١٠-تساعد عملية الرَّضاعة على المباعدةِ بين ولادةِ طفلٍ وآخر؛ إذ يقلُّ وينخفض تعرضُ الأمِّ للحملِ أثناء الرَّضاعة.
١١-إنَّ لبن الأمِّ اقتصادي، ويخفِّف الأعباءَ عن كاهلِ الأسرة والمجتمع.
١٢-الأطفالُ الذين ينعمون بالرَّضاعةِ الطبيعية لا يقعون فريسة الحساسية المفرطة.
١٣- تسلمُ الأمهاتُ اللاتي يُرضِعْنَ أطفالَهنَّ رضاعةً طبيعية من مخاطر التعرُّضِ لمرض سرطان الثدي.
١٤-إنَّ الرَّضاعةَ الطبيعية تسهمُ في المحافظةِ على وزن الأمِّ، وعدم تعرضها للبدانة والسِّمنة.
١٥-حمايةُ الأطفالِ من التعرُّضِ لمرض التهاب القولون الحاد.
١٦-حليبُ الأمِّ هو أفضلُ وأنظف وأنقى طعامٍ يتذوقُه الرَّضيع، وإذا ما ظهرتْ أعراضُ الحساسيةِ عند الرَّضيع فهذا ناتجٌ عن تسرُّبِ بروتين خارجي في غذاءِ الأمِّ، وليس من حليبِ الأمِّ نفسِه، فعلى الأمِّ مراقبةُ أكلِها، والامتناع عن الأشياءِ التي يمكنُ أن يتحسس منها طفلُها.اهـ-4-
.

وبعد كلِّ هذا ينبغي للأمِّ ألا تهمل حقَّ طفلِها في الرَّضاعة الطبيعية، ولا تتحجَّج بالعملِ، أو أنَّ هذا يقيدُ حريتَها ويلزمها للجلوس في البيت وما أشبه ذلك، فكلُّ هذه المعاذير باطلةٌ؛ لأنَّ رعاية الطِّفلِ أهمُّ شرعًا وعرفًا، وكفى بقولِ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ففي الصَّحيحين: "ألا كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه، فالأميرُ الذي على النَّاسِ راع، وهو مسؤول عن رعيتِه، والرَّجلُ راعٍ على أهلِ بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بعلِها وولدِه، وهي مسؤولةٌ عنهم، والعبدُ راعٍ على مالِ سيدِه، وهو مسؤول عنه، ألا فكلُّكم راعٍ مسؤول عن رعيتِه(؛ واللفظ لمسلم.

وٱللَّه من وراءِ القصدِ، وهو يهدي السبيل.

1-انظر شرح المنهاج لصحيح مسلم للإمام النووي، وموطأ الإمام مالك، حديث رقم: (١٢٨٨(، (ص: ٣٢٤) بتصرف يسير.
2-الرضعُ والأطفال الصغار لرونالد وسينثيا الينجورث، ترجمة فردوس عبدالحميد، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧م.
-3--موقع منظمة اليونيسيف للطفولةِ على الرابط التالي http://www.unicef.org/arabic/ :ومديرها التنفيذي الآن أنتوني ليك.
4-نقلاً من موقع www.6abib.com/baby عن فوائد الرَّضاعة بقلم: . فضة جساس؛ استشارية دولية في الرَّضاعة لطبيعية بمركز ككون الطبي في الشارقة.

كيف تعالج نسيان القرآن؟

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على النبيِّ الأمين، صلَّى الله عليه وسلَّم، وبعد:
فمَن أراد حِفظَ القرآن وعدَم نسيانه، فعليه أن يلتمسَ عِدَّة وسائل ثبتتْ فائدتها بالتجربة في إعانةِ حافظ القُرآن على حفظه وعدم نِسيانه، وأذكُر هنا الكثيرَ منها، وأكثرها شيوعًا بيْن حَفَظة القرآن والله المستعان:
الوسيلة الأولى: إخلاص النيَّة لله تعالى:
قال تعالى :(وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) -البينة: ٥

•وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: "إنَّما الأعمالُ بالنيَّة، وإنَّما لامرئٍ ما نوَى، فمَن كانتْ هِجرتُه إلى الله ورسوله، فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومَن كانتْ هجرته لدُنيا يُصيبها أو امرأة يتزوَّجها فهجرتُه إلى ما هاجَر إليه"؛ أخرجه البخاري في بَدء الوحي ح/١، ومسلم في الإمارة ح/١٩٠٧.

الوسيلة الثانية: أن يتخيَّر الرفقة الصالحة مِن حملة القرآن:
الرفقة الصالِحة مِن حَملة القرآن تُعين مريد القرآن على استمرار تعلُّقه بكِتاب الله وعدَم هجْره ونسيان شيءٍ منه؛ لأنَّ حافزَهم مشترك، فكما أنَّه يجب على من يَبتغي إتقانَ حفظ القرآن أن يتلقَّى ذلك على يدِ معلّمٍ حافظ متقِن لأحكامه، كذلك يَنبغي لمريدِ القرآن أن يلتمس الرفقة الصالحة مع مَن هو مثله عالي الهمَّة، يجود بوقته وجهده وماله في سبيلِ حِفظ القرآن وتدبُّره، ودراسة عجائبه، وفَهم أسراره وتفسيره.

وكل ذلك شرَف لا يُدانيه شيءٌ أبدًا، هذا فضلاً عن الثواب العظيم لحمَلة القرآن في الدُّنيا والآخِرة، أمَّا الصُّحْبة السيِّئة التي تُلهي المريد عن القرآن والطاعة، وتضيِّع الوقت في اللهو واللعب، فذلك هو الخُسران المبين في الدنيا والآخِرة؛ قال تعالى :(الْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ) -الزخرف: ٦٧، وقال النبي: "الرَّجلُ على دِين خليله فلْيَنْظُر أحدُكم مَن يخالل"؛ أخرجه الترمذيُّ في الزهد ح/٢٣٧٨، وحسَّن الألباني إسنادَه في السلسلة الصحيحة ح/ ٩٢٧.

الوسيلة الثالثة: اجتناب أكْل الحرام والشُّبهات:

أكْل الحرام والشُّبهات يُسقِم القلْب، فلا يفقه صاحبه قولاً، ولا يقْدِر على التلقِّي والاستيعاب أبدًا، لماذا؟

لأنَّ حياةَ القلْب في افتقاره إلى الله تعالى، فإذا صلَح صلَحتْ سائرُ الأعضاء، وإذا فسَد فسدتْ سائر الأعضاء، ومَن أكَل الحرام والشُّبهات فقدْ أمات قلبَه، وباء بسخط الله تعالى؛ لأنَّ الله طيِّب لا يَقبل إلا طيبًا.

•وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله: "أيُّها الناس، إنَّ الله طيِّب لا يَقبل إلا طيِّبًا، وإنَّ الله أمَرَ المؤمنين بما أمَر به المرسَلين، فقال :(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) -المؤمنون: ٥١، وقال :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) -البقرة: ١٧٢، ثم ذكَر الرَّجُل يُطيل السفر أشعثَ أغبرَ، يمدُّ يديه إلى السماء يا ربِّ، يا ربِّ، ومطْعَمه حرام، ومشْرَبه حرام، وملبَسُه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك؟!))؛ أخرجه مسلم في الزكاة ح/١٠١٥، والترمذي في تفسير القرآن ح/٢٩٨٩.

الوسيلة الرابعة: التواضع للمعلِّم وعلو الهمَّة في التلقِّي والحفظ:

التواضُع للمعلِّم والتأدُّب معه وإنْ كان أصغرَ سنًّا ومنزلةً مِن المتعلِّم، والاستماع إلى تلاوته بخشوع وتدبُّر - أمرٌ ضروري لِمَن يبتغي أن يكونَ مِن حَملة القرآن، ويجب أن يختار مريدُ القرآن شيخَه بعناية، بأن يكون حافظًا متقنًا لأحكام التلاوة.

ولا ريبَ أنَّ التعلُّم والحفظ عن طريق الاستماع والمشافَهة على يدِ معلِّم متقن، هو الوسيلة المُثلَى لمن يُريد إتقان حِفظ القرآن، وهذه هي طريقةُ سلفنا الصالح، وحتى يومنا هذا، فقد أخَذه الصحابة مِن الرسول، والتابعون مِن الصحابة وهكذا، والنبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أخَذ القرآن شفاهًا مِن جبريل - عليه السلام - وكان يتدارَس معه القرآن في كلِّ سَنة مرَّة، وفي العام الذي قُبض فيه مرَّتين.

•وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان يُعرَض على النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم القرآن كلَّ عام مرة، فعُرض عليه مرَّتين في العام الذي

قُبض فيه، وكان يعتكف كلَّ عام عشرًا، فاعتكف عشرين في العام الذي قُبِض فيه"؛ أخرجه البخاري في فضائل القرآن ح/٤٩٩٨.

ويجب التنبيه هنا على أنَّ الاعتماد على النَّفْس دون معلِّم خطأ كبير، وقد قيل: لا تأخُذِ العلم مِن صُحفي - أي: من الذي تعلَّم مِن الصحف (الكتب) - ولا القرآن مِن مُصحَفي؛ أي: لا تقرأ لنفسك دون الاستعانة بقارئٍ متقن.

قال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق في "القواعد الذهبيَّة":

يجِب على الحافِظ ألا يعتمد على حِفظه بمفرده، بل يجب أن يعرض حفظه دائمًا على حافِظ آخَر، أو متابِع في المصحَف، حبَّذا لو كان هذا مع حافظ متقِن؛ وذلك حتى ينبِّه الحافظ بما يُمكن أن يدخل في القِراءة مِن خطأ، وما يُمكن أن يكونَ مريد الحِفظ قد نسِيَه مِن القراءة، وردَّده دون وعي، فكثيرًا ما يحفظ الفردُ منا السورة خطأً، ولا ينتبه لذلك حتى مع النَّظَر في المصحَف؛ لأنَّ القِراءة كثيرًا ما تسبق النظر، فينظر مريدُ الحفظ إلى المصحف ولا يرَى بنفسه موضعَ الخطأ مِن قراءته؛ ولذلك يكون تسميعه القرآن على غيره وسيلةً لاستدراك هذه الأخطاء، وتنبيهًا دائمًا لذهنه وحفظه. اهـ.

قلتُ :وكذلك حِفظ القرآن والمحافَظة على تذكُّره وعدم نِسيانه يحتاج لعلوّ همَّة، ومتابعة دائمة، والمواظبة في الحِفظ، وجهاد النفس بالصبر والتحمُّل، وكل ذلك مِن صفات القلب السليم الذي يسْمو بصاحبه في رحاب آيات القرآن مِن أوامر وزواجِر، وترهيب مِن النار، وترغيب في الجنة، فيَهاب كلام الله تعالى، وترتوي نفْسُه من نبع القرآن وبلاغته وعجائبه، وكل ذلك لن يتحصَّل إلا بالخشوع وعلوّ الهمَّة.

أمَّا القلْب المتكبِّر اللاهي عن سماع القرآن وتدبُّره فقلب صاحبه يستحيل عليه حِفظ واستيعاب القرآن قطعًا، فإنْ كان ضعيف الهمَّة مشغولَ القلب بالدنيا وزينتها، يقاتل مِن أجلها، ويرتكِب المحرَّمات، فلن يكون مِن حَمَلَة القرآن، وإنَّما مِن حَملة متاع الدنيا الزائل، اللهمَّ إلا إذا أفاق مِن غفلته وتاب وأناب إلى الله، وجاهد نفسه وشيطانه، وزاد مِن همَّته وعلا بها، وخشَع بجوارحه كلها لله ربِّ العالمين.

الوسيلة الخامسة: تحديد نِسبة الحفظ اليومي وعدم تجاوُزه:

إنَّ مِن الوسائل الفعَّالة لإتقان الحفظ وعدم نسيانه: أن يلتزمَ المريد بجدولٍ يسيرٌ عليه ولا يتجاوز وردَه المقرَّر حفظه في اليوم؛ حتى لا يُشتِّت نفسه ويختلط عليه الحفظ ويلبس عليه الشيطانُ استحالةَ قُدرته على الحفظ، ويضعف همته وحماسته فيهجر القرآن.

وإذا كان الأمْر كذلك فيَجب على مُريد القرآن أن يتروَّى ويتقيَّد بجدولٍ للحفظ، أو بما يُمليه عليه شيخُه ومعلِّمه، ولا يتعدَّى ذلك أبدًا؛ حتى لا ينساه ويشق عليه الحفظ، والأفضل له تلاوةُ ما حَفِظه وتردِيده وتكريره مرَّات ومرَّات في ذَهابه وإيابه، في ليله ونهاره، يُسمِع نفسه أو غيره، وليكن عاليَ الهمَّة، ويجتهد كي يختم القرآن كله إنْ شاء الله تعالى.

الوسيلة السادسة: المحافظة على الحِفظ من مصحَف واحد:

مِن البدهي أن تَكرار النظر للشيء يساعِد على تصوره، فكما أنَّ المرء يحفظ عن طريق الاستماع كذلك الحال عن طريق النظر، ومَن حافظ على الحِفظ مِن مصحف واحِد خاصٍّ به ولم يحفظ مِن غيره، اللهم إلاَّ إذا كان مصحفًا مشابهًا له في الكتابة ومكان الكلمات، فإنَّ ذلك ييسِّر له أمْر الحفظ؛ لأنَّ صُوَر الآيات والكلمات تظلُّ عالقةً بذهنه مِن مُداومة النظر، وذلك أمر قد دلَّت على أهميته وفائدته العظيمة تجاربُ الكثير مِن حملة القرآن.

الوسيلة السابعة: معرفة تفسير الآيات وفهمها:

فَهم معنى الآيات التي يحفظها مريدُ القرآن وتفسيرها يُسهم قطعًا في سهولة حِفظها، والعكس صحيح؛ لأنَّ مَن استغلق عليه فَهم معنى آية وجَد مشقَّةً في حفظها؛ يقول الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق في "القواعد الذهبية":

مِن أعظم ما يُعين على الحفظ فَهمُ الآيات المحفوظة، ومعرفة وجه ارتباط بعضها ببعض.

ولذلك يجِب على الحافظ أن يقرأَ تفسيرًا للآيات التي يُريد حفظها، وأن يعلَم وجه ارتباط بعضها ببعض، وأن يكون حاضرَ الذِّهن عندَ القراءة؛

وذلك ليسهلَ استذكار الآيات عليه، ومع ذلك فيجِب أيضًا عدمُ الاعتِماد في الحِفظ على الفهم وحْده للآيات، بل يجب أن يكونَ الترديدُ للآيات هو الأساس؛ وذلك حتى ينطلق اللِّسان بالقراءة وإن شتَّ الذهن أحيانًا عن المعنى، وأمَّا مَن اعتمد على الفَهم وحْدَه فإنَّه ينسى كثيرًا، وينقطع في القراءة بمجرَّد شتات ذِهنه، وهذا يحدُث كثيرًا، وخاصَّة عندَ القراءة الطويلة. اهـ.

الوسيلة الثامنة: معرفة المتشابه والعناية به:

تَشابُه الآيات مِن حيث الألفاظ التشابه اللفظي في معانيها وكلماتها في القرآن الكريم قد يشقُّ على حافظ القرآن ويُعرِّضه للخطأ، ويجد نفْسه قد أدْخل في ترتيله آياتٍ من سورة في سورة أُخرى؛ لتشابه آية فيهما إلى حدٍّ كبير تشابهًا لا يختلف إلا في كلمة أو اثنتين، أو أكثر أو أقل.

ومِن ثَم ينبغي أن يعتني بمثل هذه الآيات المتشابهة في الألفاظ، ومثال ذلك:

• قوله تعالى :(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) -البقرة: ٥٨، فهي تتشابه مع قوله تعالى :(وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) -الأعراف: ١٦١.

وهذا واضحٌ جلي عندَ النظر والتأمُّل، والحِرْص والحذَر مِن هذا التشابه قد يكون سهلاً وهيِّنًا عندَ البعض، ولكنَّه قد يشقُّ على غيرهم، والأمر هنا راجع إلى مريدِ القرآن نفْسه في اتِّخاذ ما يعينه على الانتباه.

وهناك مِن حَفَظة القرآن مَن يضَع جدولاً يسجِّل فيه الآيات المتشابهة في الألفاظ، مبيِّنًا بعض الكلمات المختلفة وبجوارها السورة الخاصَّة بها كدليلٍ لعدم الخلط، ولنطبق ذلك على الآيتين السابقتين آنفًا كمثال تطبيقي:

• في سورة البقرة تبدأ بقوله تعالى :(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا) -البقرة: ٥٨-.

•وفي سورة الأعراف تبدأ بقوله تعالى :(وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا)-الأعراف: ١٦١
والاختلاف هكذا واضحٌ جليٌّ رغمَ التشابه اللفظي، وتسجِّل بداية كلّ آية مِن الآيتين أمامَ السُّورة التي تخصُّها في الجدول؛ ليكون مرجعًا لعدمِ الخلط بيْن الآيتين.

مثال آخر: قال تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة: ٦٢

تتشابه مع قوله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) -المائدة: ٦٩، ففي سورة البقرة قال تعالى :(وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ) -البقرة: ٦٢، وفي سورة المائدة قال تعالى :(وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى) -المائدة: ٦٩، فتسجيل هذا الاختلاف وأشباهه في جدول يبيّن هذه في سورة كذا، وهذه في سورة كذا، وهذا أمرٌ يُسهم في حلّ هذا الإشكال الذي يشقُّ على البَعض عندَ حِفظه للقرآن الكريم، وهناك حلولٌ أخرى، وكلُّها تخضع لقُدرة مريد القرآن نفسه وطريقته الخاصّة، وما ذكرناه هنا هو للتنبيهِ والعناية بالمتشابهات اللفظية في الآيات، والله المستعان.

الوسيلة التاسعة: الاستماع الدائم للقرآن والتجاوب مع قارئه:

مَن يُكثر مِن الاستماع إلى القرآن سواء عن طريق شرائط الكاسيت، أو عن طريق الإذاعة أو ما أشبه ذلك، وخصوصًا للسُّور أو الآيات التي تمَّ حفظها مع التجاوب والترتيل مع القارئ ومتابعته بصوت يسمع به نفسه لأَمرٌ يُساعد على الحفظ الجيد، وحبَّذا لو يستمع مريدُ القرآن لقارئ واحِد؛ حتى يتجاوب مع طريقته في الترتيل.

وقد يقول قائل: ولكن الترتيل مع القارئ وعدم الإنصات محذورٌ؛ لقول تعالى :(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) -الأعراف: ٢٠٤، نقول: الأمر هنا خاصٌّ بالصلاة لعدمِ التشويش على الإمام، أمَّا في غير الصلاة فمباح إنْ شاء الله؛ لقول رسولِ الله صلَّى

اللّه عليه وسلّم: "إنّما جُعِل الإمام ليؤتمّ به، فإذا كبّر فكبِّروا، وإذا قرأ فأنصِتوا"؛ أخرجه النّسائي في الأذان بلفظه، وحسّن الألباني إسنادَه في صحيح سنن النسائي ح/٩٢٢.

الوسيلة العاشرة :لا يَنتهي المريد مِن سورة حتى يربط أولها بآخرها:
وهذه قاعدةٌ ذهبيَّة مِن قواعد حفظ القرآن؛ قال عبدالرحمن عبدالخالق في رسالته" القواعد الذهبية لحفظ القرآن "ما نصه:
بعدَ تمام سورة مِن سور القرآن لا يَنبغي للحافظ أن ينتقلَ إلى سورة أُخرى إلا بعد إتمام حِفظها تمامًا، وربْط أوّلها بآخِرها، وأن يجري لسانه بها بسهولة ويُسر، ودون عناء فِكر وكدٍّ في تذكُّر الآيات، ومتابعة القراءة، بل يجب أن يكونَ الحفظ كالماء، ويقرأ الحافظُ السُّوَر دون تلكُّؤ حتى لو شتَّ ذِهنه عن متابعة المعاني أحيانًا، كما يقرأ القارئ منَّا فاتحةَ الكتاب دون عَناء أو استحضار؛ وذلك مِن كثرة ترداده وقراءتها، ومع أنَّ الحفظ لكلِّ سور القرآن لن يكونَ كالفاتحة إلا نادرًا، ولكن القصد هو التمثيل، والتذكير بأنَّ السورة ينبغي أن تُكتب في الذهن وحدةً مترابطة متماسكة، وألا يجاوزها الحافظ إلى غيرها إلا بعدَ إتقان حفظها. اهـ

قلت :ولا شكَّ أنَّ مثل هذه العناية بالمراجعة والمتابعة أمرٌ جدير بالعناية، وإهمال هذا الأمر يؤدّي حتمًا إلى نسيان القرآن.
•وعن أبي موسَى الأشعري رضي اللّه عنه عن النبي صلَّى اللّه عليه وسلَّم أنَّه قال: "تَعاهدوا القرآن، فوالذي نفْس محمَّد بيده لهو أشدُّ تفصيًا (أو تفلتًا) مِن الإبل في عُقلها"؛ أخرجه البخاري ومسلم.

الوسيلة الحادية عشرة: تخيُّر الأوقات المناسبة للقِراءة والحِفظ:
لا ريبَ أنَّ قِراءة القرآن مطلوبةٌ في كلِّ وقت فهو أفضلُ الأذكار، وسواء كان في الصلاة أو غيرها، والوقْت المناسِب للقراءة والحفظ عندما يكون مريدُ القرآن قادرًا على الاستيعاب والتلقِّي والنفس في حالة صفاء، ومثل ذلك يتحقَّق في أوقات كثيرة، وأفضله ما كان قبل الفجر وبعده.

وعمومًا الوقت يختلف مِن إنسان لآخر، فما يستطيعه إنسانٌ في وقتٍ ما قد لا يناسب غيره، وفي الأمْر سَعة - ولله الحمد والمِنَّة.

الوسيلة الثانية عشرة: أن يُصلي بما يحقَظ في الصلوات، وخصوصًا قيام الليل:

يَنبغي على مُريد القرآن أن يرتِّل ما يحفظه دومًا في كلِّ صلواته، وخصوصًا في القيام؛ لأنَّه بركَةٌ وشرَف للمؤمن.

قال تعالى :(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) -السجدة: ١٦ - ١٧

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: "عليكم بقِيام اللَّيْل فإنَّه دأبُ الصالحين قبلكم، وقُرْبة إلى الله تعالى، ومنهاةٌ عن الإثم وتكفير للسيّئات))، ومِن ثَمَّ فقيام الليل مِن أعظم الوسائلِ لعِلاج نِسيان القرآن، وهو أفضل قطعًا مِن تسميع المريد نفْسَه أو غيره ليطمئنَّ لقوَّة حِفظه واستيعابه.

ونكْتَفي بما ذكَرْنا مِن أهم الوسائل التي تُعين مريدَ القرآن على تدبُّره وحِفظه وعدم نِسيانه، والله مِن وراء القصْد، وهو يَهدي السبيل.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/33500/#ixzz5h0rSZNuL

٣

الوصايا الذهبية الخمسة للنساء

إنَّ الحمدَ للّه نحمَدُه، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه مِن شرور أنفُسنا وسيّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِه اللّه فهو المهتدِي، ومَن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:
فهذه بعض مِن الوصايا الذهبيّة لِنساء الأمَّة، أحثهنّ على العمل بها؛ فإنها تجمع لكلِّ امرأة مؤمِنة باللّه تَعالى خيرَ الدنيا والآخِرة، واللّه المستعان:

الوصية الأولى :حذار من التشبُّه بالرجال:
-عن ابن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: "لعَنَ رَسولُ اللَّهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم - المُتَشَبِّهينَ مِن الرّجالِ بالنِّساء، والمتشبِّهاتِ مِن النساء بالرّجال"؛ أخرجه البخاري في اللباس (٥٨٨٥)، والترمذي في الأدب.

-قال الحافظ في "الفتح":
قال الطبريُّ: المعنى: لا يَجوز للرّجال التشبهُ بالنِّساء في اللباس والزّينة التي تختصُّ بالنِّساء ولا العَكْس.

قلتُ: وكذا في الكلام والمشي، فأمَّا هيئةُ اللباس فتختلِف باختلافِ عادة كلّ بلد، فرُبَّ قوم لا يفترق زيُّ نسائهم من رجالهم في اللبس، لكن يمتاز النِّساء بالاحتجاب والاستتار، وأمَّا ذمُّ التشبُّه بالكلام والمشي فمختصٌّ بمن تعمَّد ذلك، وأما مَن كان ذلك مِن أصلِ خلقته، فإنَّما يُؤمَر بتكلف تركه والإدمان على ذلك بالتدريج، فإن لم يفعلْ وتمادى دخلَه الذم، ولا سيَّما إنْ بدا منه ما يدلُّ على الرّضا به، وأخْذ هذا واضح من لفظ المتشبهين". اهـ.

وقال ابن القيم:

والمرأة المتشبِّهة بالرّجال تكتسب مِن أخلاقهم حتى يصيرَ فيها مِن التبرُّج والبروز ومشابهة الرّجال ما قد يُفضي ببعضهنَّ إلى أن تُظهرَ بدنها كما يُظهره الرجلُ، وتطلب أن تعلوَ على الرّجال كما يعلو الرّجال على النِّساء، وتَفعَل مِن الأفعال ما يُنافي الحياءَ والخفر المشروع للنِّساء، وهذا القَدْرُ قد يحصل بمجرد المشابهة. اهـ.

-ولعلَّ مِن السلوكيَّات الخاطِئة والمحرَّمة المنتشرة بيْن النساء في عصرنا هذا هو التشبُّه بالرّجال في الملبس، وبصفةٍ خاصَّة في ارتدائهنَّ للبنطلونات، وسواء كانتْ ضيِّقة مجسِّمة للعورة أو واسعة، فهي عليهنَّ حرامٌ، ومَن تَرتديه تدخل تحتَ الحديث الصحيح: "صِنفان مِن أهل النار لم أَرَهما: قومٌ معهم سِياط كأذنابِ البَقر يَضربون بها النَّاس، ونِساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلات مميلات، رُؤوسهنَّ كأسنمةِ البُخت المائِلة لا يدخُلنَ الجنة ولا يَجِدْنَ ريحها، وإنَّ ريحها ليوجَدُ مِن مسيرة كذا وكذا"؛ أخرجه مسلمٌ في اللباس والزينة (٢١٢٨)

فنَصيحتي للنِّساء المؤمنات أن يتَّقين الله - عزَّ وجلَّ - وأن يَحرصْنَ على الزّي الإسلامي الساتِر.

الوصية الثانية :الحجاب قبل الممات:

معشر النساء، الحِجاب، وما أدراكنَّ ما الحجاب؟!

إنَّه تاجٌ على رُؤوسكن، إنَّه دليلُ الطهارة والعفاف والحياء، إنَّه طاعةٌ للخالق الوهَّاب.

وآية الحِجاب نزلتْ سنة ثلاث، وقيل: خمس، حين بنَى النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - بزينب بنت جحش - رضي الله عنها - كما في ترجمتها مِن "الإصابة"، وكذلك في قِصَّة زواجها في "البداية والنهاية" لابن كثير (٤/ ١٥٥).

وقدْ فرَض الله فيها الحجابَ على نِساء المؤمنين، فقال تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) -الأحزاب: ٥٩-.

وفي "تفسير السعدي" عندَ شرْحه لهذه الآية قال ما نصُّه (١٢٢/٦):

هذه الآية هي التي تُسمَّى آية الحجاب، فأمَر الله نبيَّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - أن يأمُرَ النساء عمومًا ويبدأ بزوجاتِه وبناتِه؛ لأنهنَّ أكثرُ مِن غيرهنَّ، ولأنَّ الأمر لغيره يَنبغي أن يبدأ بأهله قبلَ غيرهم، كما قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) -التحريم: ٦، وقال تعالى :(وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) -النور: ٣١.

ومِن هذه الأدلَّة القرآنية فقط يتبيَّن أنَّ الحجاب فرضٌ لا عادة ولا حرية شخصيَّة يخضع لهوى النساء، مَن شاءتْ أن تلبسَه فعلَتْ، ومَن لم تشأْ لم تفعلْ، وليس بلازم لها!

كلا! فالتي لا تلبسُه مِن النساء امرأة عاصية إنْ كان ترْكها إياه عن إقرار بفرضيته، أمَّا لو كان اعتقادها أنَّه حرية شخصية مع إنكار فرضيتِه فهذه حُكمها هي ومَن هنَّ على شاكلتها مِن النساء والرّجال معروف، ولا حاجةَ لبيانه هنا؛ لأنه نفْيٌ لثوابت معلومةٍ بالدِّين بالضرورة.

هذا مِن جهة الحجاب نفْسِه، أمَّا من جهة شروطه الشرعيَّة، وهي ما يَعنينا لبيان خطأ النساء في جعْله على الموضة السارية، وليس على شروطه الشرعيَّة، وكان مِن عواقب جهْل بعض النساء وهنَّ كثيرات أن ظنَّتْ كلُّ من تغطي رأسها أنَّها محجَّبة حتى لو وضعتْ على وجهها المساحيقَ والأصباغ!

وأعجب مِن ذلك أن تَرى امرأةً ترتدي طرحةً تغطي شعرَها وفي الجزء الأسفل منها تَرتدي بنطلونًا يُجسِّم تقاطيع جسدِها أو (جِيبة) قصيرة تكشِف ما يجب عليها سترُه، ولا يمنع ذلك البتة مِن كونها محجَّبةً مطيعةً لله ورسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم!!

وتبعًا لهذا الفَهم الخاطِئ عن الحجاب والجهْل بشروطه الشرعيَّة عندَ النساء استغلَّه أهلُ الموضة والأزياء الذين لا رادعَ لهم مِن دِين أو قانون، وابتكروا أزياءَ للمحجَّبات لكلِّ المناسبات وعلى أحدثِ خطوط الموضة، وأغلبه لافتٌ للنظر وزينة في نفسه، ولا يَنطبِق عليه شروطُ الحجاب الشرعي، لا مِن قريب ولا مِن بعيد.

وأقول لأخواتي مِن النِّساء:
ليس للحجاب كتالوج باللون أو الشَّكْل أو المقاس، وإنَّما هي شروط شرعيَّة يجِب أن تتوفَّر فيه، فإنْ خالف الحجاب شرطًا مِن هذه الشروط فلا يكون عندئذٍ حجابًا، وها هي الشروطُ حتى لا تكون شمَّاعةُ الجهْل حُجَّةً للنساء للاستمرار في ارتدائهنَّ أحجبةً (مودرن)، والله المستعان:
-1استيعاب جميع البَدن إلاَّ ما استُثْني.
-2ألاَّ يكونَ زينةً في نفسه.
-3أن يكونَ صفيقًا لا يشفُّ.
-4أن يكون فضفاضًا غيرَ ضيِّق.
-5ألاَّ يكون مُبخَّرًا مطيبًا.
-6ألاَّ يُشبِه لباسَ الرجل.
-7ألاَّ يُشبه لباس الكافرات.
-8ألاَّ يكونَ لباسَ شُهرة.

الوصية الثالثة :حذار مِن الاختلاط الفاحش بالرّجال:

الاختلاطُ الفاحِش بين الجِنسيين أصبح في عصْرنا الحالي يُنبئ بانحطاطِ الأخلاق، وانهدام القِيَم والمبادئ وضيَاع للشَّرَف والكرامة، وللأسَف الشديد يُشجِّع الاختلاطَ، ويحثُّ عليه كثير ممَّن لا يتَّقون ربَّهم من أدعياء التقدُّم والتمدُّن، يُريدون بذلك أن تَشيعَ الفاحشة في الذين آمنوا، والله تعالى يقول :(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) - النور: ١٩.

هذا، وقد تفشَّى وعمَّ الاختلاط بيْن الجِنسين في جميع مجالات الحياة مِن مدارسَ وجامعاتٍ، ومؤسسات ومصانع، والعجبُ كلُّ العجب أنَّ المرأة المسلمة تَركتْ تعاليم دِينها إلى ما حرَّم الله من ابتذال وعُري،

وسُفور واختلاط فاحش، كما تفعل المرأةُ الأوربية شبرًا بشبر وذراعًا بذراع! بل إنَّ عقلاء الغرب ومفكِّريه حذَّروا المرأةَ عندهم مِن عواقب هذا الاختلاط المشؤوم، ومِن الاستماع إلى شِعاراتِ الحرية والمساواة دونَ مراعاةِ الفوارق الطبيعيَّة بيْنها وبين الرَّجل.

وأذكُر هنا بعضًا مِن أقوالهم عن عواقبِ المساواة وترْك المرأة للبيتِ؛ حتى يدركَ النساءُ المسلِمات عظمةَ دينهنَّ، والله المستعان:

قالتِ الكاتبة الإنجليزيَّة اللادي كوك: "إنَّ الاختلاط يألفُه الرجالُ؛ ولهذا طمعتِ المرأة بما يخالف فِطرتَها وعلى قدْر كثرةِ الاختلاط تكون كثرةُ أولاد الزّنا، وها هنا البلاءُ العظيم على المرأة، إلى أن قالت: علموهنَّ الابتعادَ عن الرّجال، أخبروهنَّ بعاقبة الكيدِ الكامِن لهنَّ بالمرصاد."

وقال شهوبنهور الألماني: "قل: هو الخَلل العظيم في تَرتيبِ أحوالنا الذي دَعا المرأة لمشاركةِ الرَّجل في علوّ مجدِه وباذخ رفعته، وسهَّل عليها التعالي في مطامِعها الدنيئة حتى أفسدتها المدنيَّةُ الحديثة بقُوى سلطانها ودَنيء آرائها."

وقال اللورد بيرون: "لو تَفكَّرتَ أيها المطالع فيما كانتْ عليه المرأةُ في عهد قُدماء اليونان، لوجدتَها حالة مُصطَنعة مخالفة للطبيعة، ولرأيتَ معي وجوبَ إشغال المرأة بالأعمال المنزليَّة مع تحسُّن غِذائها وملبسها فيه، وضرورة حجْبها عن الاختلاط بالغير."

وقال ساموِيل سمايلس الإنجليزي: "إنَّ النظام الذي يَقضي بتشغيلِ المرأة في المعامِل مهما نشَأ عنه مِن الثروة للبلاد، فإنَّ نتيجته كانتْ هادمةً لبناء الحياة المنزليَّة؛ لأنَّه هاجم هيكلَ المنزل، وقوَّض أركانَ الأسرة، ومزَّق الروابط الاجتماعية؛ فإنَّه يسلُب الزوجةَ مِن زوجها والأولادَ من أقاربهم، إذ وظيفةُ المرأة الحقيقيَّة هي القيام بالواجبات المنزليَّة؛ مثل: ترتيب مسكنِها وتربية أولادِها، والاقتصاد في وسائلِ معيشتها، مع القيام بالاحتياجات البيئيَّة.

ولكن المعامل تسلخها مِن كلِّ هذه الواجباتِ بحيث أصبحتِ المنازل غيرَ المنازل، وأصبحت الأولادُ تشبُّ على عدمِ التربية وتُلقى في زوايا الإهمال، وطُفِئت المحبَّة الزوجيَّة، وخرجتِ المرأة عن كونِها الزوجةَ الظريفة، والقرينةَ المحبَّة للرجل، وصارت زميلتَه في العمل والمشاقّ، وباتت معرضةً للتأثيرات التي تمحو غالبًا التواضعَ الفِكري والأخلاقي الذي عليه مدارُ حِفظ الفضيلة". اهـ.

ومِن ثَمَّ يتبيَّن للنساء أنَّ عملهنَّ إن كان مناسبًا لطبيعتهنَّ ولا يهين أنوثتهنَّ أو يخدش حيائهنَّ باختلاطهنَّ بالرّجال، ويكون حاجتهنَّ له ضروريَّة لعدمِ وجودِ عائلٍ لهنَّ، أو وجوده وعجْزه عن الحدِّ الأدْنَى لمتطلبات الأُسرة، مع مراعاةِ عدمِ إهمالهنَّ لحقوق أسرتهنَّ مِن زوج وأولاد، والتزامهنَّ بالحجاب الشَّرعي، وموافقة الأزواج لهنَّ؛ لأنَّهم القوّامون عليهنَّ - لو توفَّرتْ هذه الشروط جازَ عملهنَّ للضرورة، وخِلاف ذلك كعملهنَّ لإثباتِ مهارتهنَّ وقدرتهنَّ على التنافُس مع الرّجال أو لقتْل المَلل من بقائهنَّ في البيت أو ما أشْبهَ ذلك - لا يجوز شرعًا، والله المستعان.

الوصية الثالثة :حفظ اللسان من الإيمان:

الثَّرثرةُ والقِيل والقال في الجلسات الخاصَّة والعامَّة، أو في الهواتِف أو ما أشْبه ذلك والأخْذ في الأعراض، سواء عن الأصدقاء أو الجِيران أو غيرهما لهو فاكهةُ مجالس النِّساء إلا مَن رحِم ربي منهنَّ.

ولا يَخْفَى عنهنَّ خطورة ذلك وقدْحه في صِحَّة إيمانهنَّ بالله تعالى؛ لأنَّ الغِيبة أو النميمة أو القَذْف أو قولَ الزور في تناقُل الإشاعات دون التأكُّد مِن صحَّتها - تُثير البلبلةَ والفِتنة، وتؤذي المؤمنين والمؤمنات بغير جريرة لإشاعةِ كاذبة أطْلَقها حقودٌ على بعضِ الناس وصدَّقها، دون أن يَراها فاسِق فأنْبَأ بها غيرَه وتناقلتها الألسنُ، وانتشرتْ كانتشار النار في الهشيم، وكأنَّ مَن قالوها ونقلوها رَأوها رؤيةَ عين وهو ما لم يَحدُث قطعًا! وهو ما يخالِف قوله تعالى: قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) -الحجرات: ٦-.

قال السعديُّ - رحمه اللّٰه - في تفسيرها ما مختصره:
مِن الآداب التي على أُولي الألباب التأدُّب بها واستعمالها: أنّه إذا أخبرَهم فاسقٌ بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجرَّدًا، فإنَّ في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإنَّ خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدْل، حُكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصَل من تلفِ النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر - ما يكون سببًا للنَّدامة، بل الواجب عند خبر الفاسِق التثبُّت والتبيُّن، فإن دلَّتِ الدلائل والقرائن على صِدقه، عمِل به وصدَّق، وإنْ دلَّت على كذِبه، كذب، ولم يعملْ به. اهـ

-انظر تفسير السعدي (ص: ٧٩٩) طبع مؤسسة الرسالة.

ومِن ثَمَّ نُحذِّر النساء مِن القيل والقال الذي ينتشر بينهنَّ، فهو لا يليق بالمسلِمات المؤمنات العابدات الموحِّدات لله رب العالمين.

وينبغي عليهنَّ حِفظُ ألسنتهنَّ من كل ما يسخط اللّٰه تعالى عليهنَّ، وهو القائل - جلَّ جلاله:-
(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) -ق: ١٨.

كما أُذكرهنَّ بقولِ النبي - صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم -: "مَن كان يؤمِن باللّٰه واليوم الآخِر، فليقلْ خيرًا، أو ليصمتْ))؛ البخاري في الأدب (٦٠١٨) ومسلم في الإيمان (٤٧)

قال النووي:
وهذا الحديثُ صريحٌ في أنَّه يَنبغي ألا يتكلَّم إلاَّ إذا كان الكلام خيرًا، وهو الذي ظهرتْ مصلحته، ومتى شكَّ في ظهور المصلحة، فلا يتكلَّم. اهـ

الوصية الرابعة :حِفظ السمع عن الاستماع لمزامير الشيطان:
أدمنتِ الكثيراتُ مِن النساء السماعَ الشيطاني، وأقصد به: الغناء، وشغِفْنَ به، حتى صارَ أهلُه من المطربين والمطربات لهنَّ قُدوة!

والكثيرات منهنَّ يحفظنَ أغاني أهل الطَّرب والعُري، ولا يحفظنَ شيئًا مِن كتاب اللّٰه تعالى، ويتمنَّين أن يكُنَّ مثلَهم في الشهرة والمال،

ويساعد على هذا التدليس تمجيدُ وسائل الإعلامِ المختلفة لهم، وتتبُّع أخبار زواجهم وطلاقهم وأعمالهم... إلخ.

واعتبارهم قممًا ورموزًا وطنيّة، ومِن أسباب نهضةِ الأمَّة ورقيّها!

ومِن ثَمَّ أحذِّر النساء مِن هذا التدليس، وأُذكرهنَّ بقول اللّه تعالى :(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) -لقمان: ٦ - ٧.

-وقال العلاَّمة ابن القيّم - رحِمه اللّه تعالى -: اعلم أنَّ للغِناء خواصَّ لها تأثير في صبَغ القلْب بالنِّفاق ونباته فيه كنباتِ الزَّرع بالماء، فمِن خواصِّه: أنه يُلهي القلب ويصدُّه عن فَهم القرآن وتدبُّره والعمل بما فيه، فإنَّ القرآنَ والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا؛ لما بينهما مِن التضاد، فإنَّ القرآن ينهَى عن اتباع الهوى، ويأمُر بالعفَّة ومجانبة شهواتِ النفوس وأسباب الغي، ويَنهى عن اتِّباع خُطوات الشيطان، والغناء يأمُر بضدِّ ذلك كله. اهـ.

-وكذلك أذكرهنَّ بقولِ نبيهنَّ - صلَّى اللّه عليه وسلَّم -: "يكون في أُمَّتي خسفٌ وقذفٌ ومَسْخٌ))، قيل: يا رسولَ اللّه متى؟ قال: "إذا ظهرتِ المعازفُ والقينات واستحلَّتِ الخمر))؛ أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (٤٠٦٠)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٧٨٧)

والمعازف هي آلاتُ اللهو المحرَّمة، والقينات جمْع قينة وهي المغنية، ولعلَّ فيما ذكرتُه مِن أدلَّة من القرآن والسنة ما يُقنع نساءَنا وبناتِنا بِتَرْك هذا السَّماع الشيطاني، والإقلاع عن اتِّخاذ أهله قدوةً واتِّباع الحق وهو أحق أن يتبع.

الوصية الخامسة :لا تهجرن بيوت اللّه:
هجَر كثيرٌ من النِّساء بيوت اللّه والتعلمِ فيها بحُجَّة عَدَم فرضية الجماعة عليهنَّ:

مِن عجيبِ أمْر النساء تركهنَّ وعدَم رغبتهنَّ في اكتساب العِلم الشرعي النافِع لهنَّ في الدِّين والدنيا واندفاعهنَّ المتهوّر في تعلُّم العلومِ غير الشرعيَّة، والكثير منها لا حاجةَ لهنَّ فيها إلاَّ التباهي والتفاخُر به أو التنافس الممقوت مع الرجل في الصالح والطالح.

وهذه ليس دعوةً لترْك العلوم الدنيويَّة النافِعة لهنَّ وجلوسهنَّ في البيت لا يفقهْن شيئًا في علوم الدِّين أو الدنيا!! والاكتفاء بلقبٍ كان له رَنَّة وشرف قديمًا، وهو أن يُقال عن المرأة: إنها "رَبَّة بيت."

قطعًا هذا ما لا أقصِده ولا أَرضاه لنسائنا وبناتنا اليومَ؛ لماذا؟

لأنَّ الجهل لا يَنفع في عصرنا الحالي مع تقدُّم العلوم في كلِّ مجالات الحياة، وتعلّم الأبناء علومًا لم يعرفها جيلُ النساء قديمًا، وكون المرأةِ ربةَ بيت بمفهومه القديم؛ أي: جاهلة لا تَقرأ ولا تكتُب ولا تفقه شيئًا في دِينها، وتعتمد فقط على فِطرتها السوية في التوجيه والإرشاد، كل ذلك لا يَنفعها اليوم شيئًا!!

ورَبَّة البيت هذه لا ناقةَ لها ولا جمل أمامَ أبنائها؛ لأنَّ قدرتها في تَربيتهم وإقناعهم وتوجيهم بعقليةِ القرن الماضي للطريق السوي في عصر الاستنساخ و(الكمبيوتر) والعولمة أمرٌ صعب، بل هو محال.

وإنَّما ربَّة البيت بمفهومه العصري، والذي نحثُّ عليه نساءَنا وبناتِنا، هو أن تكونَ المرأة مثقَّفة دِينيًّا وعلميًّا، تُميِّز بين الحلال والحرام، بيْن الصواب والخطأ، بين ما ينفع الأبناء وما يضرُّ.

ومِن ثَم تستطيع أن تضعَ يديها على جذور المشاكل التي تُحيط بأُسْرتها وبالصَّبر والأناة والحِكمة، فضلاً عن الحنان والعاطِفة التي لا يُوازيها عاطفةٌ أخرى في الوجود "عاطفة الأمومة"، تَستطيع المرأة "ربَّة البيت العصريَّة" بكلِّ ما تملكه مِن عِلم وفِقه أن تضعَ الأمور في نِصابها الصحيح، وفي القرآن والسُّنة نصوصٌ كثيرة للحثِّ على العِلم، وخصوصًا العِلم الشرعي منها:

-قال الله تعالى :(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) -طه: ١١٤-، والنبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - حريصٌ على أن يتعلَّم نِساء الأمة العلمَ الشرعي، فقال مخاطبًا الرجالَ: "لا تَمْنعوا إماءَ الله مساجدَ الله))؛ أخرجه مسلمٌ في الصلاة (٤٤٢)، والبخاريُّ في الجمعة (٩٠٠).

كما أذكِّر نِساءنا وبناتِنا بما كان عليه نِساء الصحابةِ الكرام - رضي الله عنهم، وعنهنَّ أجمعين - كانتِ المرأة منهنَّ حريصةً كلَّ الحِرص على الذَّهاب لمسجدِ الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - يُصلِّين خلفَه ويستمعْنَ إليه، بل ويسألْنَه أن يُخصِّص لهنَّ يومًا لتفقيههنَّ في الدِّين.

-فعن أبي سعيدٍ الخدريِّ - رضي الله عنه - قال: جاءتِ امرأةٌ إلى رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقالت: يا رسولَ الله، ذَهَب الرِّجال بحديثك فاجعلْ لنا مِن نفسك يومًا نأتيك فيه، تُعلِّمنا ممَّا علَّمك الله، قال: "اجتمعْنَ يومَ كذا وكذا))، فاجتمعْنَ فأتاهنَّ رَسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فعَلَّمهنَّ ممَّا علَّمه الله، ثم قال: "ما مِنكنَّ مِن امرأةٍ تقدِّم بين يديها مِن ولدِها ثلاثةً إلاَّ كانوا لها حجابًا مِن النار، فقالت امرأة: واثنين، واثْنين، واثنين؟ فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "واثْنين واثنيَن واثنين))؛ أخرجه مسلم في البِر والصلة (٢٦٣٤).
ومِن ثَمَّ يَنبغي على النِّساء أن يحْضُرْنَ بيوت الله، ولا يَحرمهنَّ أزواجهنَّ من ذلك؛ لقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "لا تَمْنعوا إماءَ الله مساجدَ الله))، شريطةَ خروجهنَّ على ما يوافق الشَّرْع كعدمِ التعطر والتبرُّج عندَ الخروج... إلخ.
وختامًا :أنبِّه نِساءنا وبناتِنا بخطورةِ إهمال هذِه الوصايا القيِّمة، وأوصيهنَّ بأن يتَّقين الله تعالى.
والله مِن وراء القصد، وهو يَهدي السبيل.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/social/0/35042/#ixzz5h0rbLUMK

خلق آدم بين الأصل والصورة

إنَّ الحمدَ لله نَحمَده، ونَستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله مِن شرُور أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالنا، مَن يَهدِه الله فهو المهتدي، ومَن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

أما بعد:
فآدم - عليه السلام - أوَّل البشَر، خَلَقه الله تعالى، ثُمَّ خلَق حوآء - عليها السلام - مِن ضِلعه؛ لتكونَ له زوجةً، ثم بثَّ منهما رجالاً كثيرًا ونساءً؛ كما قال تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)-النساء: ١.

وكل مولود يُولَد ينزع للأبِ أو الأمّ بتفصيلِ وضحّه النبيُّ - صلّى الله عليه وسلَّم - في حديثِ أنس في ردّه على الصحابيِّ الجليل عبدالله بن سلاَم، وكان مِن كبار أحبار اليهود وهذا متْنه:
عن أنس- رضي الله عنه - قال: سمِع عبدُالله بن سلام بقدومِ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهو في أرضٍ يَخترف، فأتى النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقال: إني سائِلُك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلا نبيٌّ: فما أوّل أشراط الساعة؟ وما أوّلُ طعام أهل الجَنَّة؟ وما ينزع الولدُ إلى أبيه أو إلى أمِّه؟ قال: "أخبَرَني بهنَّ جبريلُ آنفًا"، قال جبريل؟ قال: "نعمْ"، قال ذاك عدوٌّ اليهود مِن الملائكة فقرأ هذه الآية :(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) -البقرة: ٩٧-؛ أمّا أوّل أشراط الساعَة: فنارٌ تحشُر الناسَ مِن المشرق إلى المغرب، وأمّا أوّل طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنة فزيادةُ كبدِ حُوت، وإذا سبَق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزَعَ الولد، وإذا سبَق ماءُ المرأة نزَعَتْ))، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّك رسولُ الله يا رسولَ الله... إلى آخره))؛ أخرجه البخاري (ح/ ٤١٢٠)

ومِن الحديث يتبيَّن أنَّ كلَّ مولود تُشبه صورتُه وتنزع كصورة أبيه أو أمِّه، ولما كان آدَم أولَ البشَر - عليه السلام - لا أبَ له ولا أم، فكانتْ صورتُه محلَّ إشكال بين علمائِنا الأفاضل لحديثِ البخاري عن أبي هريرة

- رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "إذا قاتَلَ أحدُكم أخاه فليجتنبِ الوجه؛ فإنَّ الله خَلَقَ آدَمَ على صورتِه"، وزاد الإشكال لما في بعضِ الطُّرق: قوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "على صورةِ الرحمن"

فمِن العلماء مَن رأى أنَّ الهاء من (صورته)ترجِع إلى الله تعالى بلا تشبيهٍ أو تمثيل أو تكييف؛ لأنَّه سبحانه القائِل :(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) -الشورى: ١١، وإنَّما المقصودُ بالصورةِ وجهٌ يَلِيق بالله تعالى، وأضافَها - سبحانه وتعالى - إلى نفْسه تكريمًا وتشريفًا كقوله - تعالى :-(نَاقَةُ اللَّهِ) -الأعراف: ٧٣، وَكَمَا يُقَال فِي الْكَعْبَة: بَيْت اللَّه وَنَظَائِره، واللَّه أَعْلَم.

وذهبت طائفةٌ أخرى مِن العلماء الأفاضِل إلى أنَّ الهاء مِن (صورته)راجعةٌ إلى آدَمَ - عليه السلام - أي: خلقه على صورتِه المميّزة التي كان عليها مِن غير تناسُل، ولم يكُنْ قطُّ في صُلب ولا رحِم، ولا خُلِق عَلَقة ولا مُضغة، ولا طفلاً، ولا مُراهقًا، بل خُلِق ابتداءً بشرًا سويًّا، طوله سِتون ذراعًا ولم يمرَّ بما تمرُّ به ذريتُه من أطوار الخَلْق قط.

وقال آخرون غير ذلك مِن التفسيرات، ولا مجال لطرحِها في هذه العجالة، ونكتفي هنا أن نوضِّح بالدليل الصحيح والبرهان الساطع أصلَ الصورة التي خَلَق الله عليها آدمَ؛ لينتفع بها مَن أصابته الحيرةُ بين الأصل والصورة، والله المستعان.

وأبدأ بطرْح أقوال علمائِنا الأفاضل ممَّن يأخذون حديثَ الصورة على ظاهره دون تأويلٍ، وأنَّ الهاء من (صورته) ترجِع إلى الله تعالى مع التنزيه:

قال شيخ الإسلام "ابن تيميَّة :"هذا الحديثُ لم يكُنْ بين السلف في القُرون الثلاثة نِزاعٌ في أنَّ الضمير عائدٌ إلى الله، فإنَّه مستفيض من طُرق متعدِّدة عن عِدة مِن الصحابة، وسِياق الأحاديث كلها يدلُّ على ذلك؛ "بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية"، تحقيق: د. عبدالرحمن اليحيى (٢/ ٣٥٦)

وقال الآجُريُّ بعدَ روايته لحديثِ الصورة :هذه مِن السُّنن التي يجِب على المسلمين الإيمانُ بها، ولا يُقال :كيف؟ ولِمَ؟ بل تُستقبل بالتسليمِ والتَّصديق، وترْك النظر، كما قال مَن تَقدَّم مِن أئمَّة المسلمين؛ "الشريعة للآجُريّ.(2/ 106) "
وقال ابنُ قتيبة: "والذي عِندي - والله تعالى أعلم - أنَّ الصورة ليستْ بأعجبَ مِن اليَدين، والأصابع والعين، وإنما وقَع الإلْف لتلك لمجيئها في القُرآن، ووقعتِ الوحشة مِن هذه؛ لأنَّها لم تأتِ في القُرآن، ونحن نؤمِن بالجميع، ولا نقول في شيءٍ منه بكيفيةٍ ولا حدٍّ"؛ "تأويل مختلف الحديث)"ص: ٢٦١)

وذكر ابن بطَّة) المتوفَّى: ٣٨٧هـ(في كتابه الإبانة الكُبرى "باب الإيمان بأنَّ الله - عزَّ وجلَّ - خَلَق آدَمَ على صورتِه بلا كيفٍ، قال:
"وكل ما جاء مِن هذه الأحاديث، وصحَّتْ عن رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ففرْضٌ على المسلمين قَبولُها، والتصديقُ بها، والتسليمُ لها، وترْك الاعتراض عليها، وواجِب على مَن قَبِلها، وصدَّق بها ألاَّ يضربَ لها المقاييس، ولا يتحمَّل لها المعاني والتفاسير، لكن تمرُّ على ما جاءتْ ولا يُقال فيها: لِمَ؟ ولا كَيف؟ إيمانًا بها وتصديقًا، ونقِف مِن لفظها وروايتها حيث وقَف أئمَّتنا وشيوخنا، وتَنتهي منها حيث انتهى بنا، كما قال المصطفى نبيُّنا - صلَّى الله عليه وسلَّم - بلا معارَضة، ولا تَكذيب، ولا تَنقير، ولا تفتيش، والله الموفِّق وهو حسبنا ونعمَ الوكيل".اهـ.

ومِن أقوال أهلِ السُّنَّة الذين قالوا بأنَّ الله خلَق آدمَ على صورتِه - أي: آدَم – ستين ذراعًا في السماء ابتداءً:
قال النوويُّ المتوفَّى (سنة ٦٧٦هـ(في شرْح حديث: "خلَق الله آدَمَ على صورتِه، طوله سِتُّون ذراعًا"ما مختصره:
قوْله - صلَّى الله عليه وسلَّم :- "خَلَق اللَّه آدَم عَلَى صُورَتِه"هذه الرّواية ظاهرة في أنَّ الضمير في (صورته(عائدٌ إلى آدم، وأنَّ المراد أنَّه خُلِق في أول نشأته على صورتِه التي كان عليها في الأرض، وتُوفِّي عليها، وهي طوله ستُّون ذراعًا، ولم ينتقلْ أطوارًا كذريَّته، وكانتْ صورته في الجنَّة هي صورته في الأرض لم تتغيَّر. اهـ-1

وذهَب الإمَامُ المناويُّ في فيض القدير مفسِّرًا للحديث على نفس الوتيرة، قال ما مختصره:
"خَلَقَ اُللّه آدَمَ على صورتِه))؛ أي: على صورة آدَم التي كان عليها مِن مبدأ فِطرته إلى موتِه لم تتفاوتْ قامتُه ولم تتغيَّر هيئتُه، بخلافِ بَنيه، فإنَّ كلاًّ منهم يكون نُطفةً ثم عَلَقة، ثم مُضغةً ثم عِظامًا وأعصابًا عارية، ثم مَكسُوَّة لحمًا، ثم حيوانًا مُجَنَّنًا لا يأكُل ولا يَشرَب، ثم يكون مولودًا رضيعًا، ثم طِفلاً مترعرعًا، ثم مراهقًا ثم شابًّا، ثم كهلاً ثم شيخًا.
أو خَلَقه على صورةِ حالٍ يختصُّ به، لا يُشاركه أنواعٌ أخرى مِن المخلوقات.اهـ.

وذهَب القرطبيُّ والمازريُّ - رحمها الله - على نفس التفسير لمفهومِ الصورة؛ فقدْ ذكر الحافظُ ابن حجر العسقلانيُّ)المتوفَّى: ٨٥٢ هـ(في شرح البخاري أقوالهما، فقال:
قال القرطبي: "أعادَ بعضُهم الضميرَ على الله متمسِّكًا بما ورد في بعضِ طُرُقه: "إنَّ الله خَلَق آدمَ على صورةِ الرَّحمن))، قال: وكأنَّ مَن رواه أورده بالمعنَى متمسكًا بما توهَّمه فغلِط في ذلك، وقدْ أنكرَ المازريُّ ومَن تَبِعه صحةَ هذه الزّيادة، ثم قال: وعلى تقدير صِحَّتها فيُحمل على ما يَليق بالباري - سبحانه وتعالى.

بل إنَّ الحافظ ابن حجر ذكَر في الفتْح في شرح الحديث ما نصُّه:
وهذه الرّواية تؤيِّد قولَ مَن قال: إنَّ الضمير لآدم، والمعنَى أنَّ الله تعالى أوْجَده على الهيئةِ التي خَلَقه عليها لم ينتقلْ في النشأة أحوالاً، ولا تردَّد في الأرحام أطوارًا كذريَّته، بل خلَقه الله رجلاً كاملاً سويًّا مِن أوَّل ما نفَخ فيه الرُّوح، ثم عقَّب ذلك بقوله: "وطُوله ستُّون ذراعًا))، فعاد الضمير أيضًا على آدم، وقيل: معنى قوله "على صورته))؛ أي: لم يشاركْه في خلْقِه أحد؛ إبطالاً لقول أهلِ الطبائع، وخصَّ بالذِّكْر تنبيهًا بالأعْلى على الأدنى، والله أعلم.اهـ.

قلت :وانتبه جيدًا لشَرْح الحافظ والنووي شارح صحيح مسلم لهذه الجزئية مِن الحديث: "خلَقَ الله آدَمَ على صورتِه طولُه ستُّون ذِراعًا"؛ لأنَّها توضِّح بما لا يدَع مجالاً للشكِّ أنَّ الضمير عائد لآدَم الذي خَلَقه

على صورته بشرًا سويًّا طولُه ستون ذراعًا، وهذا واضحٌ وضوحَ الشمس في كبد السماء.

وقال ابنُ بطّال في شرح البخاري (٣/ ٧١) ما نصه:
وذهَب طائفةٌ إلى الهاء كناية عن الله تعالى، وهذا أضعفُ الوجوه؛ لأنَّ حُكم الهاء أن ترجِع إلى أقرب المذكور، إلا أن تدلَّ دَلالةٌ على خلاف ذلك، وعلى هذا التأويل يكون معنَى الصورة معنَى الصفة كما يقال: عَرّفْني صورة هذا الأمْر؛ أي: صفته، ولا صورة للأمْر على الحقيقة إلا على معنَى الصفة، ويكون تقديرُ التأويل: أنَّ الله خَلَق آدَمَ على صفتِه؛ أي خلَقه حيًّا عالمًا سمعيًا بصيرًا متكلمًا مختارًا مريدًا، فعرَفْنا بذلك إسباغَ نِعمه عليه وتشريفه بهذه الخِصال.

ونظَرْنا في الإضافات إلى الله، فوجدْناها على وجوه؛ منها: إضافة الفِعل، كما يقال: خلْق الله، وأرْض الله، وسماء الله، وإضافة المُلك فيقال: رزْق الله، ووعيد الله، وإضافة اختصاص وتنويه بذِكْر المضاف إليه، كقولهم: الكَعْبة بيتُ الله، وكقوله :(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) -الحجر: ٢٩-، ووجهٌ آخَر مِن الإضافة نحو قولهم: كلام الله، وعِلم الله، وقُدرة الله، وهى إضافةُ اختصاص مِن طريق القِيام به، وليس مِن وجهة الملك والتشريف، بل ذلك على معنَى إرادته غير متعرية منها قيامًا بها ووجودًا.

ثم نظَرْنا إلى إضافةِ الصورة إلى الله، فلم يصحَّ أن يكونَ وجه إضافتها إليه على نحو إضافة الصِّفة إلى الموصوف بها مِن حيثُ تقوم به؛ لاستحالةِ أن يقومَ بذاته تعالى حادثٌ، فبقِي من وجوه الإضافة المُلك والفِعل والتشريف، فأمَّا الملك والفِعل فوجهه عامٌّ، وتبطل فائدةُ التخصيص فبقِي أنَّها إضافة تشريف، وطريق ذلك أنَّ الله هو الذي ابتدأ تصويرَ آدم على غير مثالٍ سبَق، بل اخترعَه، ثم اخترع من بعده على مثالِه، فتشرَّفَتْ صُورته بالإضافةِ إليه، لا أنَّه أُريد به إثباتُ صورة لله تعالى على التحقيق هو بها مصور؛ لأنَّ الصورة هي التألُّف والهيئة، وذلك لا يصحُّ إلا على الأجسامِ المؤلّفة، والله تَعالَى عن ذلك.

قلت :وما ذكَرَه النووي والمناوي وابن حجر وابن بطال وغيرُهم من العلماء الأفاضل مِن أهل السُّنة - رحمهم الله - في قوله : "إنَّ اللهَ خلَقَ آدمَ على صورتِه))، وتأويلهم للحديثِ عن ظاهره بقولهم: إنَّ الله تعالى خلَق آدَمَ على صورته ابتداءً، وليس على صورته هو - جلَّ شأنه - هو قول ينبغي الحذر منه لما يجره هذا التأويل من الاجتهاد في غير موضعه فإن صفات الله تعالي ينبغي قبولها مع التنزيه ولم نسمع أن كان بين الصحابة والتابعين في القُرون الثلاثة الأولى خير قرون الإسلام نِزاعٌ في أنَّ الضمير عائدٌ إلى الله وإنما حدث الإشكال للحديث الذي رواه الإمام البخاري ومتنه (إن الله خلق آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً(.

مما جعل بعض علمائنا المعاصرين كالألباني - رحمه الله- يقول: هذا الحديث لا يحتاج في علمي إلى تأويل لأن الإمام البخاري رواه في صحيحه بتتمة تغني عن التأويل، وهي (إن الله خلق آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً(فالضمير لا يعود إلى الله وإنما على آدم. أما الحديث المذكور في بعض كتب السنن بلفظ (وإن الله خلق آدم على صورة الرحمن...(فهذا ضعيف بهذا اللفظ، لأنه من رواية حبيب بن أبي ثابت وهو مُدلس، وقد رواه معنعناً في كل الطرق التي وقفت عليها، وكلها تدور عليها"اهـ- نقلا عن كتاب: الشيخ الألباني ومنهجه في تقرير مسائل.

قلت: وما ذهب إليه الألباني وغيره من العلماء الذين يؤيدون حديث الصورة ممن ذكرناهم سلفاً وأنه عائد لآدم خطأ وتضعيفه لحديث (وإن الله خلق آدم على صورة الرحمن...(اجتهاد منه يحتمل الخطأ لأن الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه قد صححا حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي جاء فيه «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن» الذي ضعفه الألباني ولا يغيب عنا أن الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه من أعلام الحديث وعندهما إلمام تام بالأسانيد والعلل كما لا يخفى.

وعلى كل حال لا يستطيع أحدٌ أن يقول أن هؤلاء العلماء - رحمة الله عليهم أجمعين- من أهل السنة ممن يردون حديث الصورة لآدم يتعمدون تأويل الصفات قطعا لا، وأنما هو اجتهاد منهم حسب مافهموه من صحة أسانيد أحاديث الصورة تضعيفًا أوتصحيحًا نسأل الله أن يعفو عنا وعنهم.

وأرى بكل وضوح واقتناع ويقين أن الأسلم والأفضل ماذهب إليه جمهور علماء أهل السنة بأن الضمير يعود لله تعالى بلا تشبيه أوتمثيل أو تعطيل والله تعالى أعلم.

وإليك أخي القارئ ما قاله ابنُ عثيمين في إزالةِ هذه الشُّبهة، وفيه مِسك الختام؛ لأنَّه يبيّن أصل الصورة التي خَلَق الله عليها آدَمَ، ويُبيّن بوضوح صحةَ الرأي الذي ذهَب إليه الرأيُ الآخَر للعلماء الأفاضل، ودون تأويل للصورةِ، بل تنزيه الله عنها ونفْي المماثلة، وهو بذلك يكشف الغُمَّة، ويوفِّق بين التفسيرين بما لا يُخالِفُ عقيدةَ أهل السنة في الصِّفات – رحمه الله تعالى - والله المستعان.

قال ما نصُّه: "قال النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "إنَّ الله خَلَق آدَمَ على صورتِه"، والصورة مماثلة للأُخرى، ولا يُعقل صورة إلاَّ مماثلة للأُخرى، ولهذا أكتُب لك رسالة، ثم تُدخلها الآلةَ الفوتوغرافيَّة، وتُخرج الرسالة، فيُقال:

هذه صورة هذه، ولا فَرْق بين الحروف والكلمات، فالصورةُ مطابقةٌ للصورة، والقائل: "إنَّ الله خَلَق آدَمَ على صورتِه" الرسولُ - عليه السلام - أعلمُ وأصدقُ وأنصحُ وأفصحُ الخلق، والجواب المجمَل أنْ نقول: لا يُمكن أنْ يُناقِض هذا الحديثُ قولَه - تعالى :- (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) - الشورى: ١١-، فإن يسَّرَ الله لك الجمْع، فاجْمَع، وإن لم يتيسَّر، فقل :(آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) -آل عمران: ٧-، وعَقيدتنا أنَّ الله لا مَثيلَ له، فبهذا تَسلم أمامَ الله - عزَّ وجلَّ.

هذا كلامُ الله، وهذا كلامُ رسولِه، والكلُّ حقٌّ، ولا يُمكِن أن يُكذِّب بعضُه بعضًا؛ لأنَّه كله خبَر وليس حُكمًا كي يُنسَخ، فأقول: هذا نفيٌ للمماثلة، وهذا إثباتٌ للصورة، فقل: إنَّ الله ليس كمثله شيء، وإنَّ الله خَلَق آدَم على صورتِه، فهذا كلامُ الله، وهذا كلامُ رسوله، والكلُّ حقٌّ نؤمِن به، ونقول: كلٌّ مِن عند ربنا، ونسكُت، وهذا هو غايةُ ما تستطيع.

وأمَّا الجواب المفصَّل: فنقول :إنَّ الذي قال: "إنَّ الله خلَق آدَم على صورتِه" رسولُ الذي قال :(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) -الشورى: ١١-، والرسول لا يُمكن أن ينطقَ بما يُكذِّب المرسِل، والذي قال: "خَلَق آدَمَ على صورتِه" هو الذي قال: "إنَّ أَوَّلَ زُمرة تدخُل الجنةَ على صورةِ القَمر"، فهل أنت تعتقد أنَّ هؤلاء الذين يَدخُلونَ الجَنَّةَ على صورة القمَر مِن كلِّ وجه، أو تعتقد أنَّهم على صورة البشَر، لكن في الوضاءةِ والحُسن

والجمال واستدارة الوجْه وما أشبه ذلك على صورةِ القمر لا مِن كلِّ وجه؟!

فإن قلت بالأوّل، فمقتضاه أنّهم دخلوا وليس لهم أعينٌ وليس لهم أنوف وليس لهم أفواه، وإنْ شِئتَا قلنا: دخلوا وهم أحجار! وإن قلت بالثاني، زال الإشكال، وتبيَّن أنَّه لا يلزم مِن كون الشيء على صورة الشيء أن يكونَ مماثلاً له مِن كلِّ وجه، فإن أبَى فَهمُك وتقاصَر عن هذا، وقال: أنا لا أفهم إلاَّ أنه مماثل.

قلنا :هناك جوابٌ آخر، وهو أنَّ الإضافة هنا مِن بابِ إضافة المخلوق إلى خالقِه، فقوله: "على صورتِه"، مِثل قوله - عزَّ وجلَّ - في آدم : (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) -الحجر: ٢٩-، ولا يُمكن أنَّ اللَّه - عزَّ وجلَّ - أعْطَى آدَمَ جزءًا من رُوحه، بل المراد الرُّوح التي خَلَقها اللَّه - عزَّ وجلَّ - لكن إضافتها إليه بخصوصِها من بابِ التشريف، كما نقول: عباد اللَّه، يشمل الكافِرَ والمسلمَ والمؤمِن والشهيد والصِّدِّيقَ والنبيَّ، لكنَّنا لو قلنا: محمَّد عبد اللَّه، هذه إضافةٌ خاصَّة، ليست كالعبوديَّة السابقة. اهـ

قلت :والحاصل مِن حديثِ الصورة أنَّ اللَّه تعالى خلَق آدم على صورتِه هو - جل شأنه - كما وضَّحْنا مِن أقوال العلماء الثِّقات، وهو الرأي الذي نؤيّده، وهو الأسلمُ والأقوَى دليلاً وبرهانًا، وهي طريقة السلف بإمرار الصفات على مرادها بلا تأويل أو تمثيل أوتكييف أوتعطيل لها، ونعذر العلماء الأفاضلَ مِن أهل السُّنة والجماعة الذين قالوا: إنَّ اللَّه خَلَق آدَمَ على صورتِه هو - أي آدم - مع تنزيه اللَّه تعالى حسب فهمهم واجتهادهم في صحة أو ضعف حديث الصورة، وما ذكَرْناه هو ما تَستريح إليه، واُللَّه مِن وراءِ القصد، وهو يَهدي السبيل.

1-المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج (ح/ ٥٠٧٥).

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/35308/#ixzz5h0rvTi51

٥

النفس البشرية

بين الالتزام والواقع المعاصر

إنَّ الحمد للّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره ، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، مَن يَهده اللّه فلا مضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا اللّه وحْده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصَحْبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:
فنظرة إلى الواقع الذي نعيش فيه هذه الأيام، لا تَملِك إلاَّ أن نقول: لا حول ولا قوة إلا باللّه، وإنا للّه وإنا إليه راجعون!

جميعًا نعلم أنَّ الدين هو أساس حياة الإنسان، وسبب سعادته في الدنيا والآخرة، والواقع المُر الذي نعيشه يجعلنا نسأل :كيف يزني المسلم وهو يشهد أنْ لا إله إلا اللّه، وأنَّ محمدًا رسول اللّه؟! كيف يَسرق ويرتشي وهو دائم الصلاة على النبي -صلى اللّه عليه وسلم؟!
كيف يشرب الخمر ويتعامَل بالربا، ولا يَفْتُر لسانه عن ذِكر اللّه تعالى؟!
ما هذا الخَلل والتناقض في شخصيَّة المسلم؟

وهنا سؤال يطرح نفسه بشدة بعد ما ذكَرناه من أمثله من دنيا الناس هذا الزمان :كيف أكون مسلمًا ملتزمًا حقًّا؟ كيف أفهم الإسلام وتعاليمَه؟ كيف أكون إيجابيًّا في طاعة ربي وطاعة رسوله - صلى اللّه عليه وسلم؟كيف أكون إيجابيًّا في بيتي، إيجابيًّا في عملي، إيجابيًّا مع إخواني وأحبابي؟ وهكذا.

لا ريبَ أنَّ هذا لن يكون إلاَّ بمُحاسبة النفس وتقويمها وتهذيبها؛ لتعود إلى طريق اللّه تعالى القائل - جل شأنه :- (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) -الرعد: ١١.

ويجب على المسلمين أن يُدركوا أن الإيمان ليس بالتمنّي، ولكن ما وقَر في القلب وصدَّقه العمل.

بمعنى أنه إذا أراد المسلم المؤمن بالله تعالى أن يكون من الصالحين، فلا يستقيم هذا وهو مدمنٌ لمشاهدة المسلسلات، تاركٌ الجُمَع والجماعات، جالسٌ على المقاهي، غافلٌ عن ذِكر الله!

كلاَّ؛ هذه سلبيَّة، وليست إيجابيَّة، فلا بد أن يُغيِّر من عاداته السيّئة، والسؤال كيف؟

الإجابة: بالإرادة والعزيمة، ولكنْ هناك سؤال آخر أهمُّ، وهو كيف أكتسب هذه الإرادة وأنا ضعيف الإيمان؟ سيكون ذلك بأربعخطوات:
الخطوة الأولى:
تقوى الله تعالى؛ قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) -آل عمران: ١٠٢.

نعم البداية السليمة أن نتَّقي الله إن كنَّا مسلمين حقًّا، لا نتحجَّج بالسعي للرزق تاركين الصلاة؛ لأن العمل عبادة، تاركين الحجَّ مع الاستطاعة لضيق الوقت، تاركين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأننا نخشى الناس، والله أحقُّ أن نخشاه.

إذًا البداية الصحيحة لاكتساب قوة الإرادة والعزيمة للنفس المؤمنة - هي تقوى الله تعالى، وليست في الأعمال فقط، وإنما في الأقوال أيضًا؛ قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) -الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

واعلم - أخي القارئ -أن تقوى الله تعالى لا تكون كما تحب أنت، لا تقل: قالت أمي، أو قال أبي، أو قال معلِّمي، أو قال شيخي كذا، وما أشبه ذلك، كلاَّ؛ إنما تكون على المنهج؛ أي: كما أمرَ الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وتأمَّل معي قوله تعالى في الآية المذكورة آنفًا :(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) .

إذًا كلُّ مَن يُخالف المنهج ويُبيح لنفسه معصية الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فهو في خسران عظيم، وضلال مبين.

إذًا لا بدَّ أن تَلتزم بالمنهج في حياتنا، ولا نعيش على مبادئ وقيم وعادات، وبِدع ومذاهب، ما أنزَل الله بها من سلطان، تجعل الله ساخطًا علينا، وهذه الخطوة من أهم الخطوات التي تساعد على قوَّة الإرادة والعزيمة، لماذا؟ لأنَّ من الطبيعي أنَّ تطبيق المنهج ليس سهلاً؛ لأن الشيطان يتربَّص بنا، والنفس الأمَّارة بالسوء تتمرَّد على الطاعة وتُلْهينا بالمعصية، والدنيا تُنادينا: هَلُمَّ واستمتعوا، ولكن لا بدَّ من تناول الدواء مَهْمَا كانت صعوبته ومَرارته؛ ليتمَّ الشفاء - بإذن الله تعالى - وتستقيم النفس المتمرِّدة على المنهج، وطالَما استقامَت لا بدَّ أن تتعرَّض للأذيَّة من السُّفهاء ضِعاف الإيمان، ولكن بيقينك أنَّك على الحق، وأنَّ البلاء من شيمة الصالحين وعلامة الرضا عنك من ربِّ العالمين، كلُّ ذلك يزيد من قوَّة إيمانك ويَقينك، ومَن كان الله معه، فلن يضرَّه شيء أبدًا.

الخطوة الثانية:

تحصيل العلم الشرعي، وخصوصًا ما هو فرْضُ عينٍ، وهذه الخطوة من الأهميَّة بمكان؛ لماذا؟ لأنَّ الجهل بالشرع وأحكامه قد يؤدي إلى ارتكاب البِدع، وسيطرة الهوى، وربما أدَّى إلى الشِّرك بالله، والعياذ بالله!

وكما أنَّ الاشتياق للجنة ودخولها يُشترط له ترويض النفس على المكارة؛ لأنها حُفَّت بها، والمكارة التي حَفَّت العبادات؛ كالطهارة والصلاة وغيرهما، تحتاج إلى فقه وعلمٍ، والجهل قد يُبطلها.

والحاصل أنَّ تحصيل العلوم الشرعيَّة من أهم الوسائل للثبات على المنهج، كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، والعلم هو العلاج الوحيد لتحطيم صَنَمِ الجهل بالدين الذي أهْلَك الكثير من أتْباعه وأنصاره، وتَرَكهم هَلْكى وصَرعى، يتخبَّطون في دروب الدنيا الفانية؛ بحثًا عن سعادة زائفة على حساب تزكية النفس وسُموّها لِمَا هو أبَدِيّ وسَرْمدي، يوم يقول صاحبُها :(يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي *فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ *وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ) -الفجر: ٢٤ - ٢٦.

ولهذا حَثّ الله تعالى والنبيُّ - صلى الله عليه وسلم - على العلم الشرعي؛ فقال تعالى :(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) -طه: ١١٤-، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: "مَن سلَك طريقًا يَلتمس فيه علمًا، سهّل الله له طريقًا إلى الجنة"؛ أخرجه مسلم في الذِّكر والدعاء.

وأهم ما يجب على طالب العلم أن يَفعله ما يلي:

1-أن يجتهد من البداية في معرفة المنهج الصحيح للدين بفَهم أهل السُّنة والجماعة، بعيدًا عن أفكار ومذاهب وآراء شتَّى تُخالف عقيدة وفَهم سلف الأمة الصالح.

2-أن يحضُر دروس العلم والوعظ في المسجد، أو عن طريق الاستماع أو المشاهدة، وليصقل سَمْعه بالبحث والاطِّلاع في الكتب، وعليه أن يتفرَّغ لهذا الدرس من المشاغل الدنيوية التي قد تُلهيه عن التحصيل والاستيعاب.

3-أن يسأل ويَستفسر أهلَ الذِّكر من العلماء أو الدعاة الموثوق في عِلمهم وأخلاقهم؛ حتى يستوثقَ من الصواب؛ لتوضيح ما لَم يَفهمه أو أشكَل عليه، ولتَكُن أسئلته في المهم، وليس في إشكالات وتفاهات، وإنما ما ينفع دينه ودنياه.

4-المجاهدة والصبر لأعدائه الأربعة - النفس والهوى، والدنيا والشيطان - ليستمرَّ بلا كللٍ أو مللٍ في التعلُّم والتحصيل.

5-الإخلاص في القول والعمل لله تعالى؛ لينقِذَ نفسه من التَّهْلُكة من مستنقع الفكر الضال والأعمال الباطلة، وليس ليُباهي نفسه مع أقرانه بقوَّة تحصيله العلمي وفقهه.

الخطوة الثالثة:

معرفة أصل الداء،وليس العلة نفسها التي تتسبَّب في المعاصي:

أخي القارئ، يجب أن تعرفَ أصل الداء؛ فمن السَّهل معرفة الدواء، وما خلَق الله داءً إلاَّ خَلَق له دواءً، وأمرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتداوي، فقال: "إنَّ الله لَم يُنزِل داءً أو لَم يَخلق داءً، إلاَّ أنزَل أو خَلَق له دواءً، عَلِمه مَن عَلِمه، وجَهِله مَن جَهِله إلاَّ السَّام"، قالوا: يا رسول الله، وما السَّام؟ قال: "الموت"؛ انظر: السلسلة الصحيحة؛ للألباني، ح /١٦٥٠.

مثال ذلك:

تَفترِض أنَّك تُكثر من الغيبة أو الحَلِف بغير الله، أو الغناء، أو أي شيء يتعلَّق بآفات اللسان، فالغيبة علة، والكذب والغناء علة، وهكذا، وعلاج هذا مُرْهِق ويطول، لكن لو عالَج المسلم منبعَ العلة، أو أصل الداء - وهو هنا اللسان - لكُفِي وشُفِي؛ قال تعالى :(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) -ق: ١٨، وعن أبي هريرة أنه سَمِع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقول: "إنَّ العبد يتكلَّم بالكلمة، يَزِلُّ بها في النار أبعدَ ما بين المشرق والمغرب"؛ مُتفق عليه، وفي رواية البخاري: "أبعد مما بين المشرق" من غير ذِكر "المغرب"، ومعنى يتبيَّن: يتفكَّر في أنها خير أم لا.

• فلو أمسَك المسلمُ لسانه، ولَم يتكلَّم إلاَّ بعد أن يتدبَّر ما سوف يَنطق به، وسأل نفسه :هل يا تُرى، كلامي في ميزان سيّئاتي أم حسناتي؟

لا ريبَ أنَّ في ذلك علاجًا فعَّالاً؛ ليُقلِّل من الكلمات السيِّئة التي ترجِّح كِفَّة ميزان سيِّئاته، وبالتَّبعة فلاح نفسه ونَجاتها، وقد سُئِل بعض الصالحين" :كم وجَدت في ابن آدمَ من العيوب؟

فقال :هي أكثر من أن تُحصى، والذي أَحْصَيت ثمانية آلاف عيبٍ، ووجَدت خَصلة إن استعملها سَتَرت العيوب كلها، وهي حفظ اللسان"؛ نقلاً عن كتاب الكبائر؛ للذهبي، ص ٤٦.

إذًا؛ فمعرفة أصل الداء وعلاجه مع إخلاص النيَّة لله، هو البلسم الشافي لكلّ الأمراض والعلل التي تُصيب النفس البشرية، وتُوهن عزيمتها، وتُضعف إرادتها للتمسُّك بشَرْع الله وُسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم.

الخطوة الرابعة:

السمع والطاعة لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) -النساء: ٥٩.

وعن أبي هريرة قال: إنَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: "كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلاَّ مَن أبى"، قالوا: يا رسول الله، ومَن يأبى؟ قال: "مَن أطاعني دخَل الجنة، ومَن عصاني، فقد أبى"؛ أخرجه البخاري.

واعْلَم أخي القارئ أنَّ الطاعة تأتي من ثلاثة طُرق:

الطريق الأول:

الاقتناع بالكلمة أو العبرة من غيره:

بعض الناس تؤثِّر فيه الكلمات، فتَدمع عيناه من خشية الله، وتَهفو نفسه إلى خالقها؛ حبًّا وشوقًا لمعرفته والتقرُّب إليه، ومن الناس مَن يؤثِّر في نفسه موقفٌ يتعرَّض له أو لغيره، ويراه رؤية عينٍ، فيهزُّ وِجدانه هزًّا، فتَنقشع الغشاوة من عينيه، ويرى حقيقة نفسه بلا زَيْفٍ أو خداع، فيتوب إلى مولاه، ويَعْزف عن العودة لحياة المعاصي، راجيًا عفو ربِّه ورحمته وكَرَمه عمَّا سلَف، ولنا في هذا الحديث دليلٌ عمَّا نقول؛ فعن أبي أُمامة، قال: إنَّ فتًى شابًّا أتى النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقال: يا رسول الله، ائْذَن لي بالزنا! فأقبَل القوم عليه فزَجَروه، قالوا: مَهْ، مَهْ، فقال: ادْنُهْ، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: "أتحبُّه لأُمك؟"، قال: لا والله، جعَلني الله فداءَك، قال: "ولا الناس يحبُّونه لأُمَّهاتهم"، قال: "أفتحبُّه لابنتك؟"، قال: لا والله يا رسول الله، جعَلني الله فداءَك، قال: "ولا الناس يحبُّونه لبناتهم"، قال: "أفتحبُّه لأُختك؟"، قال: لا والله، جعَلني الله فداءَك، قال: "ولا الناس يحبُّونه لأَخَوَاتهم"، قال: "أفتحبُّه لعَمَّتك؟"، قال: لا والله، جعَلني الله فداءَك، قال: "ولا الناس يحبُّونه لعمَّاتهم"، قال: "أفتحبُّه لخَالتك؟"، قال: لا والله، جعَلني الله فداءَك، قال: "ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم"، قال: فوضَع يده عليه، وقال: "اللهمَّ اغفِرْ ذنبَه، وطَهِّر قلبه، وحَصِّن فرْجَه"، فلم يكن بعد ذلك الفتى يَلتفت إلى شيء"؛ انظر: السلسلة الصحيحة؛ للألباني، ح /٣٧٠.

الطريق الثاني:

الاستجابة لنداء الفطرة:
فكل مولود يولّد على الفطرة؛ كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "كلُّ مولود يولّد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمَجِّسانه؛ كمَثَل البهيمة تُنتج البهيمةَ، هل ترى فيها جَدعاء"؛ أخرَجه البخاري، باب: ما جاء في أولاد المشركين.
فإنْ نزَع المرء من قلبه كلَّ غلّ وحقدٍ وإيثارٍ للدنيا، مخلصًا النيَّة في ذلك لله تعالى، فسوف تتجلَّى في نفسه يومًا ما لحظاتٌ إيمانيَّة، يَستشعرها في قلبه، ويقْشَعِرُّ لها بدنه، وتتجلَّى عظمة الله بين عينيه، ويرى نفسه عندئذ على حقيقتها، غاية في السُّمو والرُّقي، بلا شوائبَ دنيويَّة.

الطريق الثالث:
بالقهر والأمر والقوة:
ومن لا يُطيعون إلاَّ بذلك، فهؤلاء هم قُساة القلوب الذين قال الله تعالى فيهم :(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) -الجاثية: ٢٣.

وهذه الخطوات الأربع هي أهمُّ الخُطوات في ظنّي، وهناك غيرها الكثير، وعلى المرء أن يُخلص نيَّته لله، متوكِّلاً عليه، موقِنًا بقُدرته وحِكمته، ولا بد أن يحصدَ ثمرة الطاعة ولو بعد حين، ألآ وهي قدرة النفس على التطبيق العملي لقول الله وقول رسوله- صلى الله عليه وسلم - مَهْما كان البلاء، ومهما كانت الفتن، وهو غاية المنى، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/social/0/35994/#ixzz5h0s73W98

٦

حرمة الربا بين العلماء والأدعياء

إنَّ الحمدَ لله نحمده، ونَستعينه ونستغفِره، ونعوذُ باللَّه مِن شرُورِ أنفسنا وسيّئات أعمالِنا، مَن يَهدِه اللَّه فهو المهتدِي، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلاَّ اللَّه وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه - صلَّى اللَّه عليه وسلَّم-.

أمَّا بعدُ:

فالتعامُل بالرِّبا مِن كبائر الذنوب، وكفَى زجرًا لمن يستحلُّ ذلك قولُ اللَّه - تعالى :- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ *وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) -البقرة: ٢٧٨ - ٢٨١-.

قال صاحب "الظِّلال(1)" في تفسيرِها ما مختصرُه:

الوجه الآخَر المقابِل للصَّدَقة، الوجه الكالِح الطالِح هو الرِّبا.

الصَّدَقة عطاءٌ وسماحَة، وطهارةٌ وزَكاة، وتعاونٌ وتكافُل، والربا شُحٌّ، وقَذارة ودَنَس، وأَثَرة وفرديَّة.

والصَّدَقة نُزولٌ عن المال بلا عِوض ولا ردّ، والرِّبا استرداد للدَّين ومعه زِيادة حرام مُقْتطَعة مِن جهد المدين أو مِن لحمه؛ مِن جهده إنْ كان قدْ عمِل بالمال الذي استدانه فرَبِح نتيجةً لعمله هو وكَدِّه، ومِن لحمه إنْ كان لم يربحْ أو خسِر، أو كان قدْ أخَذ المال للنفقةِ منه على نفْسِه وأهله ولم يستربحْه شيئًا... ثم قال: ومِن ثَم فهو - الرِّبا - الوجهُ الآخَر المقابل للصَّدَقة، الوجه الكالِح الطالِح!

لهذا عرَضه السياقُ مباشرةً بعدَ عرْض الوجه الطيّب السَّمح الطاهِر الجميل الودود، عرَضَه عرضًا منفِّرًا، يكشف عمَّا في عملية الرِّبا مِن قُبح

وشناعة، ومِن جفاف في القلْب وشرٍّ في المجتمع، وفساد في الأرْض وهَلاك للعِباد.

ولم يبلغْ مِن تفظيع أمْرٍ أراد الإسلامُ إبطالَه مِن أمور الجاهلية ما بلَغ مِن تفظيع الرِّبا، ولا بلَغ مِن التهديد في اللفظ والمعنى ما بلَغ التهديد في أمْر الرِّبا - في هذه الآيات وفي غيرِها في مواضعَ أُخرى - ولله الحِكمة البالِغة. اهـ.

قلت: ولقدْ شبَّه الله - تعالى - الذين يَستحلُّون التعاملَ بالرِّبا والاحتيال في ذلك بمَن يتخبَّطه الشيطانُ كما قال – تعالى :- (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) -البقرة: ٢٧٥.

والسُّنَّة الصحيحة فيها مِن الأحاديث عن خُطورةِ هذه الكبيرة ما يَشيبُ منها الوِلْدانُ، مِن ذلك:

•حديث: "الرِّبا اثنان وسَبعون بابًا، أدناها مِثل إتيانِ الرجلِ أُمَّه، وإنَّ أرْبَى الرِّبا استطالةُ الرجلِ في عِرْض أخيه".-2-

•وحديث لعن آكِل الرِّبا ومُوكِله، وكاتبَه وشاهديه، وقال: "هُم سواء"-3-.

وجاء في كتاب "الزواجر عن اقتراف الكبائر -4-"ما نصُّه:

الرِّبا لُغةً: الزيادة، وشرْعًا: عقدٌ على عِوض مخصوصٍ غيرِ معلوم التماثُل في مِعيار الشرع حالةَ العقد، أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما. اهـ.

واعلم أخي القاري:

أنَّ الرِّبا نوعان: رِبا الفضل، ورِبا النَّسيئة؛ ورِبا الفضل :هو بيعُ الأجناس الربويَّة بالأجناس الربويَّة مع الزِّيادة، وهو مُحرَّم بالسُّنة والإجماع؛ لأنَّه ذريعة إلى رِبا النَّسيئة.

ورِبا النسيئة :هو الزِّيادة المشروطة التي يأخُذها الدائن مِن المدين نظيرَ التأجيل.

وهذانِ النوعانِ مُحرَّمانِ بالكتاب والسنَّة وإجماع الأئمَّة.
وللأسفِ الشديد كثيرًا مِن البنوك تتعامَل اليومَ بالرِّبا بنوعَيهِ وتُقرِض بفوائدَ مشروطةٍ وزيادات مدمِّرة للأفراد والجماعات على المدَى الطويل والقصير.

قال العلامة ابن باز:
والواقِع اليومَ هو أكثرُ ما يَتعلَّق بالديون، وهي التي تَتعاطاها البنوكُ في إقراضِهم للناس، وفي أَخْذِهم البيعَ على الناس، في اقتراضِهم وإقراضِهم، فأخذهم الودائعَ اقتراض، ودَفْعُهم المال لغيرِهم إقْراض، فالرِّبا في هذا وفي هذا كلُّه ممنوع، فلا يجوز لصاحبِ البنك ولا لغيرِه مِن التُّجارِ أن يُقرِض بزيادة ولا يَقترضَ بزيادة، كلُّه رِبا، محل إجماع ومحل وِفاق بيْن أهلِ العِلم، فإذا أعطَوْه الودائعَ على أنَّه يعطيه في المائة خمسة، أو في المائة عشرة بعدَ شهر، أو بعد سَنة أو أقل أو أكثر، هذا هو الرِّبا المحرَّم، وهو في الحقيقةِ عندَ التحقيق اجتمَع فيه رِبا الفضل ورِبا النسيئة؛ لأنَّه أعطاهُم ألفًا وزيادةً مؤجَّلة، فصار فيه رِبا الفضل ورِبا النسيئة جميعًا. اهـ.
قلت :وهناك مِن الناس مِن العامَّة - ويُؤيِّدهم أدعياءُ العِلم بفتاويهم الشاذَّة - مَن يتحايل لارتكابِ الربا بطُرُقٍ شيطانية، مثال ذلك ما ذَكَره الشيخ ابن عثيمين:

مِن مَسائلِ العِينة أو مِن التحيُّل على الرِّبا ما يَفعَله بعضُ الناس اليوم، يحتاج إلى سيَّارة، فيَذهب إلى تاجِر، ويقول: أنا أحتاجُ السيَّارة الفلانية في المعرِض الفلاني، فيذهب التاجرُ ويشتريها مِن المعرِض بثمن، ثم يَبيعها بأكثرَ مِن الثمن على هذا الذي احتاجَ السيارةَ إلى أجَل، فهذا حيلةٌ ظاهرةٌ على الرِّبا؛ لأنَّ حقيقةَ الأمر أنَّه أقْرَضه ثمنَ السيَّارة الحاضرة بزيادة؛ لأنَّه لولا طلبُ هذا الرجلِ ما اشتراها، وهذه حيلةٌ واضِحة، وإنْ كان - مع الأسَف - كثيرٌ مِن الناس انغمَس فيها، ولكن لا عِبرةَ بعملِ الناس، العِبرة بتطبيقِ الأحكام على النصوصِ الشرعيَّة.

قلت :ومثال ذلك أيضًا: أن يَبيعَ البعضُ سلعةً إلى أجَل ثُم يبتاعها مِنَ المشتري بأقلَّ مِن ذلك، فهذا مع التواطُؤِ يُبطِل الَبيعين؛ لأنَّها حِيلة.
ومِن ثَمَّ ليحذر المسلمُ مِن أدعياء العلم الذين يتحايلون على الشَّرعِ؛ لتحليل الرِّبا لسببٍ مِن الأسباب الشخصيَّة اوالدنيويَّة!

•مِثل مَن طلَب تغييرَ كلمة فوائد التي ترتبط في أذهانِ الناس بالرِّبا إلى عوائدَ، وكأنَّما الحرامُ يَصير حلالاً بتغيير اسمِه!

قال العلاَّمة ابنُ باز - رحمه الله - بعد أنْ ذكَر أدلَّة تحريم الرِّبا مِنَ الكتاب والسنَّة ردًّا على مَن قال: إنَّ التعامل مع البنوك الرِّبويَّة حلالٌ، ما نصه:
"فهذه بعضُ الأدلَّة مِن كتاب الله وسُنة رسوله محمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم - التي تبيِّن تحريمَ الرِّبا وخطرَه على الفَرْد والأمَّة، وأنَّ مَن تعامل به وتعاطاه، فقدِ ارتكبَ كبيرةً مِن كبائر الذنوب، وقد أصبح محاربًا لله ولرسوله، وقال الموفَّق ابنُ قُدامة - رحمه الله تعالى - في كتابه "المغني" :"أجمعتِ الأمَّةُ على أنَّ الربا مُحرَّم"، وقال ابنُ المنذر في كتاب" الإجماع" :"أجْمَعوا على أنَّ السَّلف إذا شرَط على المقترض زيادةً أو هَدِيةً، فأسْلَف على ذلك أنَّ أخْذَ الزيادة على ذلك رِبًا، سواءٌ كانت الزيادةُ في القَدْر أو الصِّفة"، ومِن المعلومِ أنَّ الاشتراكَ في البنوك الربويَّة، أو الإيداع فيها أو الاقتراض منها بفوائدَ - كل ذلك مِن المعاملات الرِّبويَّة التي نهَى الله - سبحانه - ورسولُه - صلَّى الله عليه وسلَّم - عنها فيَجِب الابتعادُ عنها)8(اهـ.
• وكذلك مِثل الذي أباح الرِّبا كأنْ نذَرَ فقال: "إذا نذَر المقترضُ مالاً معينًا لمقرضِه ما دام دَينُه أو شيءٌ منه صحَّ نذرُه، بأن يقول: لله عليَّ ما دام المبلغُ المذكور أو شيء منه في ذِمَّتي أن أعطيَك كلَّ شهر أو كلَّ سَنَة كذا. اهـ.
ونحن ليس في حاجةٍ لذكر أسمائهم، وإنما غايتنا بيانُ هذا التدليس والتحايل لتحليلِ ما حَرَّم الله، وأجمع عليه العلماءُ الثقات، ولقدْ ردَّ الشيخ الألباني- رحمه الله - على مَن أباح الرِّبا بالنذر، فقال:-9-
ومعنى ذلك أنَّه يُحلِّل للمقترِض أن يأخذَ فائدةً مسمَّاة كلَّ شهر أو كلَّ سنة مِن المستقرض إلى أن يُوفي إليه دَينَه، ولكنَّه ليس باسمِ: رِبا، بل باسم نَذْر يجب الوفاء به، وهو قُرْبة عنده !فهل رأيتَ أيها القارئُ تلاعبًا

بأحكام الشريعة واحتيالاً على حُرماتِ اللّٰه مثلما فَعَل هذا الرجلُ المتعالِم؟!

أمَّا أنا فما أعلم يَفعل مثلَه أحدٌ إلا أن يكونَ اليهود الذين عُرِفوا بذلك منذُ القديم، وما قصَّة احتيالهم على صَيْد السَّمك يومَ السبت ببعيدةٍ عن ذِهن القارئ، وكذلك قولُه - صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم -: "قاتَل ٱللّٰه اليهود؛ إنَّ اللّٰه لَمَّا حَرَّم عليهم الشحمَ جمَّلوه -أي: أذابوه- ثم باعوه وأكلوا ثمنه"؛ رواه الشيخان في" صحيحيهما"، وهو مُخرَّج في" الإرواء " (1290)، بل إنَّ ما فَعَله اليهودُ دون ما أتى به هذا المتمشيخُ، فإنَّ أولئك وإنِ استحلوا ما حَرَّم اللّٰه، فإنَّ هذا شاركَهم في ذلك، وزاد عليهم أنَّه يَتقرَّب إلى اللّٰه باستحلالِ ما حَرَّم اللّٰه بطريق النذر! اهـ.
قلتُ :وأمثال هؤلاء الأدعياءِ قدْ كشَفَهم اللّٰه عندَما قال - جلَّ شأنُه :-
(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ *فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ *وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ *أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ) -البقرة: ٩ - ١٢.
وخُلاصةُ المسألة :أنْ تَعلم - أخي القارئ - يقينًا أنَّ كلَّ مالٍ كان مِن الرِّبا فإنَّ مصيرَه في هذه الدنيا الخسَار والبوار؛ لأنَّ الرِّبا كبيرةٌ مِن الكبائر العظيمة، وإيَّاك والتعاملَ به ولا يغرنَّك خطباءُ الفِتنة وأدعياء العِلم وكثرةُ الهالكين مِن المتعاملين به، فإنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع.

كيف تُحصِّن نفسَك مِن هذه الكبيرة؟
اعلم - أخي القارئ - أنَّ اللّٰه تعالى ما ظَلَّم العباد شيئًا؛ فقد خلقَنا في أحسنِ تقويمٍ وأنعَمَ علينا بِنِعم لا حصرَ لها، مِن سمعٍ وبصَرٍ وحواسَّ أخرى، وبَعَثَ الرسلَ والأنبياء إلينا مُبشِّرين ومُنذرين، وما حَرَّم علينا شيئًا إلا جعَل لنا بديلاً حلالاً.

فهو - سبحانه - حَرَّم علينا الزِّنا وأحلَّ لنا الزواج، حرَّم الرِّبا وأحلَّ البيع، حرَّم الخمرَ وأحلَّ لنا باقي المشروبات، وهكذا.
ثم إنَّه - سبحانه - يَسَّر لنا أمرَ العبادات، فرخَّص لنا بالإفطارِ في رمضانَ لِعُذر كالسَّفَر أو المرض.

وكذلك في الصلاة رخّص لنا تأديتها قعودًا، أو حسبَ الاستطاعة، وما يُقال عنِ الصيام والصلاةِ يُقال عن باقي العبادات، فدِيننا يُسرٌ ولله الحمدُ والمِنَّة.
ومِن ثَم يكون مِن ظُلْمِك لنفسك أن تخرُج عمَّا أحله الخالِق - جلَّ وعلا - إلى ما حَرَّمه وأنْذَر مَن يتعامل به بالحرب.
وهنا سؤالٌ يطرح نفسه :ماذا عنِ البنوك الإسلامية؛ هل يجوز التعامُلُ معها؟
قال العلاَّمة ابن باز - رحمه الله - في الفتاوى:(10)
"أمَّا ما يَتعلّق بالبنوكِ الإسلاميَّة، فإنَّها - بحمد الله - لها وجود، وقدْ كَثُرت، ونسألُ آللّه أن يَزيدها كثرةً، وأن يوفّق القائمين عليها لإصابةِ الحقّ، وأن يُعيذَهم مِن نزغات الشيطان ومِن دُعاة النار، ويَنبغي أن يُعلَم أنَّ لها أعداءً، ولها خصومًا؛ لأنَّ أصحابَ البنوك الربويَّة لا يَرْضَون عنها، ويُحبُّون أن يُشوِّهوا سُمعتَها مهما قَدروا؛ حتى تبقى لهم مآكلُهم في هذه البنوكِ الرِّبويَّة.

ثم قال :وقدِ اطلعنا على نِظامِ بعضها، ودَرَسه أيضًا مجلسُ هيئة كبار العلماء في هذه البِلاد، واتَّضح له بالأكثرية سلامتُها مِن الرِّبا، وأنَّها جيّدة، هذه بعض البنوك التي اطّلعنا عليها، ولها لجنةٌ فِقهيَّة تُشاور وتَعرِض عليها المعاملاتِ، وتقرُّ ما يُوافِق الشرع، وتَمنَع ما يُخالِف الشرع، وليستْ معصومةً، هم فقهاءُ أو علماء وليسوا معصومين، قد يقَع الخطأ منهم ومِن غيرهم، لكنَّها في الجملة بنوكٌ تتحرَّى الأمْر الإسلامي، وتتحرَّى المعاملةَ الإسلاميَّة، وهي تعمل بمضاربات، بمضاربة تَشتري السلعَ وتبيعها بفائدة، وما تَجمَّع يُقسَم بين المشتركين، لهم نِظام في ذلك معروف. اهـ.
قلت :إذًا فقدْ جعَل الله تعالى لنا مَخرجًا وبَديلاً مِن هذه الكبيرة، وهذا مِن لُطْفِه وكَرمه، فكُن - أخي القارئ - مسلمًا حقًّا بعدَم التعامُل مع البنوكِ الربويَّة والحَذَر مِن المبيعات الربويَّة المشبوهة، وارجعْ في كلِّ ما يهمُّك إلي العلماءِ الثِّقات مِن أهلِ السُّنَّة، وحذارِ مِن خُطباءِ الفِتنة وعلماءِ الدنيا الذين يُشكّكون الناسَ في دِينهم فيَسمع المرءُ منهم ويُنكِر.
لماذا شهادةُ الرجل بشهادةِ امرأتين؟!
ولماذا يُحرِّم الربا وعليه يقومُ الاقتصادُ العالميُّ؟!

ولماذا تَصيبُ الرَّجُل في الميراثِ كنصيبِ امرأتين؟! ولماذا لا تُسافِر المرأةُ بدونِ مَحْرَم وإذنِ الزوج؟!.. إلخ.

ويَعتقدون أنَّهم أصحابُ رُؤية تقدميَّة وأنَّهم يُدافِعون عن الدِّينِ أكثرَ مِن أهله مِن العلماء وَرَثة الأنبياء، والله يعلم أنَّهم كاذبون، وحسبُنا الله ونِعمَ الوكيل.

والله مِن وراءِ القصد وهو يَهدي السبيل.

-1-في "ظلال القرآن"؛ لسيد قطب.
-2-الألباني "السلسلة الصحيحة"(ح/ ٤ / ٤٨٨)
-3-أخرجه مسلم، كتاب البيوع، باب لعن آكل الربا وموكله، (١٥٩٨)
-4-كتاب "الزواجر عن اقتراف الكبائر"؛ لابن حجر الهيتمي (المتوفى: ٩٧٤هـ)
-5-المقصود به: التأجيل والتأخير؛ أي: الرِّبا الذي يكون بسببِ التأجيل.
-6-مجموع فتاوى العلاَّمة عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - (المتوفَّى: ١٤٢٠هـ) - جمع وطبع: محمد بن سعد الشويعر.
-7-الشرح الممتع على زاد المستقنع (٨/ ٢١١) لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) - نشر: دار ابن الجوزي.
-8-مجموع فتاوى العلامة عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - (المتوفَّى: ١٤٢٠هـ).
-9-انظر: تعليق الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) في سلسلة الأحاديث الضعيفة (ح/ ٤١٦)
-10-مجموع فتاوى العلاَّمة عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -(المتوفى: ١٤٢٠هـ) - جمع وطبع: محمد بن سعد الشويعر.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/36093/#ixzz5h0sHlssg

٧

الإسراف وضرره على الأفراد والجماعات

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مُضل له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصَحْبه أجمعين.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) -آل عمران: ١٠٢-.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) -النساء: ١.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) -الأحزاب: ٧٠ - ٧١-.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدَق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أمَّا بعدُ، فهذا البحث على الرغم من صِغَر حَجْمه، فإنه عظيم النفع - إن شاء الله تعالى، لماذا؟ لأنه يعالج موضوع الإسراف، وهو موضوع على درجة عظيمة من الأهميَّة؛ لأنه انتشَر وتفشَّى بين المسلمين في القرن الواحد والعشرين، وقد عمَّ الإسراف كلَّ شيء؛ الصالح والطالح، وهو أمر يُنذر بضرر شديد في الدنيا والآخرة.

ومن ثَمَّ استعَنت بالله على المُضي قُدمًا في بيان خطورة هذا الموضوع، وبيان أقسامه وأنواعه من الناحية الشرعيَّة، فضلاً عن آثاره

وأضراره، ووَضْع الحلول الشرعيَّة لعلاج ما أفسَده في الدين والدنيا، وذلك بإيجاز شديد دون تطويلِ مُملِّ، أو تقصير مُخِلِّ.

هذا، وقد راعَيْت في البحث إلقاء الضوء على النقاط التالية:

♦ المعنى اللغوي والشرعي للإسراف.
♦ أنواع الإسراف وضرره.
♦ وسائل علاج الإسراف.

وبعدُ:

أسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم، ولايكون للشيطان فيه حظٌّ ولا نصيبٌ، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

المعنى اللغوي والشرعي للإسراف:

بادئ ذي بَدءٍ، ينبغي أن نبدأ بحثنا بالتعريف اللغوي والشرعي للإسراف، وما في معناه من التبذير والترف؛ ليُدرك القارئ الكريم أوْجه الاختلاف بينهما.

المعني اللغوي والشرعي للإسراف:

الإسراف أو السَّرَف، وهما بمعنًى واحد، جاء في القاموس (1)(ما مُختصره:

"قيل: أرادَ بالسَّرَف الغَفلة، يقال: رجل سَرِفُ الفؤاد؛ أي: غافل، وسَرِفُ العقْلِ؛ أي: قليلُه، وقيل: هو من الإسْراف والتَّبذير في النَّفقة لغير حاجةٍ، أو في غير طاعة الله، والغالبُ على ذِكره الإكثارُ من الذنوب والخطايا، واحْتقاب الأوزار والآثام"؛ ا.هـ.

وقال ابن منظور في اللسان2" :

"السَّرَف والإسراف: مجاوزة القصد، وأسرَف في ماله: عجل من غير قصدٍ، وأمَّا السَّرَف الذي نَهى الله عنه، فهو ما أُنْفِق في غير طاعة الله؛ قليلاً كان أو كثيرًا، والإسراف في النفقة: التبذير...، وقيل: هو مجاوزة القصد في الأكل مما أحلَّه الله"؛ ا.هـ.

أمَّا التعريف الشرعي للإسراف، فقال الحافظ ابن حجر في تعريف الإسراف هو: "مجاوزة الحد في كل فِعل أو قولٍ، وهو في الإنفاق أشهر.) 3)"

ويتبيَّن لنا مما سبَق أنَّ المعنى اللغوي لا يختلف كثيرًا عن المعنى الشرعي، فهو أيضًا مُجاوَزة الحد في إنفاق المال وغيره.

وأمَّا التبذير فقد جاء في اللسان (٤/ ٥٠) ما مختصره:
"قيل: من البذر الذي هو الزرع، وهو راجع إلى التفريق...، وبذر ماله: أفسَده وأنفقَه في السَّرَف، وكل ما فرَّقتَه وأفسدتَه، فقَدْ بذَّرْتَه...، وتبذير المال: تفريقه إسرافًا، ورجل تِبْذارة: للذي يُبذِّر ماله ويُفسده، والتبذير: إفساد المال وإنفاقه في السَّرَف"؛ ا.هـ.

أما معناه الشرعي، فقد قال القرطبي في تفسيره:)4)
"قال الشافعي: التبذير إنفاق المال في غير حقِّه، ولا تبذير في عمل الخير، وهذا قول الجمهور، وقال أشْهَب عن مالك: التبذير هو: أخْذ المال من حقِّه ووَضْعه في غير حقِّه، وهو الإسراف"؛ ا.هـ.

وجاء في آداب الدين والدنيا (ص٢٩٩): "واعْلَم أنَّ السرف والتبذير قد يَفترق معناهما، فالسرف: هو الجهل بمقادير الحقوق، والتبذير: هو الجهل بمواقع الحقوق، وكلاهما مذموم، وذَمٌّ التبذير أعظم؛ لأن المسرف يُخطئ في الزيادة، والمُبذِّر يُخطئ في الجهل"؛ ا.هـ.

وأمَّا التَّرف، فقال ابن منظور في اللسان (٩/ ١٧)، مادة "ترف" ما مُختصره:
"الترف: التنعُّم، والتُّرْفَة: النَّعْمة، والتَّتْريف: حُسن الغذاء، وصبيٌّ مُترف: إذا كان مُنعَّمَ البدن مُدَلَّلاً، والمُترف: الذي قد أبْطَرتْه النعمة وسَعة العيش، وأتْرَفته النعمة؛ أي: أطْغَته"؛ ا.هـ.

وأمَّا معناه الشرعي، فقال الشوكاني" :)5)والمُترف: الذي أبْطَرته النعمة، يقال: صبي مُترف: مُنَعَّم البدن، أي صاروا تابعين للنعم التي صاروا بها مُترفين من خصب العيش ورفاهية الحال، وسعة الرِّزق،

وآثروا ذلك على الاشتغال بأعمال الآخرة، واستَغْرقوا أعمارهم في الشهوات النفسانيَّة"؛ ا.هـ.

وبعد بيان المدْلول اللُّغوي والشَّرْعي للإسراف، وما يدور في معناه من التبذير والترف، ينبغي التنبيه دومًا إن الإسراف من الأمراض التي انتشَرتْ وتفشَّت بين المسلمين في زماننا هذا، وإن لَم يُعالج على الوجه الشرعي، فإنَّ أضراره في الدين والدنيا على الأفراد والجماعات فادحة وخطيرة، ويَنبغي كذلك أن يُدرك المسلم جيدًا أنَّ الإسراف وما في معناه من التبذير والترف - يشكِّلون معًا مثلثًا لكيد الشيطان وتلبيسه، على رأس المثلث الإسرافُ، وضِلْعاه التبذيرُ والترَف، وهذا المثلثُ الشيطانيُّ أصاب الأُمة الإسلاميَّة بأمراضٍ اجتماعيَّة ونفسيَّة وبدنيَّة خطيرة في الدين والدنيا؛ كما سوف نُبيّن في هذا البحث.

ولهذا كان لهذا المثلث الشيطانيِّ في الكتاب والسُّنة الشيءُ الكثير؛ قَدْحًا وذمًّا، وترهيبًا وترغيبًا، وسوف نذكر الآيات والأحاديث تباعًا حسب موضعها في البحث، ولكن ينبغي أن نُبيّن أن الإسراف - سواء في الدين أو الدنيا - يَندرج تحت ثلاثة أقسام، وهي بإيجاز شديد:
القسم الأول :إسراف محرَّم شرعًا، حرَّمه الله ورسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم.
القسم الثاني :إسراف مكروه، وهو ما جاوَز الشرع وتعاليمه، وله أصل في الدين.
القسم الثالث :إسراف مُباح، وهو ما أباحَه واستحبَّه الشرع بشروط، ولَم يُقيّده بحدٍّ مُعَيَّن.

وإذا أدْرَكنا ماهية كلِّ قسم من أقسام الإسراف، وما يدور في مداره من التبذير والترف، فسيكون من اليسير على القارئ الكريم عند قراءته لمادة هذا البحث، وبيان أنواع الإسراف المختلفة - إدراك إلى أيِّ قسم ينتمي هذا النَّوع من الإسراف أو ذاك، وسوف نبيّن ذلك أيضًا للتنبيه عليه، مع بيان الأدلة من الكتاب والسُّنة على حُرمته، أو كراهته، أو إباحته شرعًا، والله المستعان.

أنواع الإسراف وضرره في الدين والدنيا:

وتَطرح هنا بعضًا من أنواع الإسراف من كلِّ قسم مما ذكَرناه آنفًا، مع بيان الأدلة من الكتاب والسُّنة الصحيحة، والله المستعان.

أولاً: من أنواع الإسراف المحرَّم:

وهي كثيرة، ونكتفي هنا بطرح ثلاثة أنواع على سبيل المثال لا الحصر، واجْتهدت في بيان أشدِّ الأنواع من وجهة نظري ضررًا على الفرد والمجتمع، والله المستعان.

-1الإسراف في القتل:

القَتْل كبيرة من كبائر الذنوب وأعظمها، عدا الشِّرك، ولَم يُبح الشرع القتل إلاَّ في أضيق نِطاق؛ كالقصاص من القاتل، وقَتْل المُرتد عن دينه، وما أشبه ذلك؛ حتى تستقيمَ حياة الناس: دينًا ودنيا؛ قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) -الإسراء: ٣٣-.

قال الشوكاني في فتح القدير (6) ما مُختصره:

"والمراد بالتي حرَّم الله: التي جعَلها معصومة بعصمة الدين أو عصمة العهد، والمراد بالحق الذي استثناه: هو ما يُباح به قتْل الأنفس المعصومة في الأصل، وذلك كالرِّدة والزنا من المُحصن، وكالقصاص من القاتل عمدًا وعدوانًا، وما يَلتحق بذلك، والاستثناء مُفَرَّغ؛ أي: لا تقتلوها بسبب من الأسباب، إلاَّ بسببٍ مُتلبس بالحقّ، أو إلاَّ مُتلبسين بالحق، ثم بيَّن حُكم بعض المقتولين بغير حقّ، فقال: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا) -الإسراء: ٣٣-؛ أي: لا بسبب من الأسباب المسوّغة لقتْله شرعًا، (فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيّهِ سُلْطَانًا) -الإسراء: ٣٣-؛ أي: لِمَن يَلي أمره من وَرَثته إن كانوا موجودين، أو ممن له سلطان إن لَم يكونوا موجودين، والسلطان: التسلُّط على القاتل إن شاء قَتَل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخَذ الدِّيَة، ثم لَمَّا بيَّن إباحة القصاص لِمَن هو مُستحق لدم المقتول، أو ما هو عِوَض عن القصاص، نَهاه عن مجاوزة الحد، فقال: (فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) -الإسراء: ٣٣-؛ أي: لا يُجاوز ما أباحَه الله له، فيَقتل بالواحد اثنين أو جماعة، أو يُمثِّل بالقتيل أو يُعَذِّبه، ثم قال رحمه الله: (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) -الإسراء: ٣٣-؛ أي: مؤيدًا مُعَانًا؛ يعني: الوَلِيَّ، فإن الله - سبحانه - قد نصَره بإثبات القصاص له بما أبرَزه من الحُجج وأوضَحه

من الأدلة، وأمَر أهل الولايات بمعونته والقيام بحقِّه حتى يَستوفيَه، ويجوز أن يكون الضمير راجعًا إلى المقتول؛ أي: إنَّ الله نصرَه بوَليِّه"؛ ا.هـ.

وقال تعالى :(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) -المائدة: ٣٢-.

قال ابن حجر الهيتمي: في "الزواجر 7"(ما مختصره:
"جُعِل قتْلُ النفس الواحدة كقتْل جميع الناس؛ مبالغة في تعظيم أمْر القتل الظُّلم، وتفخيمًا لشأنه؛ أي: كما أنَّ قَتْل جميع الناس أمرٌ عظيم القُبح عند كلِّ أحد، فكذلك قتل الواحد يجب أن يكون كذلك، فالمرادُ مشاركتهما في أصل الاستعظام لا في قَدْره؛ إذ تشبيه أحد النظيرين بالآخر، لا يقتضي مساواتهما من كلِّ الوجوه، وأيضًا فالناس لو عَلِموا من إنسان أنه يريد قَتْلهم، جَدُّوا في دَفْعه وقتْله، فكذا يلزمهم إذا عَلِموا من إنسان أنه يريد قَتْل آخر ظُلمًا أن يَجِدُّوا في دَفْعه، وأيضًا مَن فعَل قتلاً ظُلمًا، رجَّح داعية الشر والشهوة والغضب على داعية الطاعة، ومَن هو كذلك يكون بحيث لو نازَعه كلُّ إنسان في مطلوبه وقدَر على قَتْله، قتَله، ونيَّة المؤمن في الخيرات خيرٌ من عمله كما ورَد، فكذلك نيَّته في الشر شرٌّ من عمله، فمَن قتَل إنسانًا ظُلمًا، فكأنما قتَل جميع الناس بهذا الاعتبار"؛ ا.هـ.

وفي الأحاديث النبويَّة الصحيحة تحذيرٌ من القتل بغير حق، ولقد جعَل النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - القتل من كبائر الذنوب وأعظمها بعد الكفر بالله، وأكتفي هنا - منعًا للإطالة - بحديث واحدٍ في الصحيحين وفيه الكفاية، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "اجْتَنبوا السبع المُوبقات"، قالوا: وما هنَّ يا رسول الله، قال: "الشِّرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحقّ، وأكْل الرّبا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزَّحف، وقَذْف المُحصنات المؤمنات الغافلات".)8

وقال ابن تيميَّة - رحمه الله - في "الاستقامة)9("ما مُختصره:
"وترتيب الكبائر ثابت في الكتاب والسُّنة؛ كما في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال: "قلتُ: يا رسول، أيُّ الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعلَ لله ندًّا وهو خَلَقك"، قلت: ثم أي؟ قال: "أن تقتلَ ولَدك خشية أن يَطعمَ معك"، قلت: ثم أي؟ قال: "أن تُزاني بحليلة جارك" .)10(وتصديق ذلك في كتاب الله :(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ) -الفرقان: ٦٨-.

ولهذا قال الفقهاء: أكبر الكبائر الكفر، ثم قتْل النفس بغير حقّ، ثم الزنا، لكن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ذكَر لابن مسعود من جنسٍ أعلى، فأعلى الكفر هو أن تجعلَ الله نِدًّا، بخلاف الكتابي الذي ليس بمُشرك، فإنه دون ذلك، وأعظم القتل قَتْلُ ولَدك، وأعظم الزنا، الزنا بحليلة الجار"؛ ا.هـ.

-2الإسراف في المال والتبذير فيه:
الإسراف في المال: هو ما جاوَز حدَّ الاعتدال إلى التبذير أو الترف، وكلاهما ممقوت شرعًا، وسنذكر هنا مثالاً للتدليل على ذلك؛ كالسَّرف في شُرب وتعاطي الدُّخَان وما يجري مجراهما، ونبدأ ونقول بحول الله وقوَّته: إنَّ التدخين إسراف وتبذير في المال، وهو حرام قطعًا، ولا عِبرة لِمَن قال؛ إنه مكروه، فهو قول على الله بغير علمٍ؛ لأنه أولاً تبذير للمال من غير طائلٍ، وثانيًا ضرَره على الصحة والبدن مُدَمِّر على المدى القصير والطويل، فهو يُشبه الانتحار البطيء، والتدخين أسرَف في شُربه الكثيرُ من العباد؛ حتى صار عادة عمَّت وانتشَرت بين الناس على اختلافهم وثقافتهم وحالتهم الاجتماعية، فالطبيب يدخِّن، وهو يعلم خطورة التدخين على الصحة، والمريض يُدخِّن رغم عِلمه بخطورة حالته، والرجل عمومًا يدخن والمرأة كذلك، وحتى الشباب وصغار السنّ الذين لا يتجاوَز عُمرهم عشر سنوات، تراهم يدخنون بشراهة جهارًا نهارًا، بلا حسيبٍ أو رقيب؛ قال تعالى :(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) - المائدة: ١٠٠-.

وأنا لا أدري كيف يستوي الخبيث والطيِّب؟

وقد قال النبي - صلّى الله عليه وسلّم -: "لا ضرر ولا ضرار".-11-

والملاحظ أنّ معظم وفَيات العالَم الصناعي المتقدِّم في أوروبا وأمريكا، إنما هي بسبب التدخين، ولقد خصَّصوا أماكن خاصة لغير المدخنين، وفرَضوا عقوبات صارمة على مَن يدخِّن في الأماكن العامة؛ لخطورة الدُّخَان؛ لأن أضراره وعواقبه وخيمة على الصحة العامّة، فهو يُعَرّضك للجلطة، وتصلُّب الشرايين، كما أنه يؤدي إلى الْتهاب الجفون، وما هو أسوأ من ذلك وهو الْتهاب عَصَب الإبصار والعَمى، والتدخين يتسبَّب أيضًا في تسوُّس الأسنان واصفرارها، واسودادها، ويتسبَّب في الْتهاب اللثة، وتقرُّحات الفم واللسان، والربو، وضيق النَّفَس، والسُّعال، والبُصاق، وضَعف كفاءة الرئة، وسوء الهضم، وتليُّف الكبد، والسكتة الدماغية، والذبحة الصدرية، وإصابة شرايين المخّ بالتصلُّب، ويُسبِّب الغثيانَ، والإمساكَ المُزمنَ، والصداعَ، والأَرَقَ، والفشلَ الكُلوي، وضَعفَ السمع، وفِقدانَ حاسَّة الشمّ أو إضعافَها، وضَعْفَ الجهاز المناعي... إلخ.

فالتدخين ضرره في الدين والدنيا لا يُجادل فيه إلاَّ جاحد، بل هو إسراف ومصيبة متعدِّدة النواحي والمصائب، وحسبنا الله ونعم الوكيل؛ قال تعالى :(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) -الإسراء: ٢٧-.

قال الطبري "12في تفسيره ما مختصره:

"وأمَّا قوله :(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِين)، فإنه يعني: إنَّ المفرّقين أموالَهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته - أولياءُ الشياطين، وكذلك تقول العرب لكلِّ ملازم سُنة قومٍ وتابع أثَرهم: هو أخوهم.

(وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)، يقول: وكان الشيطان لنعمة ربِّه - التي أنعمَها عليه - جحودًا، لا يَشكره عليه، ولكنه يَكفرها بتَرْكه طاعة الله، وركوبه معصيتَه، فكذلك إخوانه من بني آدم، المبذِّرون أموالَهم في معاصي الله، لا يشكرون الله على نِعمه عليهم، ولكنهم يخالفون أمره ويعصونه"؛ ا.هـ.

وليتذكَّر المُدخِّن المُسرف على نفسه هذا الحديث الشريف عن نَضْلَة بن عُبيد الأَسْلمي؛ عسى أن يفيقَ من غَفلته، ويُقلع عن التدخين كله بأنواعه، قال - رضي الله عنه -: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا تزول قدَمَا عبدٍ يوم القيامة؛ حتى يُسأل عن عُمره فيمَ أفناه، وعن عِلمه فيما فعَل فيه، وعن ماله من أين اكْتَسبه، وفيمَ أنفَقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه".(13)

هذا وقد أفْتَت (14)اللجنة الدائمة للبُحُوث العلميَّة والإفتاء برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - عن شُرب الدُّخَان وبَيْعه بالحُرمة، وإليك نصَّ الفتوى؛ ليحيا مَن حيَّ عن بيّنة، ويَمت من مات عن بيّنة:

س :ما حُكم الإسلام فيمَن يتَّجر في الدُّخَان (السجائر) التي تُباع بواسطة الرُّخصة من طرف شركة الدُّخَان؟

ج :شُرب الدخان حرام، وزَرْعه حرام، والاتِّجار به حرام؛ لِما فيه من الضرَر العظيم، وقد روي في الحديث: "لا ضرَر ولا ضِرار"(15)، ولأنه من الخبائث، وقد قال الله تعالى في صفة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -:(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) -الأعراف: ١٥٧-، وقال : (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) -المائدة: ٤-؛ ا.هـ.

3-الإسراف في الشهوات والخروج عن الفطرة السويَّة:

الله - سبحانه وتعالى - خلَق الإنسان في أحسن تقويم، وجعَله خليفته في الأرض، وسخَّر له كلَّ الكائنات لخِدمته، من أجْل أداء مهمَّته على الوجه الأكمل، وأنزَل عليه الكُتُب لهدايته؛ حتى يَلتزم بالمنهج الذي يُعينه على سلوك طريق الاستقامة، وبعَث له الأنبياء والرُّسل مُبَشِّرين ومُنذرين؛ حتى لا يُسرف على نفسه ويتجاوَز ما شرَع الله له.

فإذا خرَج بعد كلِّ هذا واتَّبع شيطانه، وخالَف فِطرته، وأصبَح أسير شهواته وملَذَّاته، فلا يلومَنَّ إلاَّ نفسه، ولقد حذَّر الله تعالى من هذا الترف الزائد عن الحدِّ والفِسق الذي يُخالف الفطرة السويَّة، فقال تعالى : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) -الإسراء: ١٦-.

قال العلاَّمة الشنقيطي في "أضواء البيان" (٣/ ١٥٩) ما مُختصره:
(أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رُسله وأتْباعهم فيما جاؤوا به، (فَفَسَقُوا)؛ أي: خرَجوا عن طاعة أمر ربِّهم، وعَصَوه وكذَّبوا رُسله، (فَحَقَّ عَلَيْهَا القول)؛ أي: وجَب عليها الوعيد، (فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)؛ أي: أهْلَكناها إهلاكًا مستأصلاً، وأكَّد فِعل التدمير بمصدره؛ للمبالغة في شِدَّة الهلاك الواقع بهم"؛ ا.هـ.

وفي السُّنة الصحيحة ترهيب شديدٌ من ارتكاب الفِسق والفواحش، والخروج عن الفطرة السَّويَّة؛ قال النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "يا معشر المهاجرين، خَمس إذا ابْتُلِيتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تُدركوهنَّ: لَم تَظهر الفاحشة في قوم قطُّ؛ حتى يُعلنوا بها، إلاَّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لَم تكن مضَت في أسلافهم الذين مَضَوْا..."؛ الحديث16-"

وأرى من الأهميَّة بمكان أن أُلقي مزيدًا من الضوء على خطورة هذا النوع من الإسراف، وأنقل هنا ما قاله صاحب كتاب "الإعجاز العلمي في السُّنة النبوية"؛ لأهميَّته (17)في إثبات ما نسعى إليه، قال ما نصه:

"ومن هنا كان تحذير القرآن الكريم من مجرَّد الاقتراب من الفواحش: ما ظهَر منها، وما بطَن، وكانت أحاديث رسولنا - صلَّى الله عليه وسلَّم - ومنها الحديث الذي نحن بصدده - الذي ذكرناه آنفًا - وقد جاء يدقُّ أجراس الخطر من إشاعة الفاحشة في المجتمعات إلى حدِّ الإعلان بها، وما يستوجب ذلك من عقاب الله العاجل بالأمراض والأوجاع التي لَم تكن مضَت في أسلافهم، ولقد صدَّقت الأحداث نبوءَة المصطفى - صلَّى الله عليه وسلَّم - فبعد أن استباحَت الحركة الصِّهْيَونية العالمية نَشْرَ الفواحش في المجتمعات الإنسانيَّة، من أجْل تدميرها والهيمنة عليها، ابتداءً بالزنا واللواط، ونكاح المحرَّمات، ومرورًا بالخمر والميسر والمخدرات، وانتهاءً بالتشريع للشذوذ الجنسي بمختلف صُوَره الشنيعة، فيُصِر كلٌّ من المجالس التشريعية - مثل: مجلس العموم البريطاني، والكونجرس الأمريكي، والعديد من المجالس الأوروبية، وقادة الكنيسة الأوروبية، وقادة الكنيسة الغربية - على الإقرار بحقّ الشواذ في مُمارسة أفعالهم الفاحشة والمنافية للفطرة بحماية القانون، دون أن

ينقص ذلك من حقوقه شيئًا، إلى حدّ أن يرث بعضه بعضًا بحقّ الفاحشة الممارسة بينهم، وأن ينالوا كلَّ ما تناله الأُسرة العادية من حقوق ورعاية وحماية من الدولة وتشريعاتها وقوانينها، بل ويجدون مِن عُلماء النفس والطب والوراثة ما يُبَرّر لهم فواحشهم! فأصبحوا اليوم يعلنون عن أنفُسِهم، ويخرجون بأعدادٍ كبيرة - في مسيرات ومُظاهرات مُهينة لكرامة الإنسان، وجارحة لأنظار المشاهدين - في غير حياءٍ ولا خجل، بل بتباهٍ بالفُحش الفاضح! وقد شجَّعت المُجاهرة بالفحش مزيدًا من الأفراد على الانضمام إلى رَكبهم الشيطاني، وفيهم الوزراء والمديرون، والأطباء والمهندسون، وأساتذة الجامعات، والمدرسون ورؤساء المعابد اليهوديَّة والكنائس المسيحية، وغيرهم من القيادات السياسية والاجتماعية، والدينية والتعليميَّة والعِلميَّة، وأصبَحت لهم الأجهزة الإعلامية التي تدافع عن انحرافهم، وتُشرّع لشذوذهم، وتطالب لهم بمزيد من الحقوق، وتُحارب كلَّ مَن يَنتقد أعمالهم المَشينة، أو يحاول إصلاحهم وإخراجهم من الوحل الذي يعيشون فيه، وأصبَحت لهم جمعياتهم وروابطهم ونواديهم ومحافلهم التي يُعلنون عنها بلا خجلٍ! والتي تَجمع فيها هؤلاء الملوَّثون الدَّنسون القَذِرون، من شياطين الإنس الذين خالفوا الفطرة التي فطَرهم الله عليها، فانْحَطُّوا بأنفسهم إلى ما هو أدنى من مستوى الحيوانية التي تعفُّ عن انحطاطهم، فعاقَبهم الله بأمراض نقص المناعة المُكتسبة؛ من مثل: مرض الإيدز، وهو لَم يكن معروفًا من قبلُ بين أفراد البشر وما أهلَك قوم لوط من قبل بعقابٍ لَم يَعرفه سابقوهم، ومن أمراض نقص المناعة مرض الإيدز، والأيبولا وغيرهما، ومرض الإيدز الذي يُعرف باسم: سرطان الشواذ، أو باسم: طاعون القرن العشرين، وهو مرض جديد على الإنسان، ثم قال:

فقد بدا هذا الفيروس في اجتياح عالَم الرزيلة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨م، وفي خلال ثلاث سنوات - أي: إلى مطلع عام ١٩٨١م - كان عدد المصابين المعروفين بهذا المرض في حدود العشرات، تعدَّى عددهم الآن عشرات الملايين (18)في المجتمعات الإباحيَّة بجميع دول العالم، وفي مقدّمتها دول الغرب التي تدَّعي أنها دولٌ متقدّمة ومتحضّرة، ودول وسط وجنوب إفريقيا المتخلفة، وسبب ذلك الانحلال في الحالتين البُعد عن الدين الصحيح، فقد وصَل عدد

المصابين بأمراض نقص المناعة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها أكثر من عشرة ملايين، وفي أستراليا أكثر من المليون"؛ ا. هـ.

قلت :هذه النبوة عن الأمراض - بسبب الإسراف في الفواحش والتَّرف - ظهَرت في المجتمعات الغربية في أوروبا وفي أمريكا على نطاق واسع، وهي ليستْ منَّا ببعيد، بعد أن أصبَح العالم كله نافذة مفتوحة، يعلم كلُّ فردٍ فيه ما يحدث في أقصى بلاد العالم في التوّ واللحظة، فنحن نعيش أزهى عصور العلم الذي يَفتح آفاقًا جديدة كلَّ يوم، ولا أدري أتزيد من تقدُّم الأُمم وتحضُّرها بعُقلائها؟ أم إلى تخلُّفها بسُفهائها ومجانينها؟!

أقول :ما حدَث هناك يحدث هنا فعلاً في مجتمعاتنا الإسلاميَّة من مسلمين بالاسم دون المسمَّى، ممن لا رادعَ لهم من دين أو ضمير، وفي الخَفاء وعلى استحياء، وصدَق النبي المعصوم - صلَّى الله عليه وسلَّم - في قوله: "لتتَّبِعُنَّ سَنَن مَن قبلكم؛ شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍّ، لسَلَكْتُموه"، قيل: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمَن؟".19

من أنواع الإسراف المكروه:

الإسراف المكروه: هو إسراف في أمر له أصل في الشرع، ولكن بخروجه عن حدِّ الاعتدال المأمور به، صار مكروهًا وإسرافًا ممقوتًا، لَم يأمر به الشرع، بل نَهى عنه، ويَنطبق هذا عمَّا يخصُّ أمور الدنيا، فإن كان في الدين، فالأصل فيه التوقُّف وعدم الزيادة عمَّا شُرع؛ لأنه يؤدي إلى التنطُّع المكروه، وهو الزيادة عن السُّنة فيما له أصل، ولَم يأمر به النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ويُخاف عمَّن يَرتكبه من الزيادة فيما لَم يُشرع النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - لأُمَّته، وهو البدعة المحرَّمة قطعًا، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ولقد أمرَنا الله بطاعة رسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - في كل ما يخصُّنا - دينًا ودنيا - ونهانا عن مخالفته، وعلى المسلم أن يتَّبع ولا يَبتدع، والآيات والأحاديث في الترهيب من ذلك كثيرة، منها:

قوله تعالى :(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) -النساء: ٦٥-، وقوله تعالى :(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) -الحشر: ٧-.

ومن الأحاديث النبويَّة الصحيحة قوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "كل أُمَّتي يدخلون الجنة إلاَّ مَن أبى"، قيل: ومَن يأبى يا رسول الله؟ قال: "مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى"(20)، وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "هلَكَ المتنطِّعون، قالها ثلاثًا".(21)

قال النووي: "قوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "هلَك المتنطِّعون"؛ أي: المتعمِّقون الغالون، المُجاوزون الحدودَ في أقوالهم وأفعالهم."

وقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "مَن أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ"(22)، وفي رواية لمسلم: "مَن عمل عملاً ليس عليه أمرُنا، فهو ردٌّ".

قال النووي - رحمه الله - في شرح الحديث:
"قوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "مَن أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ"، وفي الرواية الثانية: "مَن عَمِل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو ردٌّ"، قال أهل العربية: (الرَّدُّ) هنا بمعنى: المردود، ومعناه: فهو باطل غير مُعتدٍّ به."

وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كَلِمه - صلَّى الله عليه وسلَّم فإنه صريح في ردِّ كل البدع والمُخترعات.

وفي الرواية الثانية زيادة، وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبَق إليها، فإذا احْتُجَّ عليه بالرواية الأولى، يقول: أنا ما أحْدَثت شيئًا، فيُحْتَجُّ عليه بالثانية التي فيها التصريح بردِّ كل المُحدثات؛ سواء أحدَثها الفاعل، أو سُبِق بإحداثها"؛ ا.هـ.

ومِن ثَمَّ سنكتفي هنا - منعًا للإطالة في مادة هذا البحث - بتوضيح ماهيَّة السَّرَف المكروه في كلِّ من الدين والدنيا، مع ضَرْب مثال مع واحدٍ لكلِّ منهما، مع بيان الأدلة الشرعيَّة من الكتاب أو السُّنة الصحيحة؛ ليحيا من حيَّ عن بيِّنة، ويَهْلِك مَن هلَك عن بيِّنة، والله المستعان.

أولاً: الإسراف المكروه في الدين:

قلنا :إنَّ الأصل في الدين أو العبادات، التوقُّف وعدم مجاوزة الشرع فيما لَم يُرَخِّص فيه، حتى لو كان له أصل في الشرع؛ كالصلاة والصيام والصدقة... إلخ.

لماذا؟ لأنه يؤدي بالتبعة إلى التنطُّع والغُلوّ في الدين، وربما يؤدي إلى الزيادة فيما لَم يُشرع لنا الله ورسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فيقع صاحبها في البدعة المحرَّمة - والعياذ بالله، ومن أمثلة هذا الإسراف: السَّرَف في التعبُّد، وإهمال الحقوق، ومن أدلَّته:

1- حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يسألون عن عبادة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - فلمَّا أُخْبِروا، كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - قد غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم: أما أنا، فإني أُصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أُفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوَّج أبدًا، فجاء رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتُم كذا وكذا، أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطر، وأُصلي وأَرْقُد، وأتزوَّج النساء، فمَن رَغِب عن سُنَّتي، فليس مني".(23)

ومن الحديث يتبيَّن رَفْضُ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - لهذا التنطُّع-(24)والغلو في العبادة، والزيادة فيها بما لَم يُشرعه ويسنه لأُمَّته، رغم شرعيَّة الأعمال التي أرادوا أن يعملها هؤلاء الزُّهط؛ لأنه تشدُّد وإسراف يُخالف الطبيعة الإنسانيَّة وقُدرتها على التحمُّل.

وجاء في "سُبل السلام"؛ للصنعاني (٤/ ٤٢٧) ما مختصره:

"وهو دليل على أنَّ المشروع هو الاقتصاد في العبادات، دون الانهماك والإضرار بالنفس، وهَجْر المألوفات كلِّها، وأنَّ هذه الملَّة المحمديَّة مبنيَّة شريعتها على الاقتصاد والتسهيل والتيسير، وعدم التعسير؛ (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) -البقرة: ١٨٥-، ثم قال: وأراد - صلَّى الله عليه وسلَّم - بقوله: "فمَن رَغِب عن سُنَّتي - عن طريقتي - فليس منِّي"؛ أي: ليس من أهل الحنفيَّة السهلة، بل الذي يتعيَّن عليه أن يَفطُر ليقوى على الصوم، وينام ليقوى على القيام، ويَنكح النساء ليعفَّ نظره وفَرْجه، وقيل: إن أراد مَن خالَف هَدْيه - صلَّى الله عليه وسلَّم - وطريقته أنَّ الذي أتى به من العبادة أرجحُ مما كان عليه - صلَّى الله عليه وسلَّم - فمعنى: "ليس مني"؛ أي: ليس من أهل مِلَّتي؛ لأن اعتقاد ذلك يؤدي إلى الكفر"؛ ا. هـ.

2-حديث أبي جُحيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - آخَى بين سلمان وبين أبي الدرداء، قال: فجاءه سلمان يزوره، فإذا أمُّ الدرداء متبذِّلة(25)، فقال: ما شأنك يا أمَّ الدرداء؟ قالت: إنَّ أخاك أبا الدرداء يقوم الليل ويصوم النهار، وليس له في شيء من الدنيا حاجة، فجاء أبو الدرداء، فرحَّب به وقرَّب إليه طعامًا، فقال له سلمان: اطْعَم، قال: إني صائم، قال: أقْسَمت عليك لتفطرنَّ، ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل معه ثم بات عنده، فلمَّا كان من الليل، أراد أبو الدرداء أن يقومَ، فمنَعه سلمان، وقال له: يا أبا الدرداء، إن لجسدك عليك حقًّا، ولربِّك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، صُمْ وأفْطِر، وصلِّ، وائْتِ أهلَك، وأعْطِ كلَّ ذي حقّ حقَّه، فلمَّا كان في وجه الصُّبح، قال: قمِ الآن إن شئتَ، قال: فقاما فتوضَّأا، ثم ركعا، ثم خرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليُخبر رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بالذي أمرَه سلمان، فقال له رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "يا أبا الدرداء، إنَّ لجسدك عليك حقًّا مثل ما قال سلمان"، وفي رواية: "صدَق سلمان".(26)

قال المباركفوري (27)في شرح الحديث ما مختصره:
"وفيه مشروعيَّة تزيين المرأة لزوجها، وثبوت حقّ المرأة على الزوج، وحُسن العِشرة، وقد يؤخذ منه ثبوت حقِّها في الوطء؛ لقوله: "ولأهلك عليك حقًّا"، ثم قال: "وَائْتِ أهلك" كما في رواية الدارقطني، وقرَّره النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - على ذلك، وفيه جواز النهي عن

المُستحبَّات إذا خُشِي أنَّ ذلك يُفضي إلى السآمة والمَلل، وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فِعلها على فِعل المستحب المذكور، وأنَّ الوعيد الوارد على مَن نَهى مُصلّيًا عن الصلاة مخصوص بِمَن نهاه ظُلمًا وعدوانًا، وفيه كراهية الحَمْل على النفس في العبادة"؛ ا.هـ.

ثانيًا: الإسراف المكروه في الدنيا:

الإسراف المكروه فيما يخصُّ أمور الدنيا، هو إسراف في أمور مباحة شرعًا، وسبب الكراهية فيها أنها تؤدي إلى أضرار وخيمة؛ سواء كانت بدنيَّة، أم نفسية، أم غير ذلك، ومثال ذلك: الإسراف في الطعام والشراب، وها هي الأدلة من الكتاب والسُّنة، والله المستعان.

بدهي أنَّ الإسراف في الطعام والشراب الحلال له أضراره على الصحة، والإسراف في الملبس تبذير وتَرَفٌ مكروه ما لَم يُحرمه الشرع، فإن كان حرامًا - كلُبْس الرجال للحرير مثلاً – يكن هذا سَرَفًا محرَّمًا قطعًا؛ قال تعالى :(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) -الأعراف: ٣١-.

قال الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٣٠) ما مختصره:

"والزينة ما يتزيَّن به الناس من الملبوس، أُمروا بالتزيُّن عند الحضور إلى المساجد للصلاة والطواف، قوله :(وكُلُوا وَاشْرَبُوا * وَلاَ تُسْرِفُوا)، أمَرَ الله - سبحانه - عباده بالأكل والشرب، ونَهاهم عن الإسراف، فلا زُهد في تَرْك مطعمٍ ولا مشرب، وتاركه بالمرَّة قاتلٌ لنفسه، وهو من أهل النار؛ كما صحَّ في الأحاديث الصحيحة، والمُقلل منه على وجه يَضعُف به بَدنُه، ويَعجِز عن القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة، أو سعي على نفسه وعلى مَن يعول - مُخالفٌ لِمَا أمَرَ الله به وأرشد إليه، والمُسرف في إنفاقه على وجه لا يَفعله إلاَّ أهل السَّفه والتبذير - مُخالف لِما شرَعه الله لعباده، واقعٌ في النهي القرآني، وهكذا مَن حرَّم حلالاً، أو حلَّل حرامًا، فإنه يدخل في المسرفين، ويخرج عن المُقتصدين، ومن الإسراف الأكل لا لحاجة، وفي وقتِ شبع"؛ ا.هـ.

وقال النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "كُلوا واشربوا، والْبَسوا وتصدَّقوا في غير إسراف ولا مَخِيلَة"، وقال ابن عباس: "كُلْ ما شئتَ، والْبَس ما شئتَ ما أخْطَأتْك اثنتان: سَرَف، أو مَخِيلة.)28("

وقال أيضًا النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يُقِمْنَ صُلبه، فإن كان فاعلاً لا محالة، فثُلُث لطعامه، وثُلُث لشرابه، وثُلُث لنَفَسه".)29(

وهكذا يتبيَّن لنا أنَّ الإسراف في المأكل والمشرب والملبس كلُّه مذموم في الشريعة السَّمحاء.

من أنواع الإسراف المباح:

ونبدأ أولاً بتعريف ما المقصود بالمباح؟

المُباح عند علماء الأصول هو: ما أَذِن الشارع في فِعله وتَركه، وخلا من المدح أو الذم، وزيادة في البيان والتوضيح نذكر هنا كلام الحافظ ابن حجر في شرحه للمقصود "بإضاعة المال" من قول النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "إنَّ الله حرَّم عليكم عقوق الأُمهات، ومَنْعًا وهاتِ، ووأْدَ البنات، وكَره لكم قيلَ وقال، وكثرةَ السؤال، وإضاعة المال"-30-، قال: والحاصل في كثرة الإنفاق ثلاثة أوجه:

الأول :إنفاقه في الوجوه المذمومة شرعًا، فلا شكَّ في مَنْعه.

والثاني :إنفاقه في الوجوه المحمودة شرعًا، فلا شكَّ في كونه مطلوبًا بالشرط المذكور.-31-

والثالث :إنفاقه في المباحات بالأَصالة كملاذِّ النفس، فهذا ينقسم إلى قسمين:

أحدهما :أن يكون على وجه يَليق بحال المُنفق وبقَدْر ماله، فهذا ليس بإسرافٍ.

والثاني :ما لا يَليق به عُرفًا، وهو ينقسم أيضًا إلى قسمين:

أحدهما :ما يكون لدَفْع مَفسدة؛ إمَّا ناجزة، أو متوقَّعة، فهذا ليس بإسرافٍ.

والثاني :ما لا يكون في شيء من ذلك، فالجمهور على أنه إسراف"؛ ا.هـ.

ومِن ثَمّ يتبيَّن لنا أنَّ المباح في الشرع ليس على إطلاقه في كلِّ الأعمال، بل هو نوعان:

النوع الأول:

أعمال أبَاحتها الشريعة، وجاز الزيادة فيها دون تقييدٍ أو تحديد؛ مثل: ذِكر الله، وتلاوة القرآن، والدعاء والاستغفار، وتعلُّم العلم الشرعي... إلخ، فهذا وغيره - مما دَلّ عليه الشرع - مباحٌ وليس فيه سرَفٌ.

ومن أدلة هذا النوع من الكتاب والسُّنة ما يلي:

♦قال تعالى عن الذِّكر :(وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) -الجمعة: ١٠-.

♦وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يذكر الله تعالى على كل أحيانه".-32-

♦وقال تعالى عن طلب العلم واستذكاره :(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) - طه: ١١٤-.

♦وقال النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "مَن سلَك طريقًا يلتمس فيه عِلمًا، سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة".-33-

فمثل هذه الأعمال وغيرها - التي أباحَها الشرع - لا إسراف فيها البتَّة.

النوع الثاني:

♦ما أباحَته الشريعة ما لَم يَخرج عن الحدِّ الذي يَنقله من دائرة المباح للمكروه؛ كالصدقات بالأموال، والجود بها على الفقراء والمحتاجين، وليس في ذلك سَرَفٌ.

ويجب ملاحظة أنَّ الفارق بين السَّرَف والجود، أنَّ السَّرَف تبذيرٌ للمال من غير ضرورة شرعيَّة أو دنيويَّة؛ مباحة كانت، أو غير مباحة، وأمَّا الجود فهو وَضْع المال في موضعه المشروع والمباح.

ومن أدلة هذا النوع من القرآن والسُّنة:

♦قوله تعالى :(إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) -البقرة: ٢٧١-.

♦ومن السُّنة ما رُوي عن سعد بن أبي وقَّاص - رضي الله تعالى عنه - قال: قلت: يا رسول الله، أنا ذو مالٍ، ولا يَرثني إلاَّ ابنة لي واحدة، أفأتصدَّق بثُلُثي مالي؟ قال: "لا"، قلت: أفأتصدَّق بشَطره؟ قال: "لا"، قلت: أفأتصدَّق بثُلُثه؟ قال: "الثُّلُث، والثُّلُث كثير؛ إنَّك إن تَذَرَ ورَثتك أغنياءَ، خير من أن تَذَرهم عالةً يتكفَّفون الناس".-34-

قال النووي في شرح الحديث ما مُختصره:

"قوله: "وأنا ذو مال" دليل على إباحة جَمْع المال؛ لأنَّ هذه الصيغة لا تُستعمل في العُرف إلاَّ لمالٍ كثير، قوله: "ولا يَرثني إلا ابنة لي"؛ أي: ولا يَرثني من الولد وخواص الوَرَثة، وإلاَّ فقد كان له عَصَبة، وقيل: معناه: لا يَرثني من أصحاب الفروض، قوله: "أفأتصدَّق بثُلُثي مالي؟"، قال: "لا"، قلت: أفأتصدَّق بشَطره، قال: "لا، الثُّلُث والثُّلُث كثير"؛ أي: يَكفيك الثُّلُث، وفي هذا الحديث مراعاة العدل بين الورثة والوصيَّة؛ قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: إن كان الورثة أغنياءَ، اسْتُحِبَّ أن يوصي بالثُّلُث تبرُّعًا، وإن كانوا فقراءَ، اسْتُحِبَّ أن ينقصَ من الثُّلُث، وأجْمَع العلماء في هذه الأعصار على أنَّ مَن له وارثٌ لا تَنْفُذ وصيَّته بزيادة على الثُّلُث إلاَّ بإجازته، وأجْمَعوا على نفوذها في جميع المال، وأمَّا مَن لا وارثَ له، فمذهبنا ومذهب الجمهور أنه لا تَصِحُّ وصيَّتُه فيما زاد على الثُّلُث، وجوَّزه أبو حنيفة وأصحابه، وإسحاق وأحمد في إحدى الروايتين عنه، ورُوي عن علي وابن مسعود - رضي الله عنهما.

وأمَّا قوله: "أفأ تصدَّق بثُلُثي مالي؟"، فيحتمل أنه أراد بالصدقة: الوصيَّة، ويحتمل أنه أراد: الصدقة المُنجزة، وهما عندنا وعند العلماء كافة سواء، لا يَنْفُذ ما زاد على الثُّلُث إلا برضا الوارث، وقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "إنَّك إن تَذَرَ ورَثتك أغنياءَ"، قال - رحمه الله:-

وفي هذا الحديث حَثٌّ على صِلة الأرحام، والإحسان إلى الأقارب، والشفقة على الورَثة، وأن صِلة القريب الأقرب والإحسان إليه أفضل من الأبعد، واستدلَّ به بعضُهم على ترجيح الغني على الفقير"؛ ا.هـ.

قلت :وجاز - والله أعلم - استحبابًا، وليس بلازم التصدُّق بالمال كله، شريطة عدم وجود ضرر؛ لا على مَن يعول، ولا الوَرَثة من بعده، وهذا من السَّرَف المباح؛ وذلك لأدلة، منها:

حديث زيد بن أسْلم عن أبيه، قال: سَمِعت عمر بن الخطاب يقول: "أمرَنا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أن نتصدَّق، فوافَق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبقُ أبا بكر، إن سبقتُه يومًا، قال: فجِئت بنصف مالي، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "ما أبقيتَ لأهلك"، قلت: مِثْلَه، وأتى أبو بكر بكلِّ ما عنده، فقال: "يا أبا بكر، ما أبْقيتَ لأهلك"، قال: أبْقيتُ لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسْبقه إلى شيء أبدًا".-35-

قلت :وقد يظنُّ القارئ أنَّ هناك تعارُضًا بين قصة عمر وأبي بكر الذي تصدَّق فيها بكلِّ ماله وحديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - الذي ينهاه النبي - صلى الله عليه وسلم - عن التصدُّق بأكثر من الثُّلُث، وعلى الرغم من أننا في مادة هذا البحث نطرح موضوع الإسراف؛ لأننا أثَرنا هذه النقطة بالاستشهاد بالحديثين، فإنه من الواجب رَفْع الإشكال لدى القارئ الكريم، فها هو الطبري والحافظ ابن حجر - رحمهما الله - قد فنَّدا شُبهة التعارُض، فقد قال ابن حجر:-36-

"قال الجمهور: مَن تصدَّق بماله كله في صحَّة بدنه وعقله؛ حيث لا دَيْن عليه، وكان صبورًا على الإضاقة، ولا عيال له، أو له عيال يصبرون أيضًا - فهو جائز، فإن فُقِد شيء من هذه الشروط، كُره، وقال بعضهم: هو مردود"، ثم قال: "وقال آخرون: يجوز من الثُّلُث ويُرَدُّ عليه الثُّلُثان، وهو قول الأوزاعي، ومكحول، وعن مكحول أيضًا يُرَدُّ ما زاد على النصف، قال الطبري: والصواب عندنا الأول من حيث الجواز، والمختار من حيث الاستحباب أن يُجعَل ذلك من الثُّلُث؛ جمعًا بين قصة أبي بكر وحديث كعب، والله أعلم"؛ ا.هـ.

وسائل علاج الإسراف في الدين والدنيا:

بعد أن وضَّحنا أقسام الإسراف وأنواعه المختلفة، وأضراره في الدين والدنيا، فمن المنطقي أن يكون مِسْك الختام هو بيان وسائل علاجه على مستوى الأفراد والجماعات.-37-

وبادئ ذي بَدءٍ، نقول بحول الله وقوَّته: إن هناك وسائلَ عدَّة، منها ما يتعلق بالدِّين، ومنها ما يتعلَّق بالدنيا، وأكتفي هنا في هذا البحث بذِكر أهم أربع وسائل، مع طَرْح أمثلة توضيحية؛ لنُدرك أبعادها وفوائدها على الواقع الذي نعيش فيه؛ لتعمَّ الفائدة، ونُدرك خطورة إسرافنا لو استمرَّ الوضع على ما هو عليه، والله المستعان.

الوسيلة الأولى: القناعة الذاتية في المعيشة والإنفاق:

هذه الوسيلة تَنبع من باطن المسلم وقوَّة إيمانه سلبًا وإيجابًا، دون إكراه أو ضغوطٍ، وهي دليل على حبِّ العبد ومراقبته لله تعالى، وابتغاء مَرضاته؛ يَجعله يَلتزم بالمنهج الشرعي الذي يأمره بالزُّهد والتقشُّف، ولا يُحَرّم عليه التمتُّع بالطيّبات من الرزق، ما دام لا يَخرج به عن حدِّ الاعتدال غير المرغوب فيه؛ قال تعالى :(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) -القصص: ٧٧-.

قال ابن كثير في تفسيره:-38-

أي: اسْتَعْمِل ما وهبَك الله - من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة - في طاعة ربِّك والتقرُّب إليه بأنواع القُربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة، (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)؛ أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربِّك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولزَوْجك عليك حقًّا، فآتِ كلَّ ذي حقّ حقَّه، (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)؛ أي: أحْسِن إلى خَلْقه كما أحسَن هو إليك، (وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأرْضِ)؛ أي: لا تكنْ هِمَّتك بما أنت فيه أن تُفسد به الأرض، وتُسيء إلى خَلْق الله؛ (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)"؛ ا.هـ.

وقال النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "قد أفلحَ مَن أسلم ورُزق كَفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه"-39-، وكان النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يدعو ويقول: "اللهمَّ ارْزُق آلَ محمدٍ قوتًا"-40-، قال ابن حجر في شرح الحديث:

"قال ابن بطَّال: فيه دليل على فضْل الكَفاف وأخْذ البُلْغة من الدنيا، والزهد فيما فوق ذلك؛ رغبةً في توفُّر نعيم الآخرة، وإيثارًا لِمَا يبقى على ما يَفنى، فينبغي أن تَقتدي به أُمَّته في ذلك، وقال القرطبي: معنى الحديث أنه طَلب الكفاف، فإنَّ القوت ما يقوت البدن، ويكفُّ عن الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعًا، والله أعلم"؛ ا.هـ.

قلت :ومن أهم الأسباب المؤدِّية إلى الهموم والغموم التي تُصيب كثيرًا من بيوت المسلمين: عدم القناعة بما أعطاهم الله، والتفاخُر بينهم في الإنفاق بسَفَهٍ؛ بغرض التنافُس المَمقوت والإسراف في المظاهر، واللجوء إلى الاستدانة، رغم قلة الإمكانيَّات الماليَّة عند البعض منهم؛ مما يؤدي إلى تراكُم الديون التي تُثقل كاهِلَهم، وتُفسد أخلاقهم، وتَدفعهم إلى طريق الحرام دفعًا، أو على الأقل التقصير في حقّ الله تعالى ومعصيته، وكفى بهذا جهلاً وسَفَهًا.

ولو تأمَّلنا الواقع على مستوى الإنفاق المذموم للأفراد والجماعات، لتعجَّبنا من كثرة الاحتفالات والولائم؛ سواء في إقامة حفلات الزواج في أفخر الفنادق، أو النوادي، أو ما أشبه ذلك من الأماكن التي تحتاج إلى مبالغ طائلة، أو غير ذلك من الأمور؛ من أجْل مظاهر كاذبة ليستْ من الدِّين في شيء البتَّة.

الوسيلة الثانية: تشجيع التفقُّه في الدين لزيادة الوعي الديني:

والتشجيع يكون بفَتْح بيوت الله، والاهتمام بها، وتشجيع وتكريم العلماء الثِّقات ورَثة الأنبياء، والدُّعاة المخلصين والمجتهدين؛ لشَرْح تعاليم الدين الصحيحة فيها على منهج السلف الصالح، مُلتزمين بفقه الواقع ومصالح العباد دينًا ودنيا، بلا إفراطٍ أو تفريط.

أمَّا مُحاربتهم ومَنْعهم؛ حتى يموت الكثير منهم دون أن يستفيدَ الناس من علمهم وفِقههم، وتَرْك أهل الأهواء والبِدع والتصوُّف يُفسدون عقول الناس في بيوت الله بما لَم يُشرعه الله ولا رسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فهو ما حذَّر منه النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقال: "إنَّ الله لا يَقبض العلم انتزاعًا يَنتزعه من العباد، ولكن يَقبض العلم بقَبْض العلماء، حتى إذا لَم يَبق عالِم، اتَّخذ الناس رؤوسًا جُهَّالاً، فسُئِلوا، فأَفْتوا بغير علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا".-41-

ولا ريبَ أنَّ فِقدان الوعي الديني والأُميَّة الدينيَّة المنتشرة بين الناس اليوم، لهما عواقبُ وخيمة على السلوك العام؛ لأنَّ الجهل من أعظم الأسباب المؤدِّية إلى البدع والخُرافات، والبُعد عن منهج الله تعالى وسُنَّة رسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم.

ومِنْ ثَمَّ ينبغي الاهتمام بتفقيه الناس بأمور دينهم؛ لأهميَّة ذلك في السلوك العام والخاص، وما مشكلة السَّرَف إلاَّ مشكلة عالجَها الدين، ووضَع الحلول لها، ومعرفة الناس بها وتطبيقها على الوجه الصحيح يُسهم إسهامًا فعَّالاً في القضاء على ظاهرة الإسراف بكافة أنواعه وأقسامه؛ ولهذا حثَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أُمَّته على التفقُّه في الدِّين، فقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "مَن يُرد الله به خيرًا، يُفَقِّهه في الدِّين".-42-

قال المُناوي في "فيض القدير" (٣١٥/٦) ما مختصره:
""مَن يُرد الله به خيرًا"؛ أي: مَن يُرد الله به جميع الخيرات، (يُفقِّهه) بسكون الهاء؛ لأنها جواب الشرط (في الدِّين)؛ أي: يُفهمه عِلم الشريعة بالفقه؛ لأنه علمٌ مُستنبط بالقوانين والأدلة والأقْيسة، والنظر الدقيق، بخلاف علم اللغة والنحو والصرف، ثم قال: فمفهوم الحديث أنه من لَم يتفقَّه في الدين؛ أي: يتعلَّم قواعد الإسلام، لَم يُرد الله به خيرًا"؛ ا.هـ.

قلت :ومِنْ ثَمَّ ينبغي للمسلم أن يَطلب العلم، ويَجتهد في ذلك؛ ليتفقَّه في العلوم الشرعيَّة، والتي هي أشرف العلوم بجانب العلوم الدنيويَّة؛ ليُسهم إسهامًا فعَّالاً في إدراكه للواقع الذي يعيش فيه، ويَلتمس بنورها الطريق السليم الذي يَنبع عن سلوك واقتناع كامِلَين بخطورة المشاكل

والأزمات - كمشكلة السَّرَف مثلاً - التي تعترض طريق سعادته وفلاحه دينًا ودنيا، فيُدرك ما ينبغي عمله حيال تصرُّفاته، فيَنتهج بإرادته الحرَّة التي يدفعها إيمانه بالله وحبُّه لرسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ثم عِلمه ومعرفته بما يرضي الله وما يُسخطه عليه، وهذا يؤدي بالتَّبعة على استقامة الأمر على مستوى الأفراد والجماعات.

الوسيلة الثالثة: استغلال وسائل الإعلام المختلفة للتوجيه والإرشاد:
وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية في زماننا هذا - لها تأثير عظيمٌ على سلوكيَّات أفراد الأُمة، وينبغي لِمَن في يده إدارة هذه الوسائل أن يوجِّهها لحلِّ مشاكل المجتمع ومشكلة الإسراف منها؛ لأن خطره يُحيط بالجميع؛ لأنه وسيلة للترف المذموم، وهو حاصل اليوم في الوسائل المرئيَّة فيما تبثُّه قنوات التلفاز وأطباق الدش والفضائيَّات من أفلام إباحيَّة وجنسيَّة، ومسلسلات خليعة، ومسرحيات ماجنة... إلخ.

وكلها تدعو إلى الفِسق، وتُشيع الفواحش بين العباد، ونتائجها مدمِّرة للقِيَم، مُخالفة للدين، وأين هؤلاء من قوله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) -النور: ١٩-.

وكذلك يفعل خُطباء الفتنة من أنصار التجديد والتحديث، من أتْباع أبي جهل وعبدالله بن أُبَي بن سلول - نسأل الله العافية -عندما يُسرفون في التشكيك والسخرية في الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، وفي المؤتمرات والندوات... إلخ.

يُشكِّكون العباد في الثوابت الإسلاميَّة، ويُحَرِّضونهم على التمرُّد على الدين والاستهانة بالعلماء العاملين بالكتاب والسُّنة، ويَصفونهم بالجمود والتطرُّف... إلى آخره، وهؤلاء هم الذين وصَفهم النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "دُعاة على أبواب جهنَّمَ، من أجابَهم إليها قذَفوه فيها"، قلت :يا رسول الله: صِفْهم لنا، فقال: "هم مِن جِلدتنا، ويتكلَّمون بألْسِنتنا".-43-

فلو عَمِل مَن بيده هذه الوسائل على نَشْر التوعية السليمة، وقدَّم أهل الفضل والعلم على أهل الفِسق والفجور، واستخدَم هذه الوسائل لخدمة المجتمع، وحثَّ العباد على ما يَنفعهم في الدين والدنيا، لوجدنا العجب العُجاب؛ قال تعالى :(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) -الأعراف: ٩٦ - ٩٩-.

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٥١) :

"أي: آمنَت قلوبهم بما جاءتهم به الرُّسل، وصدَّقت به واتَّبَعته، واتَّقوا بفِعل الطاعات وتَرْك المحرَّمات، (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ)؛ أي: قَطْر السماء ونبات الأرض، قال تعالى :(وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)؛ أي: ولكن كذَّبوا رُسلهم، فعاقبناهم بالهلاك على ما كسَبوا من المآثم والمحارم، ثم قال تعالى مُخوِّفًا ومحذِّرًا من مخالفة أوامره، والتجرُّؤ على زواجره :(أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى)؛ أي: الكافرة، (أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا)؛ أي: عذابنا ونَكالُنا، (بَيَاتًا)؛ أي: ليلاً، (وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ)؛ أي: في حال شُغلهم وغَفلتهم، (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ)؛ أي: بأسه ونِقمته، وقُدرته عليهم، وأخْذَه إيَّاهم في حال سَهوهم وغَفلتهم، (فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)؛ ولهذا قال الحسن البصري - رحمه الله -: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشْفِق وَجِلٌ خائفٌ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمِنٌ"؛ ا.هـ.

الوسيلة الرابعة: عقاب المسرفين والمبذرين بالحَجْر عليهم:

أباحَت الشريعة الحَجْرَ على السُّفهاء -44-من المسرفين والمبذِّرين على المستوى الفردي والجماعي؛ حفظًا للمال العام والخاص؛ قال تعالى :(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) -النساء: ٥-.

قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢١٤) :

"ينهى تعالى عن تَمْكين السُّفهاء من التصرُّف في الأموال التي جعَلها الله للناس قيامًا؛ أي: تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها، ومن ها هنا يُؤْخَذُ الحَجْر على السُّفهاء، وهم أقسام: فتارة يكون الحَجْرُ للصغر؛ فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحَجْرُ للجنون، وتارة لسوء التصرُّف؛ لنَقْص العقل أو الدين، وتارة يكون الحجر للفَلَس، وهو ما إذا أحاطَت الديون برجل وضاقَ ماله عن وفائها، فإذا سأل الغُرَماء الحاكمَ الحَجْرَ عليه، حَجَرَ عليه"؛ ا.هـ.

وسَرَفُ الأفراد أمرٌ علاجه هَيِّن، يستطيع وَلِيُّ أمر السَّفيه - سواء كان طفلاً، أم امرأة، أم رجلاً بالغًا ناقصَ العقل أو الدين - أن يَحجُر على ماله، ويتَّخذ لذلك الطُّرق الشرعيَّة والقانونيَّة.

أمَّا السَّرَف الجماعي، فمع اختلاط المعايير والقِيَم، وضَعْف الوازع الديني والرَّدع القانوني، وعُلو أهل المنكر على أهل المعروف والفضل، حدَثت تجاوزات خطيرة طفَحت آثارها السيِّئة على السطح، فظهَرت في صُوَر شتَّى للإسراف بأنواعه الثلاثة، وقد ذكَرنا أمثلة منه فيما أسْلَفنا من البحث ما يُغنينا عن تَكراره هنا.

وفي كتاب نشَرته وزارة الشؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدعوة والإرشاد في السعودية بعنوان "مشكلة السَّرَف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام-45-"، جاء فيه ما نصُّه:

"وسرَفُ الجماعات يصدر من جهات جماعيَّة، ويأخذ الطابع الجماعي، وهو يصدق على تصرُّف المؤسَّسات، والشركات، والجمعيَّات، والدول، وكذلك الأفراد إذا انْتَظَمهم عقدٌ واحد، أو عُرْف أو تقليد واحدٌ.
وقد يُحكم على أيٍّ منها بالسَّرَف أو التَّرَف أو التبذير، بالنظر إلى التصرُّف الغالب عليها، وهذا النوع من السرف يَحمل من الخطورة والسلبيَّات أضعاف سابقه؛ لِمَا يترتَّب عليه من الآثار الوخيمة على اقتصاد البلد وثروتها، وكم نسمع أو نقرأ عن خسائر تلك الجهات وإعلان إفلاسها، بل إنَّ إلقاء نظرة سريعة على واقع دول العالم الإسلامي، تَرْزَأُ العاقل بالذهول والخجل؛ فإن كثيرًا منها - وعلى رغم ضخامة ثروتها الوطنيَّة - قد اضطرَّت إلى الاستدانة من صندوق النقد الدولي، وقد

تراكَمت عليها الديون، فأثْقَلت كاهلها، وتحوَّلت إلى أزمة كبرى لَم تستطع الخلاص منها"؛ ا.هـ.

وختامًا، لقد آن الأوان لحلِّ مشكلة الإسراف وعدم تجاهُلها، فخطره عظيم وأضراره في الدين والدنيا مدمِّرة على المستوى العام والخاص، وما ذكرناه في هذا البحث مجرّد تحذير وإلقاء الضوء على المشكلة من جهة الشرع، والله هو الهادي إلى الحق بإذنه، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم - صلَّى الله عليه وسلَّم - وعلى آله وصَحْبه أجمعين.

-1-انظر: القاموس المحيط؛ للفيروز آبادي (٢ / ٣٩٧)، -النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير الجزري (٣/ ٣٦١).

-2-انظر: لسان العرب؛ لابن منظور (٩/ ١٤٨)، مادة "بذر".

-3-انظر: فتح الباري؛ لابن حجر العسقلاني، كتاب اللباس (١٦/ ٣٢٣)، شرح قوله تعالى :(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) -الأعراف: ٣٢-.

-4-انظر: تفسير القرطبي المعروف بالجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٤٧).

-5-انظر: فتح القدير (٧/ ٤٩٦) في تفسير قوله تعالى :(وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ) -هود: ١١٦-.

-6-انظر فتح القدير؛ للشوكاني (٤/ ٣٠٣).

-7-انظر: "الزواجر عن اقتراف الكبائر"؛ لابن حجر (٣/ ٤٤٧)، كتاب الجنايات: "الكبيرة الثالثة عشرة بعد الثلاثمائة."

-8-أخرَجه البخاري في باب "رَمْي المُحصنات"، (ح٢٥٦٠)، ومسلم في الكبائر (ح ١٢٩).

-9-انظر: الاستقامة؛ لابن تيمية (ص ٤٦٨).

-10-أخرَجه البخاري في التفسير (ح ٤٣٨٩).

-11-أخرجه مالك في الأقْضِيَة (١٤٦١)، وصحَّح الألباني إسناده في الصحيحة (٢٥٠)، والإرواء (٨٩٦)، وغاية المرام (٦٨).

-12-انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٧ / ٤٣٠).

-13-أخرَجه الترمذي في صفة القيامة والرقائق (٢٣٤١(، وقال: "حسن صحيح"، وذكَره الألباني في الصحيحة (٩٤٦)، وصحيح الترغيب (١ / ٧٦).

-14-انظر: الفتوى رقْم (٤٩٤٧(للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية.
-15-سبَق تخريجه.
-16-وبقيَّة الحديث: "ولَم ينقصوا المكيال والميزان، إلاَّ أُخذوا بالسنين، وشِدَّة المُؤونة، وجَوْر السلطان عليهم، ولَم يَمنعوا زكاة أموالهم إلاَّ مُنِعوا القَطْر من السماء، ولولا البهائمُ لَم يُمطروا، ولَم يَنقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلاَّ سَلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخَذوا بعض ما في أيديهم، وما لَم تحكم أئمَّتُهم بكتاب الله ويتخيَّروا مما أنزل الله، إلاَّ جعَل الله بأْسَهم بينهم"؛ ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة، (١/ ١٦٧).
-17-هو د: زغلول النجار - حفظه الله - رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن، وأستاذ علوم الأرض، وهو في غنًى عن التعريف، وذلك نقلاً عن كتابه "الإعجاز العلمي في السُّنة النبوية"، (ص ٩٢).
-18-ليَنتبه القارئ لِمَا ذُكِر من إحصائيَّات في الكتاب، فتاريخ نشره هو (أكتوبر ٢٠٠٤ (، ولا شكَّ في تعدِّي الأرقام مما ذُكِر بكثير الآن.
-19-أخرَجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦(، ومسلم في العلم (٢٦٦٩(، وابن ماجه في الفتن (٣٩٩٤).
-20-أخرَجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنة (٧٢٨٠).
-21-أخرَجه مسلم في العلم (٢٦٧٠(، وأبو داود في السُّنة (٤٦٠٨).
-22-أخرَجه البخاري في الصُّلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأَقْضِيَة (١٧١٨)، وأبو داود في السُّنة (٤٦٠٦).
-23-أخرَجه البخاري في النكاح (٥٠٦٣(، ومسلم بمعناه في النكاح (١٤٠١(، والنسائي (٣٢١٧).
-24-التنطُّع في الدين: هو التكلُّف والغُلو في العمل بالزيادة على ما شرَع الله.
-25-أي: لابسة البذلة، وهي المهنة وزنًا ومعنًى، والمراد: أنها تاركة للبس ثياب الزينة، وذكَره الألباني في آداب الزفاف ص ٨٣.
-26-أخرَجه البخاري في الصوم (١٩٦٨(، والترمذي في الزهد (٢٤١٣).
-27-انظر: تحفة الأحوزي في شرح الترمذي (٦/ ٣٠٢).
-28-أخرَجه البخاري في اللباس، والنسائي في الزكاة (٢٥٥٩).
-29-أخرَجه الترمذي في الزهد (٢٣٨٠(، وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٤٩)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢٢٦٥(، وصحيح الترغيب (٢١٣٥).
-30-أخرَجه البخاري في الآداب (٦٤٠٨(، ومسلم في الأَقْضِيَة (٥٩٣).

31-والشرط الذي يقصده ابن حجر قوله: "ويُستثنى من ذلك: كثرة إنفاقه في وجوه البِرّ؛ لتحصيل ثواب الآخرة ما لَم يفوّت حقًّا أُخرويًّا أهمّ منه."
32-أخرَجه مسلم في الحَيْض (٣٧٣)، والترمذي في الدعوات (٣٣٨٤)، وابن ماجه (٣٠٢).
33-أخرَجه الترمذي في العلم (٢٦٤٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩).
34-أخرَجه البخاري في المغازي (٤٤٠٩)، ومسلم في الوصيَّة (١٦٢٨).
35-أخرَجه الترمذي في المناقب (٣٦٧٥)، وأبو داود في الزكاة (١٦٧٨)، والدرامي (١٦٦٠)، وحسَّن الألباني إسنادَه في المِشكاة (٦٠٢١).
36-انظر: شرح الحديث؛ لابن حجر في باب: "لا صدقة إلاَّ عن ظَهْر غِنًى" (٥/ ٣٥).
37-المقصود بالجماعات: الإسراف الذي يكون من الهيئات والمؤسَّسات والدوَل... إلخ.
38-انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٥٣).
39-انظر: السلسلة الصحيحة؛ للألباني (١/ ١٢٩).
40-أخرَجه البخاري (٥٩٧).
41-أخرَجه البخاري في العلم (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، والترمذي (٢٦٥٢).
42-جزء من حديث في الصحيحين، أخرَجه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧).
43-أخرَجه البخاري في المناقب (٣٦٠٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧) بلفظ: "يكون بعدي أئمة لا يَهتدون بهداي، ولا يَستنُّون بسُنَّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جُثمان إنس".
44-السُّفهاء: جمع سَفيه، وهو ضعيف العقل، وسيّئ التصرُّف، وسُمِّي سفيهًا؛ لخِفَّة عقله.
45-تأليف: عبدالله بن إبراهيم الطريقي.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/publications_competitions/0/39389/#ixzz5h0saTQip

كيف نعرف أنفسنا

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام علي من اصطفى، وبعد:
أخي القاري، مَن أنت وماذا تريد؟
إجابةُ هذا السُّؤال لا تحتاج إلى جهدٍ أو مشقَّة، لماذا؟
لأنَّها واضحة جلية، أنا مسلم، وأريد آللّه، والدار الآخرة، تلك هي الإجابة، وهي - كما ترى - هيّنةٌ وبسيطة؛ ولكن!!
هذه الحقيقة البديهية تحقيقُها على أرض الواقع أمرٌ في غاية الصعوبة؛ وذلك لعدَّة أسباب، منها:
1-طغيانُ العادات والتقاليد والبدع على تعاليم الكتاب والسنَّة المطهرة.
2- موت العلماء الثِّقات وندرتُهم في عصرنا الحاليّ، والذين يستريح المرءُ لكلامِهم، ويثقُ في علمهم ويتَّخذهم قدوةً.
3- علوُّ أهل المنكر على أهل المعروف، وبالتبعيَّة انتشارُ الفتنِ التي تذهبُ بلبِّ المرء وعقلِه.
ومن ثمَّ الأمرُ الذي يجب التنبيه عليه والتَّحذير منه هو عدمُ ادِّعاء الجهل بمعرفةِ إجابة هذا السُّؤال الحيويّ، من أنت وماذا تريد؟
وألا يلزم قطعًا - أخي القارئ - عند قراءتِك لهذه السطور أن تكفَّ عن قراءة المقالة؛ لأنه ليس بعد الحقّ إلا الضلال.
لأنَّ في قولك: "أنا مسلمٌ وأريدُ آللّه والدارَ الآخرة" تسليمَك، وانصياعَك للحقيقة التي يدعو لها دينُنا، الإسلام والإيمان، وعدم إقرارك بذلك يقدحُ في صحَّة إسلامك وإيمانك؛ وذلك هو الخسران المبين.
قال تعالي :﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ *وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ -آل عمران: ٨٤، ٨٥-.
إذًا؛ لا بدَّ للنفس البشرية أن تستقيمَ على أمر اللّه - تعالى - ليعقِلَ قلبُ صاحبها، ويُدرك حقيقتَها وفطرتَها التي فطرها اللّه عليها، فلا يهمل حقًّا للّه - تعالى - ولا يتخطَّى حدودَه بالوقوع فيما حرَّمه عليه، وهذا إن أراد لنفسه الصَّلاح والفلاح.

قال ابنُ القيّم في "طريق الهجرتين" "٧١/١" ما مختصره:

"كمالُ صلاح النفس غِناها بالاستقامة من جميع الوجوه، وبلوغُها إلى درجة الطُّمأنينة لا يكون إلا بعد صلاحِ القلب، وصلاحُ النَّفس متقدِّم على إصلاحها، هكذا قيل، وفيه ما فيه؛ لأنَّ صلاحَ كلٍّ واحد منهما مقارِنٌ لصلاح الآخرِ، ولكن لَمَّا كان القلبُ هو الملِكَ، وكان صلاحُهُ صلاحَ جميعِ رعيَّته، كان أَولى بالتَّقديم، ثمَّ قال بعد كلام:
وأن تكونَ هذه الاستقامة على الفعل والترك تعظيمًا لله - سبحانه – وأمرِه، وإيمانًا به واحتسابًا لثوابه وخشية من عقابه، لا طلبًا لتعظيم المخلوقين له ومدحِهم، وهربًا من ذمِّهم وازدرائهم، وطلبًا للجاهِ والمنزلة عندهم؛ فإنَّ هذا دليلٌ على غاية الفقر من الله، والبعدِ عنه، وأنَّه أفقر شيء إلى المخلوق؛ فسلامةُ النَّفس من ذلك واتِّصافها بضدِّه دليلُ غناها؛ لأنَّها إذا أذعنت منقادةً لأمر الله طوعًا واختيارًا ومحبَّةً وإيمانًا واحتسابًا بحيث تصير لذَّتها وراحتها ونعيمها وسرورها في القيام بعبوديَّته كما كان النبيُّ يقولُ: "يا بلالُ أرِحْنا بالصَّلاة""-1-" ؛ اهـ.

قلت :ومن هنا يتبيَّن لنا صعوبة التطبيق العمليِّ للوصول إلى أعلى درجات السمو الرُّوحي الذي لا يكون هناك أحبُّ إلى نفسِك من الله ورسولِه - صلَّى الله عليه وسلَّم - ولكنْ بالإخلاص والصبر على المكاره، واليقين بالله - تعالى - سوف نرى العجب العجاب.
وسنعرف أنفسَنا جيدًا، وندرك سبلَ تحقيق غايتنا وأمانينا، ونصل بأنفسنا إلى أعلى درجاتِ غنَى النفس، والتي بها تحيا القلوب وتستقيمُ على أمر الله تعالى.
هذا وقد ثبت عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنه قال: "ليس الغنَى عن كثرة العرَضِ، ولكنَّ الغنى غنى النَّفس".-2-
وهذا حقٌّ لا مرية فيه، فمتى استغنت النَّفس استغنى القلب عن اللُّجوء لغير الله - تعالى - واستقام على الطريق القويم، وعندئذٍ تحقِّق النفسُ التطبيق العمليَّ والحَرْفيَّ لمضمون هذا السؤال: "من أنتَ؟ وماذا تريد؟."
وسوف نطرح هنا خطوتيْن من أهمِّ الخطوات لمعرفة أنفسِنا، وهذا لا يمنع البتَّة من أن تكون هناك خطواتٌ أخرى يراها البعضُ لازمةً للوصول للسموِّ الرُّوحيِّ وغنى النفس، وبالتبعيَّة التطبيق العملي للإجابة على هذا السؤال: "مَنْ أنا؟ وماذا أريد؟."
وكلُّ إنسان أدرى بحقيقة نفسِه، والله المستعانُ.

الخطوة الأولي: تصنيف النفس حسَب طبقاتها:

أخي القارئ، الخطوة الأولى في طريقنا لتحقيق الإجابةِ العمليَّة على هذا السؤال: من أنت؟ وماذا تريد؟ تبدأ في معرفة طبقات النَّفس المختلفة حتى تستطيع معرفة إلى أيّ طبقة تنتمي إليها نفسُك التي بين جنبيك في طاعتها، وعلاقتها بالله - تعالى - وإنابتها إليه، ومِنْ ثَمَّ تبدأ الخطوة الثانية، وهي: محاسبةُ النفس على الخطأ، وتهذيبُها وتقويمها للأفضل ثم الانتقال للخطوة الثالثة، وهي علاجُ عيوبِها وصَقْلُ مميّزاتها بالسُّبل المختلفة لهدايتها إلى الحق بإذن الله - تعالى - ثم الخطوة الرابعة، وهكذا حسبما يرى صاحبها.

والنَّفس البشرية في طاعتها لله وعلاقتِها وتوبتِها وتعلُّقِها به - سبحانه - تنقسم إلي أربعِ طبقات:

قال صاحب الإحياء-3-، "4/43"بتصرُّف يسيرٍ:

اعلم أنَّ التائبين في التوبة على أربع طبقات:

الطبقة الأولى:

أن يتوبَ العاصي ويستقيمَ على التوبة إلى آخر عمرِه، فيتداركَ ما فرَط من أمره، ولا يحدِّث نفسه بالعَود إلى ذنوبه إلا الزَّلات التي لا ينفكُّ البشر عنها في العادات، مهما لم يكن في رتبةِ النبوَّة، فهذا هو الاستقامة على التوبةِ، وصاحبُهُ هو السابق بالخيرات، المستبدل بالسيّئات حسناتٍ، واسم هذه التوبةِ: التوبةُ النَّصوح، واسم هذه النفس الساكنة النَّفسُ المطمئنة التي ترجع إلى ربّها راضيةً مَرْضية، ثمَّ قال:

الطبقة الثانية:

تائبٌ سلك طريقَ الاستقامة في أمهات الطاعات، وترك كبائر الفواحش كلها، إلا أنه ليس ينفكُّ عن ذنوب تعتريه لا عن عمْد وتجريدِ قصد، ولكن يُبتلى بها في مجاري أحوالِه من غير أن يقدِّم عزمًا على الإقدام عليها، ولكنَّه كلما أقدم عليها لام نفسَه وندِم وتأسَّف وجدَّد عزمه على أن يتشمَّر للاحتراز من أسبابِها التي تعرِّضه لها، وهذه النفس جديرةٌ بأن تكون هي النَّفسَ اللوامة؛ إذ تلوم صاحبَها على ما تستهدف له من الأحوال الذَّميمة لا عن تصميمِ عزمٍ، وتخمينِ رأيٍ وقصد، وهذه - أيضًا - رتبةٌ عالية، وإن كانت نازلةً عن الطبقة الأولى، وهي أغلبُ أحوال التائبين، ثم قال:

الطبقة الثالثة:

أنْ يتوب ويستمرَّ على الاستقامة مدّةً، ثم تغلِبه الشهوات في بعض الذنوب، فيُقدم عليها عن صدقٍ وقصد شهوة؛ لعجزه عن قهر الشَّهوة، إلا أنه مع ذلك مواظبٌ على الطاعاتِ، وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة، وإنما قهرته هذه الشَّهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يودُّ لو أقدره ٱللّٰه - تعالى - على قمعِها وكفاه شرَّها، فهذه النَّفس هي التي تسمَّى: النفس المُسَوِّلة، وصاحبها من الذين قال اللّٰه - تعالى - فيهم :(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) -التوبة: ١٠٢-، ثم قال:

الطبقة الرابعة:

أن يتوبَ ويجري مدّة على الاستقامة، ثم يعود إلى مُقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يُحدِّث نفسَه بالتوبة، ومن غير أن يتأسَّف على فعلِه، بل ينهمك انهماك الغافل في اتّباع شهواته، فهذا من جملة المصرِّين، وهذه النفس هي النَّفس الأمَّارة بالسوءِ، الفرَّارة من الخير، ويُخاف على هذا سوءُ الخاتمة، وأمره في مشيئة اللّٰه"؛ اهـ.

ولا يغيب عن فِطنة القارئِ الكريم أنَّ الإنسان تختلف طبيعةُ نفسِه باختلاف الظروف والأحوال؛ فقد يجِدُ نفسَه في بعض الأحوال مقبلاً على اللّٰه، يخشعُ في صلاته، يبكي في دعائه وقُنوته، يُكثر من قراءة القرآن وتدبُّره، يحافظ على أذكار الصباح والمساء، يحب كلَّ خير.

وفي أحوالٍ أخرى يجد نفسه ساهيًا لاهيًا، لا يخشع في صلاته، وربما يتكاسل عن أدائها في أوقاتها، وربما يصلِّيها منفردًا تاركًا فضلَ الجماعة دون عذرٍ، هاجرًا لكتاب اللّٰه، لا يقرأ فيه إلا بين الفينة والفينة، قليلَ الدُّعاء والذكر وغير ذلك.

ويعلمِ المرء بالطبقة التي تنتمي إليها نفسُه التي بين جنبيه في علاقتها باللّٰه - تعالى - وعبوديتها له بِناءً على طاعاتِه المختلفة من الأعمال والأقوال فيبدأ محاسبتَه لها، وتلك هي الخطوة الثانية.

الخطوة الثانية : محاسبة النفس على الأعمال والأقوال:

محاسبة النفس على الأعمال والأقوال لن تخرج عن سؤاليْن في نهاية كلِّ يوم:

الأول :ماذا فعلتْ نفسي أو قالت اليوم؟ الجواب: كذا وكذا.

الثاني :وما حكم الشرع في هذا الفعل أو القول؟ الجواب: كذا وكذا.

وبناءً على هذيْنِ السؤالين تعرِفُ طبيعة نفسِك من حيث الطاعةُ والمعصية، وبالتالي الطبقة التي تنتمي إليها.
وينبغي التَّنبيه هنا إلى أنَّ الكتاب والسنَّة هما المعيار الحقيقي للحكم على النفس، وبيانٌ لأي طبقة تنتمي إليها، بمعنى: لا تفتح للهوى والشيطان بابًا للتدليس وخداعك، وتسويف التوبة، والإصرار على المعصية، فكلُّ ذلك وما أشبَهه يؤدّي إلي هلاكِها، وليس لنجاتِها، وأنت أدرى بدخيلة نفسِك، ومن ثَمَّ نكرّرُ أن "الكتاب والسنَّة" هما الأساس الذي يقوم عليه كلُّ تشريع دنيوي، وفيهما - فقط - غنَى النفس وفلاحُها ونجاتُها، وفي غيرِهما هلاكُها وضياعها، والكتاب والسنة حكمُهما على النفس على الحقائق المجرَّدة بعيدًا عن التبريرات والمعاذير، إلا ما جاء التَّرخيص فيه تيسيرًا على العباد ورحمةً بهم.
ومثالاً على ما نقول لبيان المقصود - ليهلِك مَن هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة - الصلاةُ مثلاً لو أخَّرها العبد دون عذرٍ شرعي، وإنما كسلاً وتهاونًا فيها حتى خرج وقتُها، ما حكم ذلك في الشرع "الكتاب والسنة"؟

- قال - تعالى :- (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) -النساء: ١٠٣-.
- وقال - تعالى :- (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ *الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) -الماعون: ٤، ٥-.

وقال النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "أفضلُ الأعمال أو العملِ: الصلاةُ لوقتها وبرُّ الوالدينِ".-4-

- وقال النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: "خمسُ صلواتٍ، كتبَهن الله على العباد، منْ جاء بهنَّ لم يضيّعْ منهن شيئًا استخفافًا بحقهنَّ، كان له عند الله عهدٌ أن يدخلَهُ الجنَّة، ومَنْ لم يأت بهنَّ فليس له عند الله عهدٌ، إن شاءَ عذَّبه، وإن شاء أدخله الجنة".-5-

هذا قول اللَّه، وذاك قولُ الصادق المعصوم - صلَّى الله عليه وسلَّم - ترغيبًا وترهيبًا، ومنهما يتبيَّن لنا الخطأُ الجسيم الذي وقعت فيه النفس، ولينظرِ العبدُ ردَّ فعل نفسه لهذه المعصية، وليَرَ من أيِّ طبقة هي ليبدأ بعْدَها علاجَها مِنْ عيوبِها وتهذيبها، وبيانِ سبل تقويمها، وتلك هي الخطوة الثالثة، وقِسْ على ما ذكرنا كلَّ عمل وقول يصدُر عن النفس.

ولابن القيّم في إغاثة اللهفان "٨١/١" كلامًا يشتمل على كلّ ما نريد قولَهُ هنا، وفيه ما يكفي ويشفي، قال – رحمه الله -ما مختصرُه:
ومحاسبة النفس نوعان: نوعٌ قبل العمل، ونوع بعده، فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أوّل همِّه وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبيَّن له رُجحانه على تركه.
قال الحسن - رحمه الله -: رحمَ الله عبدًا وقف عند همِّه، فإنْ كان لله مضى، وإن كان لغيرِه تأخَّر، وشرح هذا بعضُهم فقال:
إذا تحرَّكت النفس لعملٍ من الأعمال وهمَّ به العبد، وقف أولاً ونظر: هل ذلك العملُ مقدورٌ له أو غير مقدورٍ ولا مستطاع، فإن لم يكُنْ مقدورًا لم يُقدِمْ عليه، وإن كان مقدورًا وقف وقفةً أخرى، ونظر: هل فعلُهُ خيرٌ له من تركه أو تركُه خيرٌ له من فعلِهِ؟ فإن كان الثانيَ تركَه ولم يُقدِم عليه، وإن كان الأوَّلَ وقف وقفةً ثالثة، ونظر:
هل الباعث عليه إرادةُ وجه الله - عز وجل – وثوابه، أو إرادة الجاه والثناء والمال من المخلوق؟ فإن كان الثانيَ لم يُقدِم عليه، وإن أفضى به إلى مطلوبه لئلاَّ تعتاد النفسُ الشركَ، ويخفَّ عليها العملُ لغير اِلله، فبقدر ما يخفُّ عليها ذلك يثقلُ عليها العملُ لله - تعالى - حتى يصير أثقلَ شيءٍ عليها، وإن كان الأوَّلَ وقف وقفة أخرى، ونظر:
هل هو مُعانٌ عليه وله أعوان يساعدونَه وينصرونه إذا كان العملُ محتاجًا إلى ذلك أم لا؟ فإن لم يكنْ له أعوانٌ أمسك عنه؛ كما أمسك النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - عن الجهاد بمكَّة حتى صار له شوكةٌ وأنصارٌ.
وإن وجده معانًا عليه فليُقدِم عليه؛ فإنه منصورٌ، ولا يفوّتُ النَّجاح إلا مَنْ فوَّت خَصلةً من هذه الخصال، وإلا فمع اجتماعها لا يفُوتُه النجاح.

فهذه أربعةُ مقامات يحتاج إلى محاسبة نفسِه عليها قبل العمل، فما كلُّ ما يريد العبدُ فعلَه يكون مقدورًا له، ولا كلُّ ما يكون مقدورًا له يكون فعلُه خيرًا له مِنْ تركِه، ولا كلُّ ما يكون فعلُهُ خيرًا له من تركه يفعلُه لله، ولا كلُّ ما يفعلُه لله يكون معانًا عليه، فإذا حاسب نفسَه على ذلك تبيَّنَ له ما يُقدم عليه وما يُحجم عنه.
ثم قال - رحمه الله تعالى -: محاسبة النفس بعد العمل، وهو ثلاثة أنواع:

أحدها :محاسبتُها على طاعةٍ قصرت فيها من حق الله - تعالى - فلم تُوقِعْها على الوجه الذي ينبغي، وحق الله - تعالى - في الطاعة ستَّة أمور تقدَّمت، وهي: الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول فيه، وشهودُ مشهد الإحسانِ فيه، وشهود منَّة الله عليه، وشهودُ تقصيره فيه بعد ذلك كلِّه.
فيحاسب نفسَه: هل وفَّى هذه المقاماتِ حقَّها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟
الثاني :أن يحاسبَ نفسَه على كل عمل كان تركُه خيرًا له من فعله.
الثالث :أن يحاسبَ نفسَه على أمرٍ مباح أو معتاد: لم فعلَه؟ وهل أراد به آللّه والدار الآخرة فيكون رابحًا، أو أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الرِّبح ويفوته الظفر به؛ اهـ.
قلت :وما ينبغي التنبيه عليه دومًا هو المحافظة على أعلى مستويات للنفس، وصلت إليها، ووضع السبل للترقِّي للمستوى الأعلى على المدى القصير والطويل.
وختامًا: إنْ تمَّ ترويضُ النفس على هاتين الخطوتين فسوف تجعل النفس حتمًا تترقى بقلبِ صاحبها إلى درجاتٍ إيمانيةٍ عاليةٍ، وعندئذ يُدرك حقيقتَها وسموَّها وحلاوة تعلُّقها بخالقها - جل وعلا - والعمل على مرضاته قولاً وعملاً على بصيرةٍ ويقينٍ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

- -1-انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ح/٤٩٨٦، وصحَّة متنه: "قم يا بلالُ فأرِحْنا بالصلاة".
- -2-أخرجه البخاري في الرقاق ح/٦٤٤٦، ومسلم في الزكاة ح/١٠٥١.
- -3-هو كتاب "إحياء علوم الدين" لمحمد حامد الغزالي – رحمه الله تعالى.
- -4-أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة ح/٥٢٧،ومسلم في الإيمان ح/٨٥
- -5-أخرجه النسائي وغيره وهو في صحيح الجامع ح/٣٢٤٣

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/publications_competitions/0/40194/#ixzz5h0t23yeu

٩

مفاتيح السعادة وجلاء الأحزان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

إن من أعظم الوسائل الشرعية التي تعين العبد على السعادة وجلاء أحزانه وهمومه الإلمام التام بمفاتيح السعادة التي تجمع له خير الدنيا والآخرة وتفتح قلبه ليحصد ثمارها وينعش نفسه التواقة لعبيرها ومباهجها، وطريقنا لبيان هذه المفاتيح يدل عليه قول النبي -صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح" عند الله خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر و ويل لمن جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير " .انظر حديث رقم 4108 :في صحيح الجامع.

يقول ابن القيم في كتابه القيم حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ما نصه:

قد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال مفتاح الصلاة الطهارة ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدق ومفتاح الجنة التوحيد ومفتاح العلم حسن السؤال حسن الإصغاء ومفتاح النصر والظفر الصبر ومفتاح المزيد الشكر ومفتاح الولاية المحبة والذكر ومفتاح الفلاح التقوى ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ومفتاح الإجابة الدعاء ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر

الأمل ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل"

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحا وبابا يدخل منه إليه كما جعل الشرك والكبر والأعراض عما بعث الله به رسوله والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحا للنار وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم وجعل الغنى مفتاح الزنا وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان وجعل المعاصي مفتاح الكفر وجعل الكذب مفتاح النفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله وجعل الأعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله ومن وراء توفيقه وعدله له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .اهـ

قلت:فكن أخي القاريء من أهل الخير والفضل بالعمل بهذه المفاتيح لجلب البهجة والسعادة على القلب و النفس معاً والله المستعان.

-1مفتاح الطمأنينة والسكينة ذكر الله

لاريب أن النفس تطمئنُّ إلى ما يطمئِنُّ إليه القلب، والقلب يطمئن بِذِكْر الله؛ كما قال - تعالى :- (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) -الرعد: ٢٨-.

ومِن ثَمَّ، لا مندوحة من كَثْرة الذِّكر؛ لِمَا له من الفوائد العظيمة في صَلاح النَّفس والقلب معًا فضلاً عن جلاء الأحزان وفي الحديث الصحيح قال -صلى الله عليه وسلم" :- قال الله تعالى :أنا عند ظن عبدي بي

وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم" - (أخرجه البخاري ومسلم).

فعليك أخي المسلم بالأذكار المختلفة في ذهابك وإيابك" في الصباح والمساء "لا تغفل عن ذكر الله ولا يفتر لسانك عن التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل فإن ذلك من علامات حياه القلوب لأن القلب الذي لا يذكر الله قلب ميت كما قال -صلى الله عليه وسلم" - مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت" أخرجه البخاري /11)ح٦٤٠٧/فتح).

واعلم - أخي القارئ - أنَّ الذَّاكر لله تعالى قريبٌ من ربِّه والقريب من الله في جَناب رَحْمته وكرَمِه، تَستغفر له ملائكتُه،، وتَسْمُو نفْسُه بِقُربِها من الله تعالى ولاشك أن السعيد من يكون قريباً من الله تعالى والشقي هو البعيد عنه - جل وعلا.

قال النوويُّ في كتابه "الأذكار" (١/ ص ١٠) ما مُختصَره:
"الذِّكر يكون بالقلب، ويكون باللِّسان، والأفضل منه ما كان بالقَلْب واللِّسان جميعًا، فإن اقتصر على أحدِهما فالقلب أفضل، ثُمَّ لا ينبغي أن يَتْرك الذِّكر باللِّسان مع القلب؛ خوفًا من أن يُظَنَّ به الرِّياء، بل يَذْكر بهما جميعًا، ويقصد به وَجْه الله تعالى."

وقال ابن القيّم - رحمه الله تعالى - في "الوابل الصَّيِّب من الكَلِم الطيِّب"، (١/ ص٥٦) عن فوائد الذِّكر ما مُختصَرُه:
"ولا ريب أنَّ القلب يَصْدأ كما يصدأ النُّحاس والفِضَّة وغيرهما، وجِلاؤه بالذِّكر، فإنه يَجْلوه حتى يَدَعَه كالمِرْآة البيضاء، فإذا ترك صَدِئ، فإذا ذكَر جلاه.

مَن كانت الغفلةُ أغلبَ أوقاته كان الصَّدأ مُتَراكبًا على قلبه، وصدَؤُه بحسب غفلته، وإذا صَدِئ القلب لم تَنْطبع فيه صُوَر المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحقّ، والحقَّ في صورة الباطل؛ لأنَّه لَمَّا تراكَم عليه الصَّدَأ أظْلَمَ فلم تَظْهر فيه صورة الحقائق كما هي

عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ واسودّ ورَكِبه الرَّان، فسَد تصَوُّره وإدراكه، فلا يَقْبل حقًّا ولا يُنْكِر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب.

وأصل ذلك من الغفلة واتِّباع الْهَوى؛ فإنهما يَطْمِسان نور القلب ويعْمِيان بصَره؛ قال - تعالى :- (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) -الكهف: ٢٨-.

فإذا أراد العبد أن يَقْتدي برجل فَلْينظر :هل هو من أهل الذِّكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكِمُ عليه الهوى أو الوحي؟

فإن كان الحاكم عليه هو الْهَوى وهو من أهل الغَفْلة، كان أمره فرُطًا، ومعنى الفرُطِ قد فُسِّر بالتضييع؛ أيْ: أمْرُه الذي يجب أن يَلْزَمَه ويقوم به، وبِه رشْدُه وفلاحه ضائع قد فرط فيه، وفُسِّر بالإسراف؛ أيْ: قد أفرط، وفُسِّر بالإهلاك، وفُسِّر بالخلاف للحقّ، وكلها أقوال متقارِبَة، والمقصود أنَّ الله - سبحانه وتعالى - نَهى عن طاعة مَن جَمَع هذه الصِّفات.

فينبغي للرَّجل أن ينظر في شيخه وقُدْوته ومَتْبوعه، فإنْ وجَده كذلك فلْيبْعد منه، وإنْ وجَدَه ممن غلب عليه ذِكْر الله - عزَّ وجلَّ - واتِّباع السُّنة، وأمره غير مَفْروط عليه، بل هو حازم في أمره - فلْيَستمسك بِغَرْزِه، ولا فرق بين الحيِّ والميت إلاَّ بالذِّكر، فمَثَل الذي يَذْكر رَبَّه والذي لا يذكر ربَّه كمثَل الحيِّ والميت.

ثم ذكر - رَحِمَه الله تعالى - عشرات من فوائد ذِكْر الله تعالى، والتي فيها صلاحُ القلوب والنُّفوس، نَذْكر بعضها هنا، والله المستعان:

1- أنَّه يَطْرد الشَّيطان ويقمعه ويكسره.

2- أنه يُرْضي الرحمن - عزَّ وجلَّ.

3- أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

4- أنه يَجْلب الرِّزق.

5-أنه يكسو الذَّاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

6-أنه يورثه المَحبَّة التي هي رُوح الإسلام وقُطْب رحَى الدِّين، ومدار السعادة والنَّجاة، وقد جعل الله لكلِّ شيء سببًا، وجعل سبب المَحبَّة دوام الذِّكر، فمن أراد أن يَنال مَحبَّة الله - عزَّ وجلَّ - فلْيَلْهَج بذِكْره؛ فإنه الدَّرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذِّكْر باب المَحبَّة وشارعها الأعظم وصِرَاطها الأقوم.

7-أنَّه يورثه المراقبة حتى يُدْخِله في باب الإحسان، فيَعْبد الله كأنَّه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذِّكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

8-أنه يورثه الإنَابة، وهي الرُّجوع إلى الله - عزَّ وجلَّ - فمتَى أكثر الرُّجوع إليه بِذِكْره أورَثَه ذلك رجوعَه بقلبه إليه في كلِّ أحواله، فيَبْقى الله - عزَّ وجلَّ - مَفْزَعَه وملجَأه، ومَلاذَه ومَعاذَه، وقِبْلَةَ قلْبِه، ومَهْرَبه عند النوازل والبلايا.

9-أنَّه يورثه الهيبة لربِّه - عزَّ وجلَّ - وإجلاَله؛ لشدَّة استيلائه على قلبه، وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل، فإنَّ حجاب الهيبة رقيقٌ في قلبه.

10-أنَّه يورثه ذِكْرَ الله تعالى له؛ كما قال - تعالى :- (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) -البقرة: ١٥٢-، ولو لم يكن في الذِّكر إلاَّ هذه وحدها لكَفى بها فضلاً وشرفًا، وقال - صلَّى الله عليه وسلم - فيما يَرْوِي عن رَبِّه - تبارك وتعالى :- "مَن ذكَرَني في نفْسِه ذكرتُه في نفسي، ومن ذكَرني في مَلأٍ ذكَرْتُه في ملأٍ خير منهم".

2-مفتاح الإجابة والتوفيق الدعاء لله تعالى
من سبل تحقيق السعادة القلبية أن يوفق الله العبد لما يحبه ويبتغيه في هذه الدار الفانية،فتتحقق أحلامه ويستجيب الله تعالى له لدعائه وييسر له أمره،والدعاء عبادة يثاب العبد عليها، وينبغي لمن أراد السعادة أن يجتهد في الدعاء وليتذكر إنه سبحانه وتعالى هو القائل

في كتابه الكريم (أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ...) - النمل: ٦٢-.

ولكن حذار من الاستعجال بالإجابة لأنه مفتاح يحتاج إلى صبر ويقين وتقوي لله تعالى.

•أخرجه مسلم في صحيحه: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال "لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم مالم يستعجل قيل: يا رسول الله، وما الاستعجال؟ قال يقول قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء"

قال النووي في شرح مسلم:
قوله -صلى الله عليه وسلم) :- يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول :قد دعوت فلا - أو فلم - يستجب لي(وفي رواية) :لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل :يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال :يقول:
دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء(قال أهل اللغة :يقال :حسر واستحسر إذا أعيا وانقطع عن الشيء، والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء، ومنه قوله تعالى :(لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) -الأنبياء: ١٩- أي :لا ينقطعون عنها .ففيه :أنه ينبغي إدامة الدعاء، ولا يستبطئ الإجابة .اهـ

واجعل هذا الدعاء الذي علمك إياه الحبيب -صلى الله عليه وسلم -دائماً على لسانك في صلاتك وقنوتك، في ذهابك وإيابك "اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد" فهو دعاء عظيم لو أستجاب الله لصاحبه لأصلح قلبه وأنار بصيرته وحفظه من كل سوء.

ولا تنسَ أن الدعاء؛ هو مُخُّ العبادة، والْتَمِسْ أوقاتَ الإجابة، مثل: بعد الصلوات المفروضة، وفي الثُّلث الأخير من الليل، وفي السجود لله -

تعالى - وعند نزول الغَيْث، وغير ذلك، واعلم أنَّ اللّٰه على كل شيءٍ قدير؛ قال - تعالى :- (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) -غافر: ٦٠-.

وهو دليل على افتقارك إلى اللّٰه تعالى وهو المؤشر على حقيقة إيمانك وفيه جلاء أحزانك وهمومك فالمؤمن يفتقر إلى اللّٰه دائماً فهو الغني الحميد.

-3مفتاح الفلاح والصلاح الرفقة الصالحة

الرفقة الصالحة مع أهل الورع والتقوي تعين المرء على الشعور بالسعادة والمضي قدماً للأمام رغم الفتن والمعاصي التي تحيط به من كل جانب لأن القلب يطمئن بكثرة الذكر لله وهم أهل ذكر، وسبحان من جعل الأرواح جنود مجندة لا تستريح إلا ممن وافق طبعها حتى أنه روي في الأثر :

- لو أن مؤمناً دخل في مجلس فيه مائة منافق، بينهم مؤمن واحد، لجلس بجوار المؤمن وهو لا يعرفه.

ولقد حث النبي على الرفقة الصالحة والجليس الصالح فقال:

"مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة" أخرجه البخاري.

-4مفتاح الاستقامة محاسبة النفس وتقويمها

وبادئ ذي بدء نقول:أن القلب هو المركز الرئيسي الذي يحرك بقية الجوارح ويلهمها وسلامته من الآفات والعيوب يؤدي قطعاً لصحة العقيدة وثبات الإيمان فيه مما يؤثر على الجوارح كلها،ولهذا نستطيع أن ندرك عظمة هذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له (عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ).

وهناك سؤال :فماذا يحدث عندما يهمل العبد محاسبة نفسه ويترك لقلبه العنان؟

نظرة إلى الواقع الذي نعيش فيه هذه الأيام نجد المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله!

يرتشي ويختلس ويسرق ويغتاب ويزني ويترك الصلاة أو يتكاسل عنها ..الخ

ويزعم بعدها أن قلبه يخاف من الله تعالى!

وما أجمل ما قاله الشاعر العربي:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس شنيع
لوكان حبك صادقاً لأطعته
أن المحب لمن يحب مطيع

إذاً هناك خلل في صدق الإيمان في القلب وهناك نفاق ظاهر فيه؟

وهذا الخلل يؤدي إلى التناقض في شخصية المسلم ..بين دينه ودنياه ..بين حبه لله ورسوله -صلي الله عليه وسلم..
وبين التطبيق العملي للوحيين في حياته الدنيوية..

وبناء على ما سبق أن أراد العبد ان يستقيم قلبه وينصلح حاله أن يبدأ في تغيير حياته من المعصية للطاعة ومن السلبية في محاسبة النفس إلى الايجابية بتروضها على الاستقامة.

وله عند الله - تعالى - ثلاث جوائز أن أفلح
قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) -فصلت: ٣٠-.

والجوائز كما هو واضحاً جلياً في الآية نزول الملائكة وما في ذلك من رحمة واستجابة للدعاء،وذهاب الخوف والحزن من القلب،والبشري بالجنة وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

-5مفتاح سلامة القلب التخلص من آفاته

للقلب أفات تصيبه تفسد سلامته وتذهب بنقاوته وطهارته ولابد من التخلص منها حتى لا يسقم بآفاته تلك وهي كثيرة منها الكبر والحسد والغيظ والحقد ..الخ.

ولكن كل أمراض القلوب لها علاج وأمراض القلوب كما يقول ابن القيم في" إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان "نوعان:
نوع لا يتألم به صاحبه في الحال، كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات.

وهذا النوع هو أعظم النوعين ألما، ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوار عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما .وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم، فهم أطباء هذا المرض.

والنوع الثاني :مرض مؤلم له في الحال، كالهم والغم والحزن والغيظ، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية، كإزالة أسبابه، أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب، وما يدفع موجبها مع قيامها، وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن يتألم كثيرا بما يتألم به القلب، ويشقيه ما يشقيه.

فالغيظ يؤلم القلب، ودواؤه في شفاء غيظه، فإن شفاه بحق اشتفى، وإن شفاه بظلم وباطل زاده مرضا من حيث ظن أنه يشفيه، وكذلك الغم والحزن أمراض للقلب، وشفاؤها بأضدادها :من الفرح والسرور، فإن كان ذلك بحق اشتفى القلب وصح وبرئ من مرضه، وإن كان باطل توارى ذلك واستتر، ولم يزل، وأعقب أمراضا هي أصعب وأخطر.

وكذلك الجهل مرض يؤلم القلب .فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع، ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم، وهي في الحقيقة إنما تزيده مرضا إلى مرضه، لكن اشتغل القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه، بسبب جهله بالعلوم النافعة، التي هي شرط في صحته وبرئه.

والمقصود :أن من أمراض القلوب ما يزول بالأدوية الطبيعية، ومنها ما لا يزول إلا بالأدوية الشرعية الإيمانية، والقلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن.

والقلب الغليظ لن ينفعه ترغيب ..قال تعالى (وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ) -آل عمران: ٢٨- (قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) -آل عمران: ٢٩-.

- وقال تعالى (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) -البروج: ١٢-.

ومن ثم ينبغي العناية بتطهير القلب من الآفات دوماً حتى لا تتكاثر عليه فيسقم أو يموت وما في ذلك من هلاك صاحبه وضياع ثوابه في الدارين

-6مفتاح النجاح والفلاح التوكل على الله

إن حقيقة التوكل ومفهومه السليم غلط في عقول وقلوب الكثير من العباد إلا من رحم الله تعالى.

ولان من الناس من أغتر برحمة اللّه وحسن الظن به دون عمل أو طاعة.

ولأن منهم من ترك الأخذ بالأسباب وتواكل على رب الأرباب..

ولأن منهم من يتحجج بالقدر ليبرر به ما يرتكبه من معاصي وذنوب..

لهذا كله وغيره لا عجب أن تصاب قلوب هؤلاء بالأحزان والهموم.

والبداية الصحيحة أن يعرف الإنسان حقيقة التوكل ويروض قلبه ونفسه على التوكل الحق ولا يتواكل عليه تاركاً الأسباب والمسببات.

يقول الغزالي في الإحياء :التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه واعتمد عليه ..فمعنى التوكل هو اعتماد القلب على الوكيل وحده في كل شيء .انتهى

هذا والإنسان بطبيعته خلق ضعيفاً..

فربما تغلق أمامه كل الأبواب ويفقد الأمل في تحقيق آماله وأحلامه، ويصاب قلبه بالإحباط واليأس وتصيبه الهموم والغموم..

ويصبح عاجزاً لا حول له ولا قوة.

إلى من يلجأ؟!

فأي مخلوق مثله عاجز ويفتقر إلى الله .أذاً ليس أمامه إلا من بيده الأسباب والمسببات، الذي آمره بين الكاف والنون..

أن أراد شيئاً فإنما يقول له" كن فيكون"

هذه هي حقيقة التوكل على الله بين العبد وربه..

العبد الذليل يتضرع إلى الرب الجليل.

العبد الفقير يسأل الرب الغني.

العبد الضعيف يستغيث بالرب القوي ..فلا ملجأ له إلا إليه سبحانه فهو القادر على كل شيء..

هو وحده الذي يكشف السوء عن عباده ويفك الكرب عنهم ويفتح لهم أبواب الرزق، ويشرح صدورهم إلى الحق والإيمان ويذهب من قلوبهم الهموم والأحزان..

ومن يتوكل عليه فقد أفلح وفاز، ومن لجأ وتوكل على غيره فقد خسر وخاب وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال تعالى :(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) -الطلاق: ٣- وقال تعالى (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) -الفرقان: ٥٨-.

والمتوكل على الله حق توكله ليس له ثواب إلا الجنة وربما كان من الذين يدخلون الجنة بغير حساب كما قال -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح .عندما أخبر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين بأن هناك من أمته سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب أو عذاب فسألوه عنهم فقال" :هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" (أخرجه البخاري١١/ح٦٥٤١/ فتح(ومسلم /1)إيمان /١٩٩/ح/٣٧٤(.

ومعنى يتطيرون :أي يتشأمون، والمقصود بعدم الرقى في الحديث الذي فيه شرك ودجل وبغير كلام الله واللسان العربي.

كما إن الثابت عن النبي -صلى الله عليه وسلم - وهو لنا أسوة حسنة أنه كان يتوكل على الله تعالى في كل أموره وأحواله..
فكان إذا أراد الخروج من المنزل يقول" :بسم الله توكلت على الله اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي" أخرجه أبو داود /4)ح٥٠٩٤(وإسناده صحيح.

وهذا دعاء شامل يتوكل فيه الإنسان على خالقه من خروجه من المنزل حتى عودته من الضلال والزلل والظلم والجهل في يومه هذا.

ثم إن أراد المرء أن ينام ويأوي إلى فراشة لا ينس أن يتوكل على الله بقلبه وروحه قائلاً ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقوله عند

النوم" :اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت" أخرجه البخاري (١١/ح٦٣١٥/فتح(ومسلم (٤/ذكر/٢٠٨١-٢٠٨٢/ح٥٦(.

ومن ثم ..فأن التوكل على حقيقته فريضة ربانية وعلى المرء أن يتوكل على الحي القيوم حق توكله بكل قلبه وجوارحه فهو بيده مقادير كل شيء...

فإذا أصاب جسده الأمراض والابتلاءات فليقل حسبي الله ونعم الوكيل...

وإذا حلت به مصيبة في النفس أو المال فليقل حسبي الله ونعم الوكيل .وهكذا.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال" :حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد -صلى الله عليه وسلم - حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا :حسبنا الله ونعم الوكيل" أخرجه البخاري /8)ح٤٥٦٣/ فتح(.

وهناك أمر على جانب عظيم من الخطورة دائما ما يتعلق القلب به لهوي أو ضعف إيمان وينبغي الحذر منه لأنه يجلب الاحزان والآلام لما فيه من ضلال وآثام في الدنيا والآخرة إلا وهو الاغترار برحمة الله وحسن الظن به.

وأكرر هذا أمر على جانب عظيم من الخطورة ولا أغالي إن قلت أن هناك مئات الألوف إلا من رحمه الله يغتر برحمة الله وبحسن الظن به ويتواكل عليه ولا يجتهد في الطاعات ولا يحترز من المعاصي، بل هو غارق فيها من رأسه إلى قدمه ومع ذلك يقول لك أنا قلبي أبيض والله غفور رحيم!!..

قلبه أبيض وهو لا يصلي!!

..قلبه أبيض وهو لا يصوم رمضان!!

قلبه أبيض من يشرب الخمر ويلعب الميسر مالهم كيف يحكمون!!

قال تعالى :(وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ) -فصلت: ٢٣-.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة فقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي أمامه قال :دخلت أنا وعروة بن الزبير على عائشة فقالت "لو رأيتما رسول الله في مرض له وكانت عنده ستة دنانير أو سبعة دنانير فأمرني رسول الله أن أفرقها فشغلني وجع رسول الله حتى عافاه الله ثم سألني عنها فقال :ما فعلت؟ أكنت فرقت الستة الدنانير؟ فقلت لا والله لقد كان شغلني وجعك قالت :فدعا بها فوضعها في كفه فقال "ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده" وفي لفظ "ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده" أخرجه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة (١٠١٤(.

النبي -صلى الله عليه وسلم - عنده ستة دنانير لا يدري ظن الله به عندما يموت وهي عنده وقد غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه فماذا يكون حال الذي يسرق ويختلس ويأكل أموال الناس بالباطل..؟!

وكيف يكون ظنه بربه، وقد تساوى الحلال والحرام عنده وحسبنا الله ونعم الوكيل.

يقول أبن القيم في" الداء والدواء" "فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لا أشترك في ذلك البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ووليه وعدوه، فما ينفع المجرم أسمائه وصفاته وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض للعنته، ووقع في محارمه وانتهك حرمانه، بل حسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع وبدل السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم أحسن الظن بعدها فهذا هو حسن الظن والأول غرور والله المستعان."

وبعد هذه بعضاً من المفاتيح التي يستطيع المرء أن يجتهد على أمرارها على القلب والتمسك بها وترويض نفسه علي العمل بها لأنها تؤدي إلى صلاح القلوب واستقامتها علي طريق الله -تعالى -وجلاء أحزانها وبالتبعة تستقيم جوارحه.

أيضاً لأنه أن صلح القلب صلحت جوارحه ما في ذلك من سعادة المرء وفلاحه في الدارين.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وآله وسلم وصحبه أجمعين.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/social/0/50981/#ixzz5h0tJt0Z0

١٠

سبل الوقاية من فتنة النساء

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، مَن يهده الله فهو المهتدي، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أمّا بعد:

فلا يخفى على أولي العقول والألباب أنَّ المرأة هي أخطر الفِتن الدنيوية على الإطلاق؛ ولهذا جعلها الله تعالى أولَ الشهوات، فقال عز وجل :(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) -آل عمران: ١٤-.

• قال القرطبي رحمه الله في تفسيرها ما مختصره: قوله تعالى :(مِنَ النِّسَاءِ) بدأ بهنَّ لكثرة تشوُّف النفوس إليهنَّ؛ لأنهنَّ حبائل الشيطان وفتنة الرجال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تركتُ بعدي فتنة أشدَّ على الرِّجال من النساء"-1-، ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء؛ اهـ.

قلت :وليس في هذا الكلام وغيره ممّا نذكره هنا قَدح للمرأة وتحقير من شأنها؛ بل المقصد أنها القضيّة الأساسية للشعوب المتحضِّرة، وهم يقولون: إنَّ المرأة نصف المجتمع، وهي عندي العمود الفقري للمجتمع كله؛ فهي قادرة على أن تكون عامل بناء لمجتمع قائم على العفَّة والفضيلة، والتقدُّم والرقي؛ كما أنَّها قادرة على أن تكون سِلاحًا للهدم ونشر الإباحية والفجور!

لذا اهتمَّ الإسلام بتكريمها أمًّا وزوجة، وأختًا وابنة؛ كما لا يخفى، وربما نبيّن ذلك من هَدْيِ نبيّنا للنساء في المقالات القادمة من هذه السلسلة إن شاء الله تعالى.

ولقد شدَّد الإسلام لحفظ كرامتها وحيائها بفرض الحجاب والنِّقاب عليها عند الخروج والاختلاط بالرجال لسببٍ من الأسباب الدنيوية؛ ليقطع دابرَ الشيطان وتلبيسه ووسوسته للرجال ليغريّهم في الوقوع في فتنتها، وجعَل في المقابل عشرات من الوسائل والوصايا للرِّجال؛ للوقاية من

تلبيسه، ووأدِ فتنتها في مهدها، والتي تنشأ من تبرُّجها وسفورها، وتحرُّرها عند خروجها عن حدود الله تعالى.
ولقد شاء الله تعالى - ولا رادَّ لحكمه ومشيئته - أن تكون المرأة فتنةً للرجُلِ بحُكم خلقتِها وتكوينها وطبيعتها وما خصَّها الله تعالى به من خصائص؛ كالإغراء والأنوثة والجمال، وما بثَّه في قلوب الرجال من الميل الفِطري إليها والرغبةِ فيها، وجعلها سكنًا ورحمة له، وموطن قضاء شهوته وإرواء غريزته الفطرية، وإثبات رجولته وبقاء نسله، ممَّا تنجبه له من ذرية صالحة إن أحسن اختيارها، فهي - أي: المرأة - قد تكون سلاحًا للهدم ونشر الإباحية والفجور، كما أنَّها قد تكون سلاحًا للبناء والسموِّ بالأخلاق والفضائل؛ كما ذكرنا آنفًا.
والمسلمة المؤمنة بالله حقًّا التي تَعرف ما لها وما عليها هي التي تَسعى لمرضاة الله بكلّ السُّبل، مضحية بشهواتها الدنيوية وميلها للتزين والتجمل إلّا لمن أحلّه الله لها من الرجال، في سبيل الوصول للسموِّ الروحي الذي يَجعلها تَخرج بعبادتها لله إلى آفاق عالية ورحاب واسعة؛ من اليقين به والتوكُّل عليه، والرضا بقضائه وحكمه، إلى أن يقضي أمرًا كان مفعولًا.
ولقد حذرنا نبيُّنا صلى الله عليه وسلم من هذه الفتنة في عدَّة أحاديث، أذكر منهم حديثين هنا على سبيل المثال:
-1حديث أسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال :"ما تركتُ بعدي فتنةً أضر على الرجال من النِّساء".-2-
• يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله في شرح الحديث ومقصوده ما نصه: والمعنى أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم يخبر بأنَّه ما ترك فتنةً أضر على الرجال من النساء؛ وذلك أن الناس كما قال تعالى :(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ) -آل عمران: ١٤-.
كل هذه مما زيّن للناس في دنياهم، وصار سببًا لفتنتهم فيها، لكن أشدها فتنة النساء؛ ولهذا بدأ الله بها فقال :(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ) -آل عمران: ١٤-.
وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك يريد به الحذر من فِتنة النِّساء، وأن يكون الناس منها على حذَر؛ لأن الإنسان بشر، إذا عُرضت عليه الفتن فإنه يُخشى عليه منها.

ويستفاد منه سدُّ كل طريق يوجب الفتنة بالمرأة؛ فكل طريق يوجب الفتنة بالمرأة فإنَّ الواجب على المسلمين سدُّه؛ ولذلك وجب على المرأة أن تحتجب عن الرجال الأجانب، فتغطي وجهها، وكذلك تغطي يديها ورجليها عند كثير من أهل العلم، ويجب عليها كذلك أن تبتعد عن الاختلاط بالرجال؛ لأنَّ الاختلاط بالرجال فتنة وسبب للشرّ من الجانبين؛ من جانب الرجال، ومن جانب النساء.

ولهذا قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: "خير صفوف الرِّجال أولها، وشرُّها آخرها، وخير صفوف النِّساء آخرها، وشرها أوَّلها"-3-؛ وما ذلك إلَّا من أجل بُعد المرأة عن الرجال، فكلَّما بعدت فهو خير وأفضل.

وقد كان النَّبي صلى الله عليه وسلم يأمر النساءَ أن يخرجن إلى صلاة العيد، ولكنهنَّ لا يختلطن مع الرجال؛ بل يكون لهن موضع خاص، حتى إن النَّبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب الرِّجال وانتهى من خطبتهم، نزل فذهب إلى النِّساء فوعظهنَّ وذكَّرهن؛ وهذا يدلُّ على أن النساء كنَّ في مكان منعزل عن الرجال.

وكان هذا والعصرُ عصرُ قوَّة في الدين وبُعد عن الفواحش، فكيف بعصرنا هذا؟

فإن الواجب توقِّي فتنة النِّساء بكلِّ ما يستطاع، ولا ينبغي أن يغرنا ما يدعو إليه أهلُ الشرِّ والفساد من المقلِّدين للكفار من الدعوة إلى اختلاط المرأة بالرجال؛ فإن ذلك من وَحي الشيطان والعياذ بالله، هو الذي يزيّن ذلك في قلوبهم، وإلا فلا شك أن الأمم التي كانت تقدِّم النساء وتجعلهن مع الرجال مختلطات، لا شك أنها اليوم في ويلات عظيمة من هذا الأمر، يتمنَّون الخلاص منه فلا يستطيعون؛ اهـ.-4-

2- حديث أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"إن الدُّنيا حُلوةٌ خضرةٌ، وإن الله مُستخلفُكم فيها فينظُرُ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء".-5-

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث ما مختصره: ومعناه تجنَّبوا الافتتان بها وبالنساء، وتدخُل في النساء الزوجاتُ وغيرهنَّ، وأكثرهنَّ فتنة الزوجات، ودوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهنَّ، ومعنى "الدنيا خضرة حلوة" يحتمل أنَّ المراد به شيئان؛ أحدهما: حُسنها للنفوس ونضارتها ولذَّتها؛ كالفاكهة الخضراء الحلوة، فإنَّ النفوس تطلبها طلبًا حثيثًا؛ فكذا الدنيا، والثاني: سرعة فنائها؛ كالشيء الأخضر في هذين

الوصفين، ومعنى "مستخلفكم فيها": جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم، فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم؟ اهـ.-6-
قلت: والحاصل ممَّا ذكرنا أن فتنة النساء أمرٌ واقع وملموس في زماننا هذا، الذي ضعُف فيه الإيمان والخوف من ربِّ الأرض والسموات، وتفشَّت فيه المنكرات، وسقط شبابٌ ورجال محصنون وغير محصنين في فتنة النساء، واختلفت معايير الناس للحلال والحرام بسبب هذه الفتنة، فصارت فتنة الرجل وخَلْوته بامرأة أجنبية حبًّا ورومانسية، والاختلاطُ الفاحش بها صداقةً وزمالة، وما خفي كان أعظم.
ولا فلاح لرجال الأمَّة وشبابها وصدق طاعتهم لربهم جلَّ وعلا إلَّا في الوقاية من هذه الفتنة وتجنُّبها ابتغاء مرضاته، وفي هدي النبي صلى الله عليه وسلم وصايا جليلة، فيها النَّجاة من فتنة النساء إن أحسنَّا العملَ بها - الرجال والنساء معًا - بصدق وإخلاص، أذكر منها ثلاثة سبل للوقاية من هذه الفتنة على سبيل المثال لعدم الإطالة:

- 1الزواج الحلال الذي أحله الله تعالى:

ولا ريب أنَّ الزواج الشرعي الكامل الأركان والشروط من أعظم طُرق وسبل الوقاية من فتنة النساء؛ وذلك لأنه يقلِّل إلى حدٍّ كبير من هيجان النفس، ويساهم في ترويضها وإشباع شهواتها بالحلال الطيب المباح، وهذا العلاج النبوي جاء ذكره في حديث: "يا مَعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنَّه له وِجاء".-7-
وهناك فائدة جليلة من الزواج للوقاية من فتنة النساء ينبغي التنبيه إليها؛ وهي تفاني الزوجة في إسعاد زوجها وإرضائه كلَّما شعر بالرغبة في النساء؛ فهذا علاج فعَّال لقطع دابر الفتنة؛ ولهذا حذَّر النبي الزوجات من عدم طاعة رغبة الزوج في المعاشرة، فقال: "إذا دعا الرجل امرأتَه إلى فراشه فأبَت فبات غضبان عليها، لعنَتْها الملائكةُ حتى تصبح"-8-، وهذه وصيَّة عظيمة وجليلة وربِّ الكعبة؛ فالزوج وهو رجل من الرجال لو وجد أنَّه قد قضى وطره ووجد السَّكن والمودَّة في علاقته الزوجية تكون الزَّوجة قد حصنته من الفتنة بغيرها من النِّساء، وهنَّ أخطر الفتن على الرجال، والزوج رجل كالرجال تقع عيناه بقصد وتعمد أو بدونه على نساء متبرِّجات كاسيات عاريات، يختلط بهن في الشارع والعمل وما أشبه ذلك، وربما تتعمَّد بعضهنَّ إثارته وإغراءه، وإهمالُ الزَّوجة التزينَ

لزوجها وإرضاءه يَجعله يفتتن بهنَّ، وقد يقع فيما حرَّم الله تعالى ولو بالنظر والإعجاب.
ويجب أن تدرك الزوجة أنَّ زوجها ليس ملاكًا؛ بل هو بشر ضعيف، وإن أظهر غير ذلك؛ فإن لم يستمتع بالحلال ويقطع شرَّ شهوته معها، فمع من؟!
ولنتأمّل بعمق قولَ النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبدالله لندرك أهميَّة الزواج وتفاهم الزوجين في الوقاية من هذه الفتنة، قال رضي الله عنه: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة، فأتى امرأته زينب، وهي تَمْعَسُ مَنِيئَةً لها، فقضى حاجته، ثمَّ خرج إلى أصحابه، فقال: "إن المرأة تُقبل في صورة شيطان، وتدبِر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأةً فليأت أهلَه؛ فإنَّ ذلك يرُدُّ ما في نفسه".-9-
قال النووي رحمه الله ما مختصره في شرح هذا الحديث: قوله صلى الله عليه وسلم: "إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبِر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله؛ فإنَّ ذلك يرد ما في نفسه" وفي الرواية الأخرى: "إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه، فليعمد إلى امرأته فليواقعها؛ فإنَّ ذلك يردُّ ما في نفسه"؛ هذه الرواية الثانية مبيّنة للأولى، ومعنى الحديث أنَّه يستحبُّ لمن رأى امرأةً فتحرَّكت شهوته أن يأتي امرأته أو جاريته إن كانت له، فليواقِعها ليدفع شهوتَه وتسكن نفسه ويجمع قلبه على ما هو بصدده.
قوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ المرأة تُقبِل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان"، قال العلماء: معناه الإشارة إلى الهوى، والدُّعاء إلى الفتنة بها؛ لِما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النِّساء والالتذاذ بنظرهنَّ وما يتعلق بهنَّ، فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشرِّ بوسوسته وتزيينه له، ويُستنبط من هذا أنَّه ينبغي لها ألّا تخرج بين الرجال إلا لضرورة، وأنَّه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها والإعراض عنها مطلقًا؛ اهـ.-10-
قلت: قال الإمام السيوطي في كتابه (الإيضاح في علم النكاح):
"إنَّ الفقهاء أكثروا من نُصح النِّساء باستكمال زينتهن داخل المنازل؛ وذلك بتسريح الشعر وتزيينه، والتطيُّب بالطيب أمام الزوج حتى يطيب قلبه"؛ اهـ.
- 2 غض البصر والصوم:

ويدلُّ على ذلك الحديث الذي ذكرناه آنفًا: "يا معشر الشباب"... إلى قوله: "ومَن لم يستطع فعليه بالصَّوم؛ فإنَّه له وجاء"؛ الحديث.
فالصيام وقاية من هياج الشَّهوة الجنسية - وهي أخطر غرائز الإنسان - ويؤدي إلى كبحها، وهو علاج نبوي فعَّال وقوي، ولا يغيب عنَّا أن هذا عند عدم الاستطاعة، وإلا فالعلاج الأصلي لهذه الفتنة هو الزواج.
• يقول ابن القيم رحمه الله تعليقًا على الحديث: فدلَّ المحبَّ على علاجين: أصلي، وبدلي، وأمَرَه بالأصلي؛ وهو العلاج الذي وُضع لهذا الداء، فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره ما وجد إليه سبيلًا؛ اهـ.-11-
قلت: والمقصود: أن الصَّوم قامع لشهوة النكاح، وفوائده عظيمة، شرعه الله لعباده رحمة بهم، وليتقرَّبوا به إليه، وجُنَّة لهم من الشهوات المهلكات.
وأما غضُّ البصر، فقد قال تعالى :(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ *وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) -النور: ٣٠، ٣١-.
وفيما أخرجه أبو داود وغيره في النكاح عن جرير رضي الله عنه قال: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة، فقال: "اصرف بصرك".-12-
ومن ثمَّ فمقولة: إنَّ الصوم وغض البصر لا يَنفعان في هذا الزمان، مقولةٌ غير صائبة بالمرَّة؛ بل هي حجَّة ضعفاء الإيمان والإرادة، الذين أسلَموا قِيادهم للشيطان وأوليائه، ولو تمهَّلوا وتدبروا لوجدوا في "غض البصر والصوم" الملاذ من فتنة النساء.
- 3 تجنُّب الخَلوة بالمرأة بغير مَحرَم:
الخلوة بالمرأة الأجنبية من غير مَحرم من أعظم الأسباب في الوقوع فيما حرَّم الله، وهياج الغريزة، وضياع الشرف والعفَّة، وكم من الجرائم تأتي من هذا الباب! وقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك في كثير من الأحاديث، مثل:
•حديث "لا يخلونَّ رجل بامرأة، ولا تسافرنَّ امرأة إلا ومعها مَحرم"، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إني اكتُتبتُ في غزوة كذا وكذا، وخرجتِ امرأتي حاجَّة، قال: "اذهب فحجَّ مع امرأتك."-13-
• وحديث "لا يخلونَّ رجل بامرأة إلَّا كان ثالثهما الشيطان."-14-

ولا يخفى أنَّ من العادات المنتشرة في بعض المجتمعات خلوةَ المرأة بالرجل الأجنبي عنها؛ وهو الذي يحلُّ له أن يتزوَّجها وإن كان من أقاربها؛ كابن عمِّها وابنِ خالتها، هذا ناهيك عن البعيد؛ كصديق الزوج وجاره وما أشبه ذلك، وحتى لو كان التحريم مؤقتًا؛ كأخ الزوج، فلا يجوز للمرأة الخلوة به دون مَحرم، وهو "الحَمْو" الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة الموت؛ ففي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إيَّاكم والدخولَ على النساء"، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيتَ الحَمْو؟ قال: "الحمو الموت"-15-، وهذه مشكلة يعاني منها كثيرٌ من الناس؛ بل يتساهلون فيها تحت عناوين، مثل: "أنا أثِق في أخي وأخلاقه"، أو "أنا أثِق في زوجتي"؛ وهذا وغيره من تَلبيس إبليس، والحق أحقُّ أن يُتَّبع، وينبغي الحذر من تلبيس إبليس وخطورته، وقد قال تعالى :(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) -الأحزاب: ٣٦-.
أحزاب
أوليتدبَّر العاصي لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الغافل المفتون عن هذا الخطر قولَ الله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) -النور: ٢١-.
ولا يخفى على العقلاء أنَّ الخلوة بكل أشكالها ووسائلها الحديثة؛ كالتحدُّث في الهاتف، وعلى الشابكة ومواقع التواصل، وغير ذلك ممَّا لا يطلع عليه أحد من المحارم - هو خلوة محرَّمة يَنطبق عليها ما ذكرنا من ترهيب.
ونكتفي في هذه المقالة بما ذكرنا من هَدي نبينا صلى الله عليه وسلم في "سُبل الوقاية من فتنة النساء"، ونواصل السلسلة إن شاء الله تعالى في بيان هَديه في الدِّين والدنيا، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

-1-أخرجاه في الصحيحين: البخاري برقم (٥٠٩٦) - باب ما يتقى من شؤم المرأة، ومسلم برقم (٢٧٤٠) - باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء.

-2-سبق تخريجه؛ انظر هامش رقم (١)
-3-أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٤٤٠) - باب خير الصفوف.
-4-انظر: شرح رياض الصالحين (٣/ ١٥١)؛ لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين - الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض - الطبعة: ١٤٢٦ هـ.
-5-أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٢) - باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء.
-6-انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ٥٥) - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.
-7-أخرجاه في الصحيحين: البخاري برقم (٥٠٦٥) - باب من لم يستطع الباءة فليصم، ومسلم برقم (١٤٠٠) - باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.
-8-أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري برقم (٣٢٣٧) - باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء: آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومسلم برقم (١٤٣٦) - باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.
-9-أخرجه مسلم برقم (١٤٠٣) - باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه، إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فيواقعها.
-10-انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٩/ ١٧٧) - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.
-11-انظر: الطب النبوي؛ لابن القيم (ص/ ٢٠٥) الناشر: دار الهلال - بيروت.
-12-أخرجه مسلم برقم (٢١٥٩) - باب نظر الفجاءة.
-13-أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٦) - باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة، أو كان له عذر، هل يؤذن له؟
-14-انظر: صحيح الجامع للألباني برقم (٢٥٤٦).
-15-أخرجه مسلم برقم (٢١٧٢) - باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/107128/#ixzz5h0taeYAr

١١

الإحسان إلى الخلق

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، مَن يهده الله فهو المهتدي، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد:
فالإنسان في هذه الدنيا لا تَخلو حياته من الهموم والغموم ومن المشاكل مع خلق الله تعالى، ويجتهد في التعامل معهم بما يرضي آللّه عنه، لا يسألهم أجرًا إلا رضا ربِّه؛ فهذا إنسان يعرف حقيقة عبوديته لله تعالى، ويشعر بها في الإحسان إليهم.

فما هو الإحسان؟ وما هي شروطه؟
والسؤال الأهم: ما هو هَدْي نبيّنا صلى الله عليه وسلم وتطبيقه لمفهوم الإحسان مع خلق الله تعالى، وهو الأسوة الحسنة لنا في ذلك؟
نبيّن ذلك في السطور التالية، والله المستعان، وعليه التكلان.

تعريف الإحسان وصوره وأنواعه:
بادئ ذي بدء نقول: الإحسان معناه في اللغة: إتقان الشَّيء وإتمامه، وهو مأخوذ من الحسن؛ وهو الجمال، وضد القُبح.
وهو في الشَّرع كما قال النَّبي في حديث جبريل عليه السلام بكلماتٍ جامعة راقية قال: "الإحْسانُ: أنْ تَعبد آللّه كأنَّك تراه، فإنْ لَم تَكُنْ تراه فإنَّه يَراك..."؛ الحديث.-1-

وفي القرآن آيات بيّنات عن فَضل الإحسان، أذكر منها على سبيل المثال قول الله عز وجل :(وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) -البقرة: ١٩٥-.

قال السعدي رحمه الله في تفسيرها ما نصه: وهذا يشمل جميعَ أنواع الإحسان؛ لأنَّه لم يقيّده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدَّم، ويدخل فيه الإحسان بالجاه؛ بالشفاعات ونحو ذلك، ويدخل في ذلك الإحسان بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وتعليم العلم النَّافع، ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس؛ من تفريج كرباتهم، وإزالة شدَّاتهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالِّهم، وإعانة مَن يعمل عملًا، والعمل لمن لا يحسِن العمل ونحو ذلك، مما هو من الإحسان الذي أمَر الله به، ويدخل في الإحسان أيضًا الإحسانُ في عبادة الله تعالى، وهو كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: "أن تعبد آلله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يَراك".

فمن اتَّصف بهذه الصِّفات، كان من الذين قال الله فيهم :(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) -يونس: ٢٦-، وكان الله معه، يسدِّده ويرشده، ويعينه على كلِّ أموره-2-؛ اهـ.

قلت: وممَّا ينبغي التنبيه إليه هنا أنَّ الإحسان المقبول عند الله تعالى لا بدَّ له من شرطين على الأقل لعدَم إحباط العمل وضياع ثَواب الإحسان، ونبيّنهما في السطور التالية.

شروط قبول عمل المحسنين:

الشرط الأول: إخلاص النيَّة لله تعالى في كل الأعمال:

لقوله تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) - البينة: ٥-.

قال القرطبيُّ في شرحها ما مختصره: وفي هذا دليل على وجوب النيَّة في العبادات؛ فإنَّ الإخلاص من عمَل القلب، وهو الذي يُراد به وجه الله تعالى لا غيره-3-؛ اهـ.

وكذلك لحديث: "إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نَوى."-4-

قال ابن دقيق العيد رحمه الله ما مختصره: هذا حديث صحيح متَّفق على صحَّته وعظيم موقعه وجلالته وكثرة فوائده، وهو أحد الأحاديث التي عليها مَدار الإسلام، قال الإمام أحمد والشافعي رحمهما الله:

"يدخل في حديث الأعمال بالنِّيات ثلثُ العلم"؛ قاله البيهقي وغيره، وسبب ذلك أنَّ كسب العبد يكون بقلبه ولسانه وجوارحه، والنيَّة أحد الأقسام الثلاثة-5-؛ اهـ.

الشرط الثاني: أن يكون العمل موافقًا للشرع، ولا يكون محرَّمًا في نفسه:
ويحتاج هذا الشرط إلى بيان، فما معنى أن يكون موافقًا للشَّرع، وأن يكون مباحًا غير محرَّم في نفسه؟
معناه: أن يكون كما شرع ٱللّٰه تعالى وشرَعه على لسان رسولِه صلى اللّٰه عليه وسلم.

ومثال ذلك:
احتفال بعض النَّاس بالأعياد المبتدعة التي ما أنزَل اللّٰه بها من سلطان؛ كعيد الحبِّ أو عيد الأمِّ، أو ما أشبه هذا ممَّا لم يرد فيه نصٌّ شرعي، وليس في الإسلام في السَّنَة الهجرية إلَّا عيدانِ: عيد الأضحى، وعيد الفِطر.

ومعلوم أنَّ عيد الحبِّ أو عيد العشاق أو ما يُطلِق عليه أهل الدنيا عيد (الفلنتاين) هو عيدٌ من أعياد النَّصارى، يختلط فيه الجِنسان، ويتبادلون الزهورَ والقلوب الحمراء، أو ما أشبه ذلك من المنكرات، وهو من الأعياد المبتدعة، فلم يأمر النَّبيُّ صلى اللّٰه عليه وسلم بالاحتفال به؛ بل ثبت من هديه أنه قال: "مَن أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ".-6-

ومعلوم أنَّ الأصل في العبادات التَّوقيف؛ فلا يجوز لأحد أن يتعبَّد بما لم يشرعه اللّٰه تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّٰه:
"الأعياد شريعة من الشَّرائع، فيجب فيها الاتِّباع، لا الابتداع.-7-"

ولا يخفى أنَّ فيه تشبُّهًا بالكفَّار، وقد ثبت مِن هدي النَّبي صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال: "مَن تشبَّه بقوم، فهو مِنهم".-8-

هذا من جهة الاحتفال به والمشاركة فيه، فهو عمَل محرَّم في نفسه، لكنَّ الحبَّ من جهة الشرع وعلى إطلاقه بلا قيود موافِق للشَّرع؛ فالعبد قد يحبُّ النَّبي صلى اللّٰه عليه وسلم؛ وهذا حبٌّ مَشروع ومن الإحسان

المطلوب؛ لحديث: "لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكون أحب إليه مِن ولده ووالده والنَّاس أجمعين."-9-

•وكذلك من الإحسان للخَلق: الودُّ والحب للزوجة أو الأبناء، ومنه حبُّ الوالدينِ والصالحين والتواضع لهم، وغير ذلك من أنواع الحب، فكله على إطلاقه مباح شرعًا وغير محرَّم في نفسه؛ بل يُثاب عليه العبد لِموافقته للشَّرع الذي حَثَّ عليه.

أمَّا هذا الحب المحرَّم الذي يتحدَّثون عنه، ويشاهده أهلُ الدنيا في الأفلام أو يقرؤونه في القصص والحكايات، أو غير ذلك، ويخلو فيها الرجل بالمرأة الأجنبيَّة بحجة أنَّ الحب عاطفة نَبيلة ورومانسية إلى آخره - فهذا لا شك في تحريمه، وليس من هدي نبيّنا صلى الله عليه وسلم الذي دعا إلى الغيرة على العِرض؛ فقال لما بلغه أنَّ سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: "لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لضربتُه بالسيف غير مُصفحٍ" فقال صلى الله عليه وسلم: "أتَعجبون من غيرة سعد! والله لأنا أغيَرُ مِنه، والله أغير منّي، ومن أجل غَيرة الله حرَّم الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن".-10-

هذا هو هدي نبيّنا صلى الله عليه وسلم، وقِس على ذلك كل عمَل يُبتغى به التقرُّب إلى الله تعالى بالإحسان إلى الخلق في الدين والدنيا، لا بدَّ أن يوافق الشرعَ، وأن يكون جائزًا وغير محرَّم في نفسه.

وليكن المؤمن بالله تعالى على يَقين أنَّه إن أحسَن العملَ مع الله تعالى أحسَن الله إليه؛ لأنَّ الجزاء من جِنس العمل، فلا عجب أنَّ أول المستفيدين مِن الإحسان هم المحسِنون أنفسهم، يجنون ثمراته فيجدون السَّكينةَ والراحة والطُّمأنينة.

وجميعًا نَفتقر إلى رحمة الله تعالى وفضلِه وكرمه، وهو جلَّ في علاه قد مَنَّ علينا بنِعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى؛ كما قال تعالى :(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) -النحل: ١٨-.

فضيلة الصَّبر والشكر لله من آداب المحسنين مع الخلق:

من المُشاهَد في دنيا الناس وللأسف الشديد أنّ الكثير منا - إلا من رحِم ربي - لا يُحسِن شكرَ الله على نعمته؛ بل يشكو ربَّه الذي يرحمه ويرزقه إلى مَن لا يرحمه ولا يرزقه، إلى عبيده وخلقِه!

فلو ابتلى الله عبدَه بالمرض أو الفقر وضيق ذات اليد، أو غير ذلك مما يَبتلي الله تعالى به عبيدَه في الدنيا - لا يكون محسنًا ومخلصًا في عبوديته لله تعالى، وواثقًا بحِكمته وعدله، وموقنًا برحمته وفضله؛ فيتأدَّب كما تعلَّمَ من هَدي النّبي صلى الله عليه وسلم الذي قال: "عجَبًا لأمر المؤمن، إنّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلّا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكَر، فكان خيرًا له، وإن أصابتْه ضرّاء صبر، فكان خيرًا له".-11

بل نراه نقيض ذلك تمامًا، وينطبق عليه قوله تعالى :(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ *وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) -الفجر: ١٥، ١٦-.

فتسمع منه ما يثير عجبك لضعف يقينه وإيمانه بالله تعالى:

• لماذا يا رب تبتليني بكذا وكذا؟ لماذا هذا الفقر؟ لماذا حرمتني من الولد ومن كذا؟!

وقد يبارز آللّه بالمعاصي، ويغرُّه الشيطان، فيترك الصلاةَ ويترك الدعاء، ويفتر لسانه عن الذِّكر، ويضعف يقينه وتوكُّله على خالقه!

وكلُّ ذلك من تَلبيس إبليس - لَعنه الله - ونسِي هذا الغافلُ حقيقة عبوديّته لله تعالى الجاحِد لنِعمه عليه قولَ الشّيطان له ولأمثاله يومَ الوعيد؛ كما قال تعالى :(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) -الحشر: ١٦-.

ومن ثمَّ يَنبغي الشُّكر لله على نعمه تعالى التي لا تُحصى؛ فهذا من صِدق إحسان العبد في عبادته وتوحيده لخالقه، وبرهان لحقيقة عبوديته له جلَّ في علاه، وليجتهد في صلاته وصيامِه وذكره، وفي كلِّ أحواله دينًا ودُنيا، على إخلاص نيّته فيها، والحرص على موافقتها لأوامره، وعلى هَدي رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ليكون من أهل الفلاح في الدارين.

وما جزاء الإحسان إلا الإحسان:
لا يخفى على أولي العقول والأبصار أنّ الإحسان في الأعمال أو الأقوال مع الخَلق ثَوابه عَظيم، ولقد كتب اللّه على المحسنين بردِّ إحسانهم إليهم في الآخرة؛ كما قال تعالى :(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) -الرحمن: ٦٠-.

قال السعدي: أي: هل جزاء مَن أحسَن في عبادة الخالِق ونفع عبيده، إلّا أن يحسن إليه بالثَّواب الجزيل، والفوزِ الكبير، والنَّعيم المقيم، والعيش السليم، فهاتان الجنَّتان العاليتان للمقرَّبين-12-؛ اهـ.

والمحسِن المتَّبع لهَدي النَّبي صلى اللّه عليه وسلم يسارع للإحسان إلى عباد اللّه تعالى حتى لو كانوا من لَحمه ودَمه؛ كما يقول العامَّة، وفي ذلك ثوابٌ عظيم.

وإليك هذا الحديث الجميل الذي يَزيد من حميتك بالإحسان وعمل الخير ولو كانوا من أهلك، فكلُّ عمل تحسن فيه إلى الخلق وفيه إخلاص للّه تعالى، لك فيه أجر.

• في الصحيحين عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: جاءتني مسكينةٌ تحملُ ابنتين لها، فأطعمتُها ثلاث تمراتٍ، فأعطتْ كُلَّ واحدةٍ منهُما تمرةً، ورفعتْ إلى فيها تمرةً لتأكُلَها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقَّت التمرةَ التي كانت تريدُ أن تأكلَها بينهما، فأعجبني شأنُها، فذكرتُ الذي صنعتْ لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فقال: "إنَّ اللّه قد أوجَبَ لها بها الجنَّة، أو أعتقها بها من النَّار".-13-

• وحديث آخر قال النَّبي صلى اللّه عليه وسلم: "دينارٌ أنفقتَه في سبيل اللّه، ودينار أنفقتَه في رقبة، ودينار تصدَّقتَ به على مسكين، ودينار أنفقتَه على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقتَه على أهلك".-14-

هذا هو ثواب الإحسان، حتى لو كانوا من أهلك، فماذا ننتظر؟

أعطِ مَحرومًا، أو تصدَّق على مسكين، أو عُد مريضًا، أو انصر مظلومًا، أو برَّ والديك، أو ساعد صديقًا، أو أطعم حيوانًا أعجَمَ، أو غير ذلك من أعمال الخير والبرِّ والإحسان للخلق، وتذكَّر: "إنَّ الله كتَب الإحسانَ على كلِّ شيء"-15-؛ كما قال نبيُّنا صلى الله عليه وسلم.

•يقول العلامة ابن العثيمين رحمه الله مبيّنًا فضلَ الإحسان وأنواعه على الخلق :فأمَّا المال، فأن يُنفِق ويتصدَّق ويزكي، وأفضل أنواع الإحسان بالمال الزَّكاة؛ لأنَّ الزكاة أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام المرء إلَّا بها، وهي أحب النَّفقات إلى الله عز وجل، ويلي ذلك ما يجب على الإنسان من نَفَقة لزوجته، وأمِّه، وأبيه، وذرِّيته، وإخوانه، وبني إخوته، وأخواته، وأعمامه، وعمَّاته، وخالاته، إلى آخر هذا، ثمَّ الصدقة على المساكين وغيرهم، ممن هم أهلٌ للصدقة؛ كطلاب العلم مثلًا.

وأمَّا بذل المعروف في الجاه، فهو أنَّ الناس مَراتب؛ منهم مَن له جاه عند ذَوي السلطان؛ فيبذل الإنسان جاهَه، يأتيه رجل فيطلب منه الشَّفاعةَ إلى ذي السُّلطان يَشفع له عنده؛ إمَّا بدَفع ضرَر عنه، أو بجلْبِ خيرٍ له.

وأمَّا بعلمه، فأن يَبذل علمَه لعِباد الله، تعليمًا في الحلقات والمجالس العامَّة والخاصة، حتى لو كنت في مجلس قهوة، فإنَّ من الخير والإحسان أن تعلِّم الناس، ولو كنت في مجلسٍ عام فمِن الخير أن تعلّم الناس، ولكن استعمل الحكمةَ في هذا الباب، فلا تثقِل على الناس؛ حيث كلما جلستَ في مجلس جعلتَ تَعِظهم وتتحدَّث إليهم؛ لأن النَّبي صلى الله عليه وسلم كان يتخوَّلهم بالموعظة، ولا يكثِر؛ لأنَّ النفوس تَسأم وتمَلُّ، فإذا ملَّت كلَّت وضعُفتْ، وربما تَكره الخيرَ لكثرة مَن يقوم ويتكلَّم.

وأمَّا الإحسان إلى النَّاس بالبدن، فقد قال النَّبي عليه الصلاة والسلام: "وتُعين الرجلَ في دابَّته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه – صَدَقةٌ"-16-؛ فهذا رجل تُعينه، تَحمِل متاعَه معه، أو تدله على طريقٍ أو ما أشبه ذلك؛ فكلُّ ذلك من الإحسان-17-؛ اهـ.

وبعد، فليكن العبد المحسِن إلى الخلقِ على يقين أنَّ الله يراه، فليخلص نيَّته ويذل نفسه كعبدٍ في ابتغاء رضا مولاه وخالقه جلَّ في علاه، وسوف يجعل له مِن كل همٍّ فرَجًا ومن كل ضيقٍ مَخرجًا، ويرزقه من حيث لا يَحتسب؛ فالجزاء من جِنس العمل، هذه سنَّة الله في خلقه، وهو القائل سبحانه وتعالى :(فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) -فاطر: ٤٣-.

ومن يدري لعلَّه يكون من أهل هذه الآية :(فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) -آل عمران: ١٤٨-.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين، وللحديث بقيَّة، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

-1-أخرجاه في الصحيحين: البخاري برقم (٥٠) - باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم برقم (٩) - باب: الإيمان ما هو وبيان خصاله.

" -2-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"؛ لعبدالرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١/ ٩٠).

" -3-الجامع لأحكام القرآن"؛ للقرطبي - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٠ / ١٤٤).

-4-أخرجه البخاري برقم (١) - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-5-انظر: شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية؛ لابن دقيق (ص/ ٣٤) - الناشر: مؤسسة الريان - الطبعة: السادسة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

-6-أخرجه مسلم برقم (١٧١٨(- باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدَثات الأمور.

-7-انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم؛ لابن تيمية (٢/ ١٢٣) - تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل - الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان - الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

-8-صححه الألباني في الإرواء برقم (٢٣٨٤) - وانظر صحيح المشكاة برقم (٤٣٤٧).
-9-أخرجه مسلم برقم (٤٤) - باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد.
-10-أخرجه البخاري برقم (٧٤١٦) - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا شخص أغير من الله".
-11-أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩) - باب المؤمن أمره كله خير.
" -12-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"؛ لعبدالرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١ / ٨٣١).
-13-أخرجه مسلم برقم (٢٦٣٠) - باب فضل الإحسان إلى البنات.
-14-أخرجه مسلم برقم (٩٩٥) - باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيَّعهم أو حبس نفقتهم عنهم.
-15-انظر: صحيح الإرواء (٧/ ٢٩٢)، صحيح أبي داود (٢٥٠٦) للألباني.
-16-أخرجه مسلم برقم (١٠٠٩) - باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.
-17-انظر شرح ثلاثة الأصول؛ لابن العثيمين (ص/ ١١٨) - الناشر: دار الثريا للنشر - الطبعة: الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/107520/#ixzz5h0vxFoQU

١٢

الصدق في الإيمان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فقد أخرج مسلمٌ عن سفيان بن عبدالله الثقفي - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك - وفي حديث أبي أسامة: غيرك - قال: "قل: آمنتُ بالله، فاستقم"-1-، وفي رواية: "قل: آمنتُ بالله، ثم استقم".

قلتُ: والمتأمل في الحديث لمقصوده صلى الله عليه وسلم عن الإيمان بالله تعالى يدرك أن صدقَ الإيمان بالله لا يكون قولًا باللسان فقط، بل وباليقين بالقلب، وبرهان صدق يقينه استقامتُه على الطريق؛ أي: الالتزام بتعاليم الكتاب والسنة، أو - كما عرَّفه أهل العلم - سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم، من غير ميل عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعلَ الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها، الظاهرة والباطنة.-2-

وفي فتوى للجنة الدائمة عن صحة الإيمان وتعريفه قالت: "الصواب في ذلك قولُ أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وتصديق بالجَنان، ولا يكتفى في ذلك بالنطق باللسان إلا في إجراء أحكام الدنيا؛ مِن تغسيله إذا مات، وتكفينه، ودفنه في مقابر المسلمين، ونحو ذلك من أحكام الدنيا إذا لم يعلم منه ما يقتضي كفره، وأما شهادة أن لا إله إلا الله، فمعناها (لا معبود حق إلا الله)، ولا يكفي مجرد القول، بل لا بد مِن الإيمان بالمعنى، والعمل بالمقتضى؛ كما قال الله سبحانه في سورة الحج :(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ) -الحج: ٦٢-، وقال سبحانه :(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) -البينة: ٥-3-" ؛ اهـ.

وجديرٌ بالأمة أن يكون هديُ نبيّها صلى الله عليه وسلم نبراسًا يضيء لهم طريقهم المليء بالشهوات المهلكة والفتن التي تعصف بهم في بحر لجي لا شاطئ له، إلا مَن رحم ربي منهم، وهداه - بالعمل بهديِ نبيه صلى الله عليه وسلم - إلى ما يحبه ويرضاه، ولم يجعل هواه يصدُّه عن الحق.

وبادئ ذي بدء نقول: الكثير منا يدعي الإيمان بالله تعالى قولًا باللسان، ولا ترى في حياته التزامًا بكتاب أو سنة، وهما الدليل والبرهان الساطع لاستقامته على طريق الرشاد حقًّا.

وإننا لا نشكُّ البتة أن المسلم منا قد آمن بالله ربًّا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا، وبالإسلام دِينًا.
ولا نشكُّ البتة - وحاشا لله - أنه يؤمن بأن الله تعالى هو الربُّ الجليل، وهو العبد الذليل، وأن الله - جل في علاه - الخالق الباري، المحيي المميت، الحي القيوم، السميع البصير، الواحد الأحد، الفرد الصمد، له الأسماء الحسنى، وليس كمثله شيءٌ، ويؤمن بالكتب والرسل، والملائكة والجنة والنار، والقدر خيره وشره، فكل هذا وغيره لا شك في إدراك المسلم له، وينطق بها لسانه حقًّا، ولكن..
هل المسلمُ منا مؤمنٌ بالله تعالى بصدق؛ أي: عملًا بالجوارح والأركان، لا قولًا باللسان والكلمات فقط؟!
هل نحن مؤمنون حقًّا بالله تعالى ولا نخاف ولا نخشى إلا إياه - جل في علاه؟
أو بعبارة أخرى أكثر بيانًا وتوضيحًا: هل يستشعر المسلم منا عظمةَ الله في نفسه التي بين جنبَيْهِ ويستقيم على طريق الحق؟
وهل يستشعر حقيقةَ عبوديته لله - جل في علاه - في علاقته مع عباد الله؟
إن في هديِ نبينا صلى الله عليه وسلم تطبيقًا عمليًّا لحقيقة الإيمان الصادق بالقول والعمل دون تعارض بينهما، وحقيقة العبودية لله - جل في علاه - في أسمى صورها، وكما يحب ربُّنا ويرضى، فليتأمَّلِ المسلم بعقله وقلبه ما نطرحه هنا من هدي نبينا في صدق الإيمان بالله تعالى، بالقول باللسان، والعمل بالجوارح والأركان، ثم يجيب عن نفسه بكل

صراحة ووضوح: هل يؤمن بالله حقًّا وصدقًّا أو أنه قد حاد عن الطريق المستقيم؟

النبي يشهَد لجارية بالإيمان:

•في حديث معاوية بن الحكم - رضي الله عنه - قال: وكانت لي جاريةٌ ترعى غنمًا لي قِبَل أُحدٍ والجوَّانية، فاطلعتُ ذات يومٍ فإذا الذئب قد ذهب بشاةٍ من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم، آسَفُ كما يأسفون، لكني صككتها صكةً، فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعظَّم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: "ائتني بها"، فأتيته بها، فقال لها: "أين الله؟" قالت: في السماء، قال: "مَن أنا؟"، قالت: أنت رسول الله، قال: "أعتقها؛ فإنها مؤمنةٌ".-4-

ومما لا يغيب عن فِطنة المسلم اللبيب أن النبي صلى الله عليه وسلم أدرك أنها مؤمنة حقًّا وصدقًا، وليس مجرد قول باللسان، كما هو لسان حال أهل هذا الزمان، إلا مَن رحم ربي؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى؛ كما قال تعالى :(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) -النجم: ٣، ٤-.

قلتُ: وهذه الجارية في حديث معاوية بن الحكم - رضي الله عنه - الذي ذكرناه آنفًا، لم تكن مؤمنة كرجال ونساء هذا العصر، إلا مَن رحم ربي، فجميعًا نقول: "الله في السماء، ولا إله إلا الله محمد رسول الله" جهارًا نهارًا، وغير ذلك مِن أركان الدين، قولًا باللسان دون بينة على صحة هذه المقولة بالعمل بالكتاب والسنَّة، وهي تشبِهُ عينَ ما قاله المرجئة قديمًا: إن الإيمان هو نطقُ اللسان بالتوحيد، مجردًا عن عقدِ قلب، وعملِ جوارح.

ولكن - قطعًا - الإيمانُ الحقيقي الصادق للجارية هو الذي جعل النبيَّ صلى الله عليه وسلم يشهد لها بالإيمان، كما لا يخفى.

ومِن ثم يصح أن يقال :إن مَن ينطق بلسانه بالتوحيد وغير ذلك مِن اعتقاد بالقلب بأركان الإيمان دون عمل يدلُّ على صحة قوله - إيمانٌ غير صادق وغير مكتمل، ويُخشَى على صاحبه مِن سوء الخاتمة، وينطبقُ عليه قولُ الله تعالى :(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا *أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) -الكهف: ١٠٤، ١٠٥-.

يقول السعديُّ - رحمه الله - في تفسيرها: "أي: قل يا محمد للناس - على وجه التحذير والإنذار -: هل أخبركم بأخسرِ الناس أعمالًا على الإطلاق؟ (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) -الكهف: ١٠٤-؛ أي: بطَل واضمحلَّ كلُّ ما عمِلوه من عمل، يحسبون أنهم محسنون في صنعه، فكيف بأعمالهم التي يعلمون أنها باطلة، وأنها محادَّة لله ورسله ومعاداة؟، فمَن هم هؤلاء الذين خسرت أعمالهم؛ فـ :(خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) -الزمر: ١٥-؟

(أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ) -الكهف: ١٠٥-؛ أي: جحَدوا الآيات القرآنية، والآيات العيانية، الدالة على وجوب الإيمان به، وملائكته، ورسلِه، وكتبه، واليوم الآخِر.

(فَحَبِطَتْ) بسببِ ذلك (أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) -الكهف: ١٠٥-؛ لأن الوزنَ فائدته مقابلةُ الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسناتِ لهم؛ لعدم شرطِها، وهو الإيمان؛ كما قال تعالى :(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) -طه: ١١٢-، لكن تُعَدُّ أعمالهم وتحصى، ويقرَّرون بها، ويُخْزَوْنَ بها على رؤوس الأشهاد، ثم يعذَّبون عليها"؛ -5-اهـ.

وأكرِّر قولي لخطورة وأهمية هذه المسألة؛ ليهلِكَ مَن هلك عن *بينة*، ويحيا من حيَّ *عن بينة*، إن المتأملَ في أقوال العلماء مِن أهل السنَّة والجماعة في هذه المسالة - أي حقيقة الإيمان والصدق فيه - يجدها محلَّ إجماع؛ لكثرة الأدلة، ولقد سُئل العلامة عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -: هل يكفي المعتقدُ الصحيحُ عن العمل والاستقامةِ على شرع الله؟

فأجاب بقوله: لا يكفي الإيمانُ المعتقَد عن العمل، لا بد مِن العمل : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) -لقمان: ٨-، لا بد من العمل؛ يؤمِن بالله ورسوله، وتوحيد الله، ويعمَل؛ يؤدي فرائض الله، وينتهي عن محارم الله، لا بد مِن هذا وهذا؛ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) -لقمان: ٨-، لا بد مِن الإيمان والعمل؛ -6-اهـ.

صورٌ مِن صدق الإيمان ومِن هَدْيِ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:

النبيُّ صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة لنا جميعًا؛ كما قال تعالى :(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) -الأحزاب: ٢١-.

ولتصحيح مفهومنا عن الإيمان، نطرح هنا هذه الأدلة الصحيحة مِن هَدْيِ النبي صلى الله عليه وسلم لنتأمَّلَها ونتعظَ بها؛ لندركَ حقيقة الإيمان الصادق في كل أعمالنا دينًا ودنيًا، والله المستعان.

1- مِن صور صدق الإيمان: قيام الليل:

كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يتعبَّد لله تعالى، ويقوم الليل، ويُطيل القيام حتى انتفخت قدماه؛ كما في الصحيحينِ مِن حديث المغيرةِ بن شعبة: "أنِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم صلَّى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتَكَلَّفُ هذا وقد غفَرَ ٱللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: "أفلا أكون عبدًا شكورًا".-7-

فكما نرى أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم يستشعر حقيقةَ عبوديته لله في الصلاةِ، وقِسْ على ذلك كلَّ عبادة لله تعالى؛ فنحن نفتقرُ إلى الله وهو الغنيُّ عن عباده.

وقد صحَّ عنه: أنه حثَّ عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما على القيام، فقال صلى الله عليه وسلم له: "يا عبدَ الله، لا تكُنْ مِثل فلانٍ، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل".-8-

ومما ينبغي ذِكرُه هنا: أن ٱلله تعالى جعل مِن محاسن أهل الإيمان القيامَ له - جل في علاه - في الظُّلَمِ، فقال في كتابه الكريم :(كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) -الذاريات: ١٧-.

• قال السعديُّ - رحمه الله -: "أي: المحسنون، (قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) -الذاريات: ١٧-؛ أي: كان هجوعُهم؛ أي: نومُهم بالليل، قليلًا، وأما أكثرُ الليل، فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاةٍ، وقراءةٍ، وذِكر، ودعاء، وتضرُّع"؛ -9-اهـ.

قلت: وقيامُ الليل مِن هَدْيِ النبي صلى الله عليه وسلم وسنَّته، وبيان لعبودية الإنسان للخالق - جل في علاه - وفيه مِن الفوائد لتنشيطِ الجسم وسلامته ما لا يغيبُ عن العقلاء.

• يقول ابنُ القيم - رحمه الله -: "كذلك قيام الليل مِن أنفع أسباب حِفظ الصحة، ومِن أمنع الأمور لكثيرٍ مِن الأمراض المزمنة، ومِن أنشط شيءٍ للبدن والرُّوح والقَلْب؛ كما في الصحيحينِ عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال: "يعقِدُ الشيطان على قافيةِ رأسِ أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقَدٍ، يضرب على كل عقدة: عليك ليلٌ طويلٌ، فارقُدْ، فإن هو استيقظ فذكَرَ الله، انحلَّتْ عقدة، فإن توضأ، انحلَّتْ عقدة ثانية، فإن صلى، انحلَّتْ عُقَدُه كلُّها، فأصبح نشيطًا طيِّبَ النفس، وإلا أصبَح خبيثَ النَّفْسِ كسلانَ""-10-؛ اهـ.-11-

فنحن إن أردنا استشعارَ حقيقةِ عبوديتنا لله تعالى، فليكُنِ القيامُ غايةً ووسيلة، والبُعد فيه وفي غيره من الأعمال عن الرياء والتفاخر والكِبْر؛ لأنه يحبط العمل.

وقد صحَّ عنه أنه قال لأصحابه: "لا تُطْروني كما أَطْرَتِ النصارى ابنَ مريم؛ إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ اِلله ورسولُه".-12-

2- مِن صور صدق الإيمان: الحرصُ على تطبيق شرع الله تعالى وحدوده:

تطبيق الشريعة الربانية وحدود الله تعالى، ولو كان على أحب الناس إليك وأقربهم إلى قلبك دون تردُّد ولا اعتراض بحجة اختلاف العصر، ووجود حدود زاجرة أرحم بالإنسان وآدميته؛ كالحبس في السجون أو ما أشبه - دليلٌ على قوة إيمانك، وصدق محبَّتِك لله تعالى ورسوله؛ ولهذا عندما أراد أسامةُ بن زيد - رضي الله عنه - أن يشفَعَ للمرأة المخزومية التي سرَقَتْ، ردَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بلا تردُّد، وهو الحِبُّ ابنُ الحِبِّ، وقال له: "أتشفَعُ في حدٍّ مِن حدود الله؟!"، ثم قام فاختطب، ثم قال: "إنما أهلَك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرَق فيهم الشريفُ ترَكوه، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، وايم الله، لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقَتْ، لقطعتُ يدَها".-13-

ولا يَغيب عن فِطنة المسلم الموحد أن فاطمة - رضي الله عنها - أم الحسن والحسين سيِّدَيْ شباب أهل الجنة، وزوجة علي بن طالب ابن عم رسول الله، وهو الذي قال له صلى الله عليه وسلم: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلةِ هارون مِن موسى"-14-، وهي سيدةُ نساء أهل الجنة؛ كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لها: "يا فاطمة، أما ترضَيْنَ أن تكوني سيدةَ نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة"-15-، يقول النبيُّ صلى الله عليه وسلم للناس ردًّا على شفاعة أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - في حدٍّ من حدود الله تعالى: (لو سرقت، لقطع يدها) وهو أبوها!

وتأمَّل كلامَ مَن لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم: "لقطعتُ يدها"، ولم يقل: لأمرت بقطع يدها! فظاهره هو الذي يباشر قطعها بنفسه لو سرقت، فمَن منا يطيق هذا؟
وهذا ما يفعله صدقُ الإيمان في القلب، الذي يؤيده عمل الجوارح.
-3 مِن صور صدق الإيمان: الإحسان إلى الجار:
•وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جارَه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرِمْ ضيفه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقُلْ خيرًا أو ليصمُتْ".-16-

ثلاثُ صُوَرٍ مِن صور صدق الإيمان في القلب لِمَن عمل بها حقًّا، ونكتفي - كمثال - ببيان الصورة الأولى، وهي: "مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخِر، فلا يؤذِ جارَه".
فأذى الجار حاصلٌ في زماننا هذا بين الكثير ممن يدَّعي الإيمان؛ فالغالبُ بين الجار المسلم وجاره - إلا من رحم ربي - إن رأى منه حسنةً كتَمها، وإن رأى منه سيئة أذاعها؛ ليفضَحَه بها بين الناس شماتةً فيه، والنبي صلى الله عليه وسلم يحذِّر في حديث آخر نافيًا صحة الإيمان عمن يؤذي جاره، فيقول: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن"، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمَنُ جارُه بوائقَه".-17-
فهل بعد كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلامٌ يقال، وكيف يتبع مَن يدَّعي الإيمانَ الهوى وهو يصدُّ عن الحق ويؤذي جاره والحق أحقُّ أن يتبع؟! وأين مَن يتركون هذه الوصية وغيرها مِن قول الله تعالى وتحذيره لهم في آيات بينات :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ *وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ *إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) - الأنفال: ٢٠ - ٢٢-.
وبعد أن أدركنا هَدْيَ النبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان الصادق بما طرحنا من أمثلة على سبيل المثال، وعلِمنا حقيقة الداء، وهو الاكتفاء بالنطق باللسان دون يقين وصدق في الإيمان الذي يدل عليه الاستقامة على الطريق المستقيم والالتزام بتعاليم الشريعة الربانية، وفي يقيني أن العبد منا لن يستشعر حقيقة عبوديته لله تعالى إلا إذا صدق في عزمه على المضي قدمًا في طريق الترقي والسمو في الإيمان الذي يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو قطعًا ليس طريقًا

هينًا مفروشًا بالورود، بل طريق شاق ومرهق يخالف الهوى والنفس الأمَّارة بالسوء.

وإن شاء ٱللَّه تعالى نواصل بيان هدي نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو خير الهدي، لِمَن أراد خير الدنيا والآخرة، وٱللَّه مِن وراء القصد، وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمين.

-1-أخرجه مسلم برقم/ ٣٨ - باب جامع أوصاف الإسلام.

-2-انظر جامع العلوم والحكم، شرح الحديث الحادي والعشرين، لابن رجب الحنبلي.

-3-انظر فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٣٤٨) - المجموعة الأولى - جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدويش - نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض.

-4-أخرجه مسلم برقم/ ٥٣٧ - باب تحريم الكلام في الصلاة.

-5-انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ص/ ٤٨٧) - تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

-6-انظر مجموع فتاوى العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله - سؤال رقم/ ١٩ - جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

-7-أخرجاه في الصحيحين، البخاري برقم/ ٤٨٣٦ - باب :(لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) -الفتح: ٢-؛ ومسلم برقم/ ٢٨١٩ - باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

-8-أخرجه البخاري برقم/ ١١٥٢ - باب ما يكره مِن ترك قيام الليل لِمَن كان يقومه.

-9-أخرجه البخاري برقم/ ٣٤٤٥ - باب قول الله :(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا) -مريم: ١٦-.

-10-أخرجاه في الصحيحين، البخاري برقم/ ١١٤٢ - باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يُصَلِّ بالليل، ومسلم برقم/ ٧٧٦ - باب ما رُوِيَ فيمن نام الليل أجمعَ حتى أصبَح.

- -11-انظر زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٤/ ٢٣٧) - الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت - الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

-12-أخرجه البخاري برقم/ ٣٤٤٥ - باب قول الله :(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا) -مريم: ١٦-.

-13-أخرجه البخاري برقم/ ٣٤٧٥ - باب حديث الغار.

-14-أخرجه البخاري برقم/ ٣٧٠٦ - باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه.

-15-أخرجه البخاري برقم/ ٦٢٨٥ - باب مَن ناجى بين يدي الناس، ومن لم يخبر بسر صاحبه، فإذا مات أخبر به.

-16-أخرجه البخاري برقم/ ٦١٣٨ - باب إكرام الضيف، وخدمته إياه بنفسه.

-17-أخرجه البخاري برقم/ ٦٠١٦ - باب إثم مَن لا يأمن جارُه بوائقَه.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/108039/#ixzz5h0w6wKoH

التورعُ عن المحرّمات

انتشر الحرام في الأمة انتشار النار في الهشيم، وانصرَف الكثير من العباد عن طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان، ومن الحياء من المعصية والندم على ما فات إلى المجاهرة والإصرار على الذنب والتمادي فيه، وكثرة الفتن من نساء متبرجات وأفلام خليعة، وفضائيات تبث أدق التفاصيل وبإثارة مفتعلة، فتفسد الأخلاقيات، ولا تتقي الله في المراهقين والمراهقات من أبناء وبنات المسلمين والمسلمات الذين يشاهدون كل ذلك بانبهار شديد.

لهذا كله وغيره وقع الكثير في المعاصي والآثام، صغيرها وكبيرها، وغرهم بالله الغرور - إلا من رحم ربي - ولقد خفي عليهم هدي نبيهم في التحذير من اللهث خلف الحرام وزينة الحياة الدنيا؛ قال - عليه الصلاة والسلام -: "الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدِينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملكٍ حمًى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلَحت صلَح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".-1-

ولكن هيهات هيهات؛ فالقلوب غافلة لاهية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
ونود هنا طرح أمثلة عن محرمات نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، وحذر منها أمته، ونبين هديه وسنته في تحريمها، والتحذير من الوقوع فيها، وهي على سبيل المثال لا الحصر؛ لعل وعسى يقلع عنها من هداه الله ووفَّقه لطريق الحق والرشاد، والله المستعان!

-1من المحرّمات شرب الدُّخَان:

التدخين صار عادةً عمت وانتشرت بين الناس على اختلاف ثقافتهم وحالتهم الاجتماعية؛ فالطبيب يدخن وهو يعلم خطورة التدخين على

الصحة، والمريض يدخن رغم علمه بخطورة حالته، وبعض النساء ممن لا رادع لهن من دين ولا قانون تنافس الرجل في ذلك بحجة المساواة والحرية الشخصية، حتى الشباب وصغار السن الذين لا يتجاوز عمرهم الاثني عشر عامًا تراهم يدخنون بشراهة جهارًا نهارًا بلا حسيب أو رقيب.

والتدخين أجمع العلماء على تحريمه؛ لخُبثه وضرره الشديد على الصحة والمال، بأدلة من الكتاب وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، سنطرح بعضها هنا، ومع ذلك فالبعض لا يهتدي بهدي نبيه، ولا يريد أن يستمع إلى صوت العقل من أهل الطب الذين حذروا من خطورته صحيًّا ونفسيًّا، ويعود إلى طريق الحقّ والصواب.

بل تجد الكِبْر والتعالي من البعض الذي يدافع عنه ويراه مكروهًا، وربما مباحًا، بحجة أن هذا لم يكن موجودًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هناك دليل على تحريمه!

وأنا لا أدري كيف يستوي الخبيث والطيب؟ قال تعالى :(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) -المائدة: ١٠٠-.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا ضررَ ولا ضِرارَ".-2-
فالتدخين ضرره لا ينكره إلا جاحد فاسد القلب والعقل، بل هو مصيبة متعددة النواحي، وكان أهل المدخن أولى بهذا المال الذي يحرقه بشرب الدخان في ترميم الميزانية وسد العجز وشراء الضروريات من طعام وشراب وملبّس ومصاريف الأولاد، وما أشبه ذلك من الضروريات التي لا غنَى عنها في زماننا هذا، الذي زاد فيه الجشع والطمع وحب المال عن حده، وحسبُنا الله ونعم الوكيل!

قال تعالى:
(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) -الإسراء: ٢٦، ٢٧-.

وليتذكَّرِ المدخِّن هذا الحديث الشريف عن نضلة بن عبيد الأسلمي، عسى أن يُفيق من غفلته، ويقلع عن التدخين كله بأنواعه؛قال رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره؛ فيمَ أفناه؟ وعن علمِه؛ فيمَ فعل فيه؟ وعن ماله؛ مِن أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ وعن جسمه؛ فيمَ أبلاه؟".-3-

-2مصافحة النساء:

وهذا أمر محرَّم قد عمت به البلوى، وصارت مصافحة النساء أمرًا عاديًّا لا يثير الدهشة، فضلًا عن الحرمة، بل صار الامتناع عن مصافحة النساء عيبًا وقلة تربية، خصوصًا إذا مدَّتِ المرأة يديها بالمصافحة أو العكس وأبى المسلم إلا أن يتبع هدي نبيه صلى الله عليه وسلم، ونحن نسأل: من نتبع كمسلمين؛ هَدْيَ نبينا الذي حرم مصافحة النساء الأجنبيات أم الهوى الذي يصدُّ عن الحق؟!

لقد دلس الشيطان الأمر على الناس، إلا مَن رحم ربي، وأصبحت السنَّة بدعة، والبدعة سنَّة،وها نحن نذكر أدلة حرمة المصافحة، ونبين هدي نبينا صلى الله عليه وسلم ليحيا من حَيَّ عن بينة، ويَهلِك مَن هلك عن بينة، ومن أراد الفلاح والصلاح واتباع السنة فليُقلِع عن هذه العادة المحرمة، والله المستعان.

•عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ولا والله ما مسَّتْ يدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَ امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام.-4-)

•قال الإمام النووي رحمه الله في شرح الحديث ما مختصره:

)فيه أن بيعته للنساء بالكلام من غير أخذ كف، وفيه أن بيعة الرجال بأخذ الكف مع الكلام، وفيه أن كلام الأجنبية يباح سماعه عند الحاجة، وأن صوتها ليس بعورة، وألا يلمِسَ بشرة الأجنبية من غير ضرورة؛ كتطبيب وفصد وحجامة وقلع ضرس وكحل عين، ونحوها مما لا توجد امرأة تفعله جاز للرجل الأجنبي فعله للضرورة(؛اهـ.-5-

وأخيرًا، من الأدلة الواضحة التي لا لَبْسَ فيها ولا غموض ما رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لأن يُطعَنَ في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأةً لا تحل له".-6-

فهذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهديه الذي أمرنا الله تعالى بطاعته، وحذرنا من مخالفة أمره في كثير من الآيات البينات، منها قوله تعالى:
(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) -الأحزاب: ٢١-.

•وقوله تعالى:
(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) -النور: ٦٣-.
وبعد كل هذا الترهيب والتحذير ما زال الكثيرُ من الجنسين يصافح كل منهما الآخر وكأنما الأمر لا يعنيهم، وتسمع مبرراتٍ أقبحَ من الذنب نفسه، يقول الرجل: هي كأختي أو أمي، وتقول المرأة: هو كأخي أو أبي، والعبرة بالنية التي في القلب، والدِّين يُسر، وهلم جرًّا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

-3حَلْق اللحية:
وهذا أمر آخر محرَّم قد عمت به البلوى أيضًا، ويخالف هدي نبينا صلى الله عليه وسلم في إعفاء اللحية وحرمة حلقها، والعجب أنها صارت عنوانًا للتطرف والتزمُّت والتنطع، ويشار إلى صاحبها بمقولة: فلان السني، وكأنما هي تهمة وليس مكرمة! حقًّا (إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) -الحج: ٤٦-.

ولكشف الغمة نقول بتوفيق الله تعالى: إن الأحاديث من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في إعفائها كثيرة، من ذلك:
•ما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جُزُّوا الشوارب، وأرخوا اللِّحى، وخالِفوا المجوسَ".-7-

•وما رُوي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "عَشْرٌ من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم،

ونتف الإبْط، وحَلْق العانة، وانتقاص الماء"،قال أحد الرواة: ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة.-8-

هذا هو هدي نبينا في حُكم اللحية وحرمة حلقها، وسبحان الله..أقول لنفسي دائمًا وأنا في عجب عندما يشير الناس علي وعلى أمثالي ممن يلتزمون بهدي نبيهم في إعفاء اللحية بقولهم: فلان السني..فماذا يكونون هم إذًا؟ مَن هو نبيهم وأسوتهم الحسنة؟!ألم يقُلِ الله تعالى:
(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) -الأحزاب: ٢١-.
وقال تعالى :(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) -الحشر: ٧-.

عجبًا من التفريق، وعجبًا لمن لا يعقِل دينه ويتكلم قبل أن يفقَه، ويخالف قوله ما يجب أن يكون هو عليه..إن إعفاء اللحية سنَّة واجبة، وحلقها معصية لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ثم إن إعفاء اللحية وتوفيرها سنَّة الأنبياء جميعًا، ودليل ذلك قول هارون لموسى عليهما السلام كما جاء في كتاب الله تعالى:
(قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) -طه: ٩٤-.

وهي أيضًا سنَّة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وتابعي التابعين، وهم خير قرون الإسلام على الإطلاق، وقد يلبس الشيطان الأمر على بعض الناس بأن إعفاء اللحية كان لمخالفة أهل الكتاب، والآن وقد صار منهم الكثير ممن يعفيها ولا يحلقها فمن الموافق للسنَّة أن نحلقها مخالفة لهم!

وهذا التفسير عجيب حقًّا؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بمخالفة أهل الكتاب فيما كان حقًّا وصدقًا، وإنما يزيد عليه شيئًا إن فعلوا الصواب الذي يتوافق مع شريعتنا، وأعطيك مثالين على ذلك؛ لأكشف لك الغمة، وأزيل عنك هذا الالتباس، والله المستعان.

المثال الأول:

يوم عاشوراء عندما كان اليهود يصومونه، وهو اليوم الذي نجى الله فيه موسى، وقد رُوي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: "ما هذا؟"، قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: "فأنا أحق بموسى منكم"-9-، فصامه، وأمر بصيامه.

ووافق ذلك ما كانوا عليه، ولكنه خالفهم عندما أمر بصيام يوم قبله، فقال صلى الله عليه وسلم: "لئن بقِيتُ إلى قابلٍ لأصومن التاسع"-10- ؛ من أجل مخالفتهم.

المثال الثاني:
إن اليهود - وهم من أهل الكتاب - يختنون، فهل نترك الختان لمخالفتهم؟قطعًا لا.
ولا يقول هذا عاقل يفقه دينه، وإنما هم في هذا العمل على الفطرة التي توافق تعاليم ديننا وشريعتنا، ومن السنَّة أن نخالفهم في شيء من العمل نفسه، وليس في أصله، وهو الإعفاء؛ ولهذا أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم - حبًّا في مخالفتهم - بأن نأخذ من الشارب، وهم لا يفعلون ذلك.

فقال صلى الله عليه وسلم: "خالفوا المشركين؛ أحفوا الشوارب، وأوفوا اللِّحَى".-11-
هذا مع العلم أن إحفاء الشارب قد جاء مرة بلفظ (الإحفاء(، ومرة بلفظ (القص(، ومن هنا قال أهل العلم بالقص، وبعضهم بالاستئصال، وبعضهم بالتخيير،ودِيننا يُسر ولله الحمد والمنَّة.

قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط مختصرًا وبتصرف:
"فأمر صلى الله عليه وسلم بمخالفة المشركين مطلقًا، ثم قال: "أحفوا الشوارب، وأوفوا اللحى"، وهذه الجملة الثانية بدل من الأولى؛ فإن الإبدال يقع في الجمل كما يقع في المفردات، قال: فلفظ مخالفة المشركين دليل على أن جنس المخالفة أمرٌ مقصود للشارع، وإن عينت في هذا الفعل، فإن تقديم المخالفة علة تقديم العام على الخاص، كما

يقال: أكرم ضيفك؛ أطعمه وحادثه، فأمرُك بالإكرام أولًا دليل على أن إكرام الضيف مقصود، ثم عيَّنت الفعل الذي يكون إكرامًا في ذلك الوقت، والتقرير من هذا الحديث شبيه بالتقرير من قوله: "لا يصبغون فخالفوهم.-12-"

- 4الجدال:

الجدال آفة هذا العصر، وإن كان في غير بيان حق صار محرَّمًا؛ لِما يُورِث من بُغض وكراهية، وعداوة بين الناس، ومِن أعظم أسبابه حبُّ الانتصار للنفس، فكل واحد منا يرى في نفسه الصواب والحكمة في الرأي، وغيره لا يفقه شيئًا، وغير عليم ببواطن الأمور.

وأسوأُ أنواع الجدال:الجدال في دِين الله تعالى بغير علم، ولقد تجاهَل العبادُ أمر الله تعالى بسؤال أهل العلم والذِّكر؛ فهم أعلم الأمَّة بدين الله، وقادرون على استنباط الحقيقة في الأمور المستحدثة، ويفتون بما يوافق تعاليمَ الكتاب والسنَّة.

قال تعالى :(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) -النحل: ٤٣-، وقال تعالى :(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) -آل عمران: ٧-.

نَعم لقد خص الله تعالى العلماءَ والفقهاء بتوضيح ما استشكل من العبادات، ومِن ثم إذا ظن البعض منا أنه ما دام قد قرأ كتابًا أو كتابين أو تتلمذ على يد شيخٍ مِن المشايخ أنه صار أهلًا للمشورة والرأي والفتوى، فيبدأ يجادل ويحاور للانتصار لرأيه السديد، ورأي شيخه، وإن كان الدليل من السنَّة الصحيحة الصريحة ضده فهذه كارثة وحمية جاهلية، ومن المنكرات العظيمة، والأخطاء الفادحة الجسيمة التي ابتلت بها الأمة، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم في سنَّته الصحيحة من هؤلاء فقال :"إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهَّالًا، فسُئلوا، فأفتَوْا بغير علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا".-13-

وأخشى أن ينطبق عليهم قوله تعالى :(وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) -النحل: ١١٦-.

وكلُّ هذا أدى إلى ما هو أسوأ من الجدال، وهو المِراء، ومعنى المراء: الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه..وذلك إما في اللفظ أو المعنى أو في قصد المتكلم، وهذا مرفوض، اللهم إلا إذا كان للانتصار للدين، ورد الأمر إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بعيدًا عن الشطحات الفكرية والآراء العنترية من أناس يجادلون في دين الله بغير علم، ويُضلُّون غيرهم من العباد، ويكون ذلك من باب النصيحة، وبشروطها المعروفة.

وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بترك الجدال والمراء، والبُعد عن الكِبْر، والتعالي على العباد، إلا في رد حق أو نصر دين،فقال صلى الله عليه وسلم: "إن مِن أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنَكم أخلاقًا، وإن أبغضَكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة: الثَّرثارون والمتشدِّقون والمُتفيهِقون"، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدِّقون فما المتفيهقون؟ قال: "المتكبِّرون".-14-

قلت: والمتشدق: المتطاول على الناس بكلامه، والثرثار: كثير الكلام،والمتفيهق: هو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه، ويُظهر الفضيلة على غيره.

- 5الكذِب:

الكذِبُ مِن المحرَّمات البينة والمنتشرة، وآفة عمت بها البلوى، ويندر أن تجد إنسانًا صادقًا مائة في المائة؛ فالكذب صار سمةَ كثيرٍ من الناس - إلا مَن رحم ربي - في هذا العصر، والناس التي تمارس الكذب لها معاذيرُ أقبحُ مِن الكذب نفسه.

يقولون: الكذب يفتح لك الأبواب المغلقة، ويقولون: بالكذب تقضي مصالحَك،ويقولون: الكذب وسيلة لا تضر؛ للتخلُّص ممن لا تريد، وهكذا!

وهم مِن أجل ذلك جعلوا للكذب ألوانًا وأشكالًا؛فهذه كذبة بيضاء، وتلك سوداء، والأبيض حلال في رأيهم ما دام لا يسبِّب ضررًا،والله سبحانه وتعالى يقول:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) -التوبة: ١١٩-، ويقول أيضًا جل وعلا :(قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) -المائدة: ١١٩-.
فالصِّدق إذًا ينفع يوم القيامة، ويُنجي صاحبه من النار،فماذا عن أهل الكذب؟ وما هو عذرهم؟ وكيف يكون جوابهم؟!

ألم يقل الله تعالى :(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) -ق: ١٨-.
وفي هدي نبينا تحريم الكذب، والوعيد الشديد للكاذبين؛ قال صلى الله عليه وسلم: "إن الصِّدق يَهدي إلى البر، وإن البر يَهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدُقُ حتى يكون صِدِّيقًا،وإن الكذب يَهدي إلى الفجور، وإن الفجور يَهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذِبُ حتى يكتب عند الله كذَّابًا"-15-.

والكذب مِن علامات المنافق، كما أنه مهانة للمرء، والبعض يكذِبُ ليُضحك أصحابه ويمازحهم، ويظن ذلك لا حرمة فيه، وهو واهمٌ، وله ولأمثاله في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة؛ فقد كان يمزح، ولكن لا يقول إلا حقًّا.
•فعن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا! قال: "إني لا أقولُ إلا حقًّا".-16-

ثم أين الكاذب ليضحك أصحابه مِن الترهيب الشديد فيما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ويلٌ للذي يُحدِّث بالحديث ليُضحِكَ به القوم فيكذب، ويل له، ويل له"-17- ، وليكن معلومًا أن الكذبَ ليس من هدي نبينا صلى الله عليه وسلم، ولم يرخص للأمة في الكذب إلا في ثلاثة مواطن فقط، وهو مِن رحمة الله بعباده، وحتى لا تتعطل مصالحهم ويضروا أنفسَهم أباح الكذب في ثلاثة مواطن، وهي:
- 1كذِبُ الرجل في الحرب.
- 2كذِبُ الرجل على زوجته لإصلاح شأنها.

- 3الكذِبُ في الإصلاح بين المتخاصمين، ودليلُه ما رواه مسلم عن أم كلثوم بنت عقبة - رضي الله عنها - قال صلى الله عليه وسلم: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيرًا وينمي خيرًا"، قال ابن شهابٍ: ولم أسمع يرخص في شيءٍ مما يقول الناس كذب إلا في ثلاثٍ: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجَها.-18-

•قال النووي - رحمه الله - في شرحه للحديث: (اختلفوا في المراد بالكذب المباح في هذه المواضع الثلاثة، فقال قوم: هو على إطلاقه، وأنه يباح الإخبار بما لم يكن أنه كان، وقال آخرون - منهم الطبري -: لا يجوز الكذبُ على معناه الحقيقي في شيء من ذلك أصلًا، وما جاء من الإباحة في هذا المرادُ به التورية، واستعمال المعاريض، لا صريح الكذب، مثل أن يَعِدَ زوجته أن يحسن إليها، ويكسوها كذا، وينوي إن قدر الله،يعني يأتي بكلمات محتملة،يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه، وإذا سعى في إصلاح ذات البين نقل عن كل فريق للآخر كلامًا جميلًا، وكذا في الحرب؛ كقوله: مات قائد العدو، وينوي قائدهم إلى الهزيمة، أو إلى النار، وأما الكذب على الزوجة وكذبها على زوجها، فالمراد به إظهار الود، والوعد بما لا يلزم، ونحو ذلك، فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها فهو حرام بالإجماع؛اهـ.-19-

وبمناسبة الكلام عن التعريض والتورية قد تسأل: هل يجوزُ ذلك؟ وكيف؟ والإجابة من كتاب "الأذكار" للنووي - رحمه الله تعالى - قال ما ملخصه:
"اعلَمْ أن هذا الباب من أهم الأبواب؛ فإنه مما يكثُرُ استعماله، وتعم به البلوى، فينبغي أن نعتني بتحقيقه، ثم قال: اعلم أن التورية والتعريضَ معناهما: أن تطلق لفظًا هو ظاهر في معنى وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ، لكنه خلاف ظاهره، وهذا ضربٌ مِن التغريروالخداع،قال العلماء: فإن دعت إلى ذلك مصلحة شرعية راجحة على خدع المخاطب أو حاجة لا مندوحة عنها إلا بالكذب فلا بأس بالتعريض، وإن لم يكن شيء من ذلك فهو مكروه، وليس بحرام، إلا أن يتوصل به إلى أخذ باطل أو دفع حق، فيصير حينئذ حرامًا،وذكر بعض الآثار في ذلك، منها: قال النَّخَعي: لا تقل لابنك: أشتري لك سُكَّرًا، بل

قل: أرأيت لو اشتريت لك سُكّرًا- وكان إذا طلبه رجل قال للجارية: قولي له: اطلبه في المسجد، وقال غيره: خرج أبي في وقت غير هذا- وكان الشّعبي يخط دائرة ويقول للجارية: ضعي أصبعك فيها، وقولي: ليس هو ها هنا، ومثل ذلك قول الناس في العادة لمن دعاه لطعام: أنا على نية، موهمًا أنه صائم، ومقصوده: على نية ترك الأكل(؛ -20-اهـ.

وغير ذلك من أنواع التعريض المباح بالتوضيح الذي ذكره الإمام النووي رحمه الله تعالى، فحذارِ من الكذب بما لم يُبِحْهُ الشرع.

وبعد ما ذكرناه هنا بالشرح والبيان لمحرمات انتشرت بين الناس تخالف هدي نبينا صلى الله عليه وسلم، جديرٌ بنا أن نقلع عنها؛ فهي من الحرام البيّنِ الذي يسقم القلب، ويَشين إخلاصنا وعبوديتنا لله - جل وعلا.

وأسأل الله تعالى أن يعلِّمَنا هديه، ويرزقنا مجاورته، ويحشرنا تحت لوائه؛ إنه وليٌّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الآمين، وآله وصحبه أجمعين!

-1-أخرجه مسلم - باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩)
-2-أخرجه مالك في الأقضية (١٤٦١) - وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥١٧).
-3-أخرجه الترمذي في صفة القيامة والرقائق (٢٤١٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: صحيح.
-4-أخرجه البخاري في تفسير القرآن (٤٨٩١).
-5-انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠/١٣)- الناشر :دار إحياء التراث العربي -بيروت الطبعة: الثانية،١٣٩٢.
-6-انظر: صحيح الجامع للألباني (٥٠٤٥).
-7-أخرجه مسلم - باب خصال الفطرة (٢٦٠).
-8-أخرجه مسلم - باب خصال الفطرة (٢٦١).
-9-أخرجه البخاري - باب صيام يوم عاشوراء (٢٠٠٤).
-10-أخرجه مسلم من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - باب أي يومٍ يصام في عاشوراء (١١٣٤).

-11-أخرجه مسلم - باب خصال الفطرة (٢٥٩.)
-12-انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢٠٤/١) - المحقق: ناصر عبدالكريم العقل - الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان - الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
-13-أخرجه البخاري - باب: كيف يقبض العلم؟ (١٠٠.)
-14-أخرجه الترمذي في البِر والصلة (٢٠١٨)، وإسناده حسن، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٧٩١)
-15-أخرجه البخاري - باب قول الله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) -التوبة: ١١٩-، وما ينهى عن الكذب (٦٠٩٤).
-16-أخرجه الترمذي في البر والصلة (١٩٩٠)، وقال: حسن صحيح، وانظر: السلسلة الصحيحة (١٧٢٦).
-17-أخرجه الترمذي (٢٣١٥) - وحسنه الألباني في غاية المرام (٣٧٦).
-18-أخرجه مسلم - باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه (٢٦٠٥)
-19-انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦-١٥٨) -الناشر :دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.
-20-انظر: الأذكار للنووي - ٣٣٤ باب التعريض والتورية (ص/٥٨٤) - نشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م - تحقيق محيي الدين مستو.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/sharia/0/111840/#ixzz5h0wE6TEW

١٤

عيد الأضحى المبارك
تنبيهات وأحكام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فالعيد والاحتفال به سُنة عن نبينا صلى الله عليه وسلم، وسُمِّي العيد بهذا الاسم - كما يقول العلامة ابن عابدين رحمه الله - : "لأن لله تعالى فيه عوائدَ الإحسان؛ أي: أنواع الإحسان العائدة على عباده في كل يوم؛ منها: الفطر بعد المنع عن الطعام، وصدقة الفطر، وإتمام الحج بطواف الزيارة، ولحوم الأضاحي، وغير ذلك، ولأن العادة فيه الفرح والسرور والنشاط.-1-"

وهو ثابتٌ في السنة؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: قدِم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ولأهل المدينة يومانِ يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال: "قدمتُ عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما في الجاهلية، وقد أبدلكم الله خيرًا منهما؛ يوم النحر، ويوم الفطر".-2-

من أحكام وآداب عيد الأضحى، ما يلي:

-1حرمة صيامه: فيحرم صوم العيد؛ سواء الأضحى أو الفطر؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يومين: يوم الفطر ويوم الأضحى.-3-"

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: "وقد أجمع العلماء على تحريم صوم هذين اليومين بكل حال؛ سواء صامهما عن نذر أو تطوع، أو كفارة أو غير ذلك، ولو نذر صومهما متعمدًا لعينهما، قال الشافعي والجمهور: لا ينعقد نذره، ولا يلزمه قضاؤهما، وقال أبو حنيفة: ينعقد ويلزمه قضاؤهما، قال: فإن صامهما أجزأه، وخالف الناس كلَّهم في هذا"؛ اهـ-4-.

هذا وقد أجمع علماءُ الإسلام على تحريم صيامهما، وعلى من فعل ذلك التوبة إلى الله سبحانه، وعدم العودة إلى ذلك.

-2التكبير في العيد:

يُشرَع التكبير في عيد الأضحى من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، وهو الثالث عشر من شهر ذي الحجة، ودليل التكبير قوله تعالى :(وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) -البقرة: ٢٠٣-، وصفته أن تقول: (الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد(-5-).

والحديثُ أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه، وإسناده صحيح، وقال الألباني في منار السبيل: وذكره في مكان آخر بالسند نفسه بتثليث التكبير.-6-"

وينتبه لهذه المخالفة والبدعة:

- 1التكبير الجماعي في المساجد بصوتٍ واحد خلف مَن يردده أمرٌ مبتدع؛ يقول العلامة ابن باز رحمه الله في الفتاوي: "إن الأصل في التكبير في ليلة العيد، وقبل صلاة العيد في الفطر من رمضان، وفي عشر ذي الحجة، وأيام التشريق - أنه مشروعٌ في هذه الأوقات العظيمة، وفيه فضل كثير؛ لقوله تعالى في التكبير في عيد الفطر :(وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) -البقرة: ١٨٥-، وقوله تعالى في عشر ذي الحجة وأيام التشريق :(لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) -الحج: ٢٨-، وقوله عز وجل :(وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) -البقرة: ٢٠٣-، ومن جملة الذكر المشروع في هذه الأيام المعلومات والمعدودات التكبيرُ المطلق والمقيد؛ كما دلت على ذلك السنة المطهرة وعمل السلف، وصفةُ التكبير المشروع أن كل مسلم يُكبِّر لنفسه منفردًا، ويرفع صوته به حتى يسمعَه الناس، فيقتدوا به ويُذكرهم به، أما التكبير الجماعي المبتدَع، فهو أن يرفع جماعةٌ - اثنان فأكثر - الصوتَ بالتكبير جميعًا يبدؤونه جميعًا ويُنهُونه جميعًا بصوت واحد وبصفة خاصة، وهذا العمل لا أصل له ولا دليل عليه، فهو بدعة في صفة التكبير ما أنزل الله بها من سلطان، فمَن أنكر التكبير بهذه

الصفة فهو محق؛ وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "مَن عمِل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ"-7-؛ أي: مردود غير مشروع"؛ اهـ-8-

-3ذبح الأضحية:

ويكون ذلك بعد صلاة العيد وليس قبلها؛ لحديث جُندب بن سفيان، قال: شهِدتُ الأضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قضى صلاته بالناس، نظر إلى غنم قد ذبحت، فقال: "مَن ذبح قبل الصلاة فليذبح شاةً مكانها، ومَن لم يكن ذبح، فليَذبح على اسم الله".-9-

ووقت الذبح أربعة أيام: يوم النحر وثلاثة أيام التشريق؛ لِما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل أيام التشريق ذبح".-10-

وينتبه لهذه الأخطاء والبدع:

-1الذبح قبل الصلاة لا يصح ولا تكون أضحية، بل صدقة؛ قال ابن باز رحمه الله عمَّن سأل عن الذبح قبل الصلاة؟ فقال: لا تجزئ إلا بعد الصلاة، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: "مَن ذبح قبل أن يُصلِّي، فهي شاة لحم"، لا تجزئ لا بد أن تكون بعد الصلاة؛ اهـ-11-

والراجح من أقوال أهل العلم أن وقت ذبح الأضحية يبدأ بعد الانتهاء من صلاة العيد مباشرة، فيجوز الذبح قبل بَدْء الخطبة، ويجوز في أثنائها، لكن الأفضل انتظار الخطبتينِ من باب الاحتياط، ويكفي الفراغ من واحدة من الصلوات إذا تعددت في المكان أو المنطقة التي يقيم فيها المضحِّي.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في" أحكام الأضحية "عن وقت ذبح الأضحية ما مختصره: "مِن بعد صلاة العيد يوم النحر إلى غروب الشمس من آخر يوم من أيام التشريق، وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، فتكون أيام الذبح أربعةً: يوم العيد بعد الصلاة، وثلاثة أيام بعده، فمَن ذبح قبل فراغ صلاة العيد، أو بعدَ غروب الشمس يوم الثالث عشر، لم تصحَّ أضحيته ... لكن لو حصل له عذر بالتأخير عن أيام التشريق، مثل أن تهرب الأضحية بغير تفريط منه، فلم يجدها إلا بعد فوات الوقت، أو يوكل مَن يذبحها فيَنسى الوكيل حتى يخرج الوقت، فلا بأس أن تذبح

بعد خروج الوقت للعذر، وقياسًا على مَن نام عن صلاة أو نسيها، فإنه يصليها إذا استيقظ أو ذكرها، ويجوز ذبح الأضحية في الوقت ليلًا ونهارًا، والذبح في النهار أَوْلى، ويوم العيد بعد الخطبتين أفضل، وكل يوم أفضل مما يليه؛ لِما فيه من المبادرة إلى فعل الخير"؛ اهـ.

-2أن ينويَ المضحي أن تكون أضحيته خالصة لله تعالى، فلا يبيع شيئًا منها، ولو جلدها، ولا يعطي الجزار أجرته من الأضحية، بل يعطيه منها بعد أن يُعطيه أجرته كاملةً إن شاء، وهذا هو الراجح، والمسألة مختلف فيها بين أهل العلم؛ أعني حكم بيع الجلد والتصدق بثمنه؛ قال ابن قدامة في المغني ما مختصره - عند قول الخرقي -: "وله أن ينتفعَ بجلدها، ولا يجوز أن يبيعه ولا شيئًا منها"، قال: "وجملة ذلك أنه لا يجوز بيع شيء من الأضحية لا لحمها ولا جلدها - واجبةً كانت أو تطوعًا - لأنها تعيَّنت بالذبح، قال أحمد: لا يبيعها ولا يبيع شيئًا منها، وقال: سبحان الله! كيف يبيعها وقد جعلها لله تبارك وتعالى؟! وقال الميموني: قالوا لأبي عبدالله: فجلد الأضحية يُعطاه السَّلاخُ؟ قال: لا، وحكى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ولا يُعطي في جِزارتها شيئًا-12-"...، ثم قال: إسناده جيد، وبهذا قال أبو هريرة، وهو مذهب الشافعي، ورخَّص الحسن والنخعي في الجلد أن يبيعه، ويشتري به الغربال والمنخل وآلة البيت، وروي نحو هذا عن الأوزاعي؛ لأنه ينتفع به هو وغيره، فجرى مجرى تفريق اللحم، وقال أبو حنيفة: يبيع ما شاء منها ويتصدق بثمنه، وروي عن ابن عمر أنه يبيع الجلد ويتصدق بثمنه، وحكاه ابن المنذر عن أحمد وإسحاق.-13-"
ومن المخالفات ما يشوب نيته؛ كقوله: لولا الأولاد ما اشتريتُها، وينبغي إخلاص النية.

-3ومن المخالفات تمرير اليد على ظهر الأضحية مرارًا وتكرارًا من المؤخرة إلى الرأس، والقول: هذا عني، هذا عن أبي، هذا عن أمي، وهكذا!
قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "وأما ما يفعله بعض العامة عندنا يسميها في ليلة العيد - أي الأضحية - ويمسح ظهرَها من ناصيتها إلى ذَنَبِها، وربما يكرر ذلك: هذا عني، هذا عن أهل بيتي، هذا عن أمي، وما

أشبه ذلك، فهذا من البدع؛ لأن ذلك لم يَرِد عن النبي صلى الله عليه وسلم.-14-"

فالسنة في الذبح أن يتلفَّظ بالنية حسب الحال؛ يقول العلامة ابن باز رحمه الله: "تقول عند ذبح الذبيحة: بسم الله والله أكبر، ثم تذبحها، بسم الله والله أكبر، هكذا كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم، تضع رِجلك على صفحة العُنق، وتُمسك رأسها وتذبحها بيدِك اليمنى الأخرى، هذا هو السنة، وإن كانت ضحية، قلت: عن فلان، أو عني وأهل بيتي، وإن كانت عقيقةً تقول: عن ولدي فلان، أو عن بنتي فلانة، وإن كانت هديَّة - يعني عن حج وعمرة - قلت: بسم الله والله أكبر، وناويًا المتعة تنوي هَدْي التمتع والقران حسب ما في قلبك، وإن كانت عن نذر نويتَ النذر الذي نذرته"؛ اهـ.-15-

-4اعتقاد المضحي بأنه كالمُحرِم في الحج، فيمتنع المضحي من الصيد والنساء والطِّيب، وغير ذلك، فضلًا عن عدم قص الشعر والأظافر كما جاء في السنة، وهذا الاعتقاد لا يصح، وليس له إلا ما أمره النبيُّ صلى الله عليه وسلم من قص الشعر وتقليم الأظافر، والمضحي هو فقط مَن يلتزم بذلك، ويأثم بمخالفة السنة دون أهل بيته من الرجال والنساء.

-5من المخلفات الشرعية الوضوءُ لذبح الأضحية، ولا أدري من أين جاء بها الناس، هل يظنون أنها سنة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم؟
ما هو ورب الكعبة إلا استحسان بالهوى الذي يصد عن الحق.
قالت اللجنة الدائمة" :لم يُنقَل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ بعد صلاة عيد الأضحى من أجل أن يذبح أضحيته، ولم يُعرَف ذلك أيضًا عن السلف الصالح والقرون الثلاثة التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية، فمن توضأ من أجل ذبح أضحيته فهو جاهل مبتدع؛ لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد"-16-، ولكنه إذا ارتكب ذلك بأن توضأ لذبح أضحيته، فذبيحته مُجزئة له ما دام مسلمًا لا يعرف عنه ما يوجب تكفيره، ويجوز الأكل منها له ولغيره.-17-"

وهناك مخلفات وبدع أخرى يعرفها القاصي والداني في مسألة الذبح، وكل بيئة حسب تقاليدها وعاداتها، والكثير منها مخالف للسنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونكتفي بما ذكرنا منعًا للإطالة.

- 4الاغتسال والتطيب للرجال وخروج النساء والصبيان للعيد:
الاغتسال مستحب للعيد، فقد صح في الموطأ وغيره عن نافع أن عبدالله بن عمر رضي الله عنه "كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى.-18-"

•وعن زاذان قال: سأل رجل عليًّا رضي الله عنه عن الغسل، فقال: "اغتسل كل يوم إن شئت، فقال: الغسل الذي هو الغسل، قال: يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم الفطر.-19-"
وقال ابن رشد: أجمع العلماء على استحسان الغسل لصلاة العيدين، وأنهما بلا أذان ولا إقامة؛ اهـ.-20-

قلتُ: والاغتسال عمومًا مستحبٌّ في العيد، وليس فيه حديث صحيح، وإنما هو مِن عمل الصحابة، ويستحب كذلك لُبس أحسن الثياب والتطيُّب للرجال، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس يوم العيد بردةً حمراءَ.-21-"

ومِن السنة خروج النساء وإن كن حوائضَ - وكذلك الصبيان - إلى المصلي في يومي العيدين، ففي الصحيحين وغيرهما عن أم عطية، قالت: "أَمَرنا - تعني النبي صلى الله عليه وسلم - أن نُخرِج في العيدين: العواتق، وذوات الخدور، وأمر الحُيَّض أن يعتزلنَ مصلى المسلمين"-22-.

وينتبه لهذه الأخطاء والمخالفات:
-1لبس النساء الملابس المحرَّمة في العيد؛ سواء كانت كاشفة أو ضيقة، مع التزين وعدم التزامهن بالحجاب الشرعي، والطامة الكبرى تعطُّرهن بالروائح، وهو مما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد ثبت أنه قال: "أيما امرأة استعطرت فمرَّت على قوم ليجدوا مِن ريحها، فهي زانية.-23-)

قال أهل العلم: وأما الصلاة مع التعطر، فإن كانت في بيتها فلا حرج عليها في ذلك، وأما إن كانت خارج بيتها، فلا يجوز لها أن تضع طِيبًا؛ سواء أكانت ذاهبة إلى المسجد أو غيره، بل ورد نهيٌ خاصٌّ عن استعمال المرأة للطِّيب إذا أراد المسجد.

ودليل ذلك حديث زينب امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا شهدت إحداكن المسجد، فلا تَمسَّ طيبًا".-24-

وأما الرجال فلا يُمنعون من ذلك، بل يُستحب للرجل أن يستعمل الطيب في كل أحواله، ويتأكد استحبابه يوم الجمعة والعيد.

-2نرى اختلاط الرجال بالنساء؛ يصلي الرجل بجانب المرأة بسبب الزحام وعدم التنظيم والإشراف في الفصل بين مصلى الرجال والنساء، وسبحان الله النساء والرجال متجاورون (كتفًا إلى كتف)! نرى هذا وتنقله أجهزة التلفاز والصحف والمجلات في بعض المساجد، وهذا منكر يجب منعه، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها".-25-

ولا يَخفى ما في هذا من فتنة، ومع ذلك فالصلاة صحيحة مع الكراهة، ومِن ثَم لا نقول ببطلانها بسبب الزحام، وفي فتوى للعلامة ابن باز رحمه الله عن حكم صلاة المرأة بجانب الرجل؟ فقال ما مختصره: الصلاة صحيحة والحمد لله، وهذا يقع كثيرًا في المسجد الحرام، والمسجد النبوي، عند زحمة الناس وقت الحج، يختلط الرجال بالنساء، فالصلاة صحيحة، ولكن يجب على النساء أن يتأخَّرن عن الرجال، وليس لهن أن يتقدَّمن بين الرجال، أو أمام الرجال، لكن إذا وقع ذلك بسبب الزحام فالصلاة صحيحة، ولا يضر ذلك، والحمد لله، أما في حالة الاختيار فإنها تُؤخَّر، يقال لها: تأخري خلف الرجال، وتُؤمَر بذلك"؛ اهـ.-26-

ولا يخفى أن العيد ليس كالحرم المكي والنبوي، والصلاة فيهما ليس كغيرهما من المساجد، وبالتالي فمُصلَّيات العيد كثيرةٌ ومتنوعة،

وليختَرِ المسلم والمسلمة الأماكنَ التي يهتم فيها أهل الفضل بالفصل بين الرجال والنساء؛ تطبيقًا للسنة ودرءًا للفتنة، والله أعلم وأحكم.

- 5مخالفة الطريق والذهاب إلى مصلى العيد ماشيًا إن تيسر:

الذَّهاب لمصلَّى العيد من السُّنة، فإن كان قريبًا فلك أن تذهب ماشيًا لتخالف الطريق، وإن كان بعيدًا فلا بأس بالركوب للمشقة، ولو فرض الذَّهاب بسيارتك الخاصة، فافعل ذلك أيضًا، وخالف الطريق لتطبيق السنة، فعن جابر رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق.-27-"

- 6صلاة العيد ومكانها:

صلاة العيدين واجبةٌ على القول الراجح على الرجال والنساء، لمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها، وأمره بالخروج لها، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والإمام الشوكاني، والألباني، وابن العثيمين، وغيرهم، رحمهم الله جميعًا.

والأدلة في ذلك واضحة، وقال العلامة الفقيه صديق حسن خان رحمه الله في روضته الندية: "قد اختلف أهل العلم: هل صلاة العيد واجبة أم لا؟ والحق الوجوب؛ لأنه صلى الله عليه وسلم مع ملازمته لها قد أمرنا بالخروج إليها.-28-"...

وصلاة العيد الأفضل أن تكون في المصلى المخصص لذلك، وهو السُّنة، وتجوز في المساجد لعذرٍ؛ كمطر أو خوف، أو ضرورة كمرضٍ أو كبر سنٍّ، وغير ذلك، والصلاة صحيحة.

وقال ابن قدامة في المغني: "السُّنة أن يصلَّى العيد في المصلى، أمر بذلك عليٌّ رضي الله عنه، واستحسنه الأوزاعي وأصحاب الرأي، وهو قول ابن المنذر."

ثم قال رحمه الله: "ولنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى المصلى ويدع مسجده، وكذلك الخلفاء بعده، ولا يترك النبي صلى الله عليه وسلم الأفضلَ مع قربه، ويتكلف فعل الناقص مع بُعْده، ولا يشرع

لأمته ترك الفضائل، ولأننا قد أمرنا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به، ولا يجوز أن يكون المأمور به هو الناقص والمنهيُّ عنه هو الكامل، ولم يُنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى العيد بمسجده إلا مِن عذر؛ ولأن هذا إجماع المسلمين، فإن الناس في كل عصر ومصر يخرجون إلى المصلى، فيصلون العيد في المصلى مع سَعة المسجد وضيقه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في المصلى مع شرف مسجده، وصلاة النفل في البيت أفضل منها في المسجد مع شرفه؛ اهـ.-29-
ولكن إن كانت صلاة العيد في مكة، فالمسجد الحرام أفضل بلا خلاف بين أهل العلم.

وينتبه لبعض الأخطاء والأحكام؛ منها:
-1مَن فاتته صلاة العيد جماعةً في المصلى أو المسجد، صلاها جماعة أو منفردًا في بيته لوجوبها، فإن فات وقتها صلاها في وقتها من الغد قضاءً.
قال العلامة صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله: "ويبدأ وقتُ صلاة العيد إذا ارتفعت الشمس بعد طلوعها قدر رمح؛ لأنه الوقت الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها فيه، ويمتد وقتها إلى زوال الشمس، فإن لم يُعلَم بالعيد إلا بعد الزوال، صلُّوا من الغد قضاءً؛ لِما روى أبو عمير بن أنس عن عمومةٍ له من الأنصار، قالوا: غم علينا هلال شوال، فأصبحنا صيامًا، فجاء ركب في آخر النهار فشهدوا أنهم رأوا الهلال بالأمس، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس أن يُفطِروا في يومهم، وأن يخرجوا غدًا لعيدهم"؛ رواه أحمد وأبو داود والدارقطني، وحسَّنه وصحَّحه جماعة من الحفاظ..."؛ اهـ.-30-

-2لو اجتمعت صلاة العيد والجمعة في يوم واحد، كما هو حاصل في هذا العيد هذا العام ١٤٣٨هـ، يجوز لمن حضر صلاة العيد تركُ الجمعة، وله أن يصليها ظهرًا، وهذا هو الرأي الراجح، وهناك أقوال أخرى ترى وجوب الجمعة، ونذكر هنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي وبيانه لهذه المسألة.

•سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجلينِ تنازعا في العيد إذا وافق الجمعة؛ فقال أحدهما: يجب أن يصلي العيد ولا يصلي الجمعة، وقال الآخر: يصليها؛ فما الصواب في ذلك؟
فأجاب: الحمد لله إذا اجتمع الجمعة والعيد في يوم واحد، فللعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:
أحدها :أنه تجب الجمعة على مَن شهِد العيد، كما تجب سائر الجُمُع؛ للعمومات الدالة على وجوب الجمعة.
والثاني :تسقط عن أهل البَرِّ مثل أهل العوالي والشواذ؛ لأن عثمان بن عفان أرخص لهم في ترك الجمعة لَمَّا صلى بهم العيد.
والقول الثالث -وهو الصحيح - أن مَن شهِد العيد سقطت عنه الجمعة، لكن على الإمام أن يقيم الجمعة ليشهدها مَن شاء شهودها ومَن لم يشهد العيد، وهذا هو المأثور عن النبي وأصحابه؛ كعمر، وعثمان، وابن مسعود، وابن عباس، وابن الزبير، وغيرهم، ولا يُعرَف عن الصحابة في ذلك خلافٌ، وأصحاب القولين المتقدمينِ لم يبلغهم ما في ذلك من السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا اجتمع في يومه عيدان صلى العيد ثم رخص في الجمعة، وفي لفظ أنه قال: "أيها الناس إنكم قد أصبتم خيرًا، فمَن شاء أن يشهد الجمعة فليشهد؛ فإنا مجمعون"-31-، وأيضًا فإنه إذا شهِد العيد حصل مقصود الاجتماع، ثم إنه يصلي الظهر إذا لم يشهد الجمعة، فتكون الظهر في وقتها، والعيد يحصل مقصود الجمعة، وفي إيجابها على الناس تضييقٌ عليهم وتكدير لمقصود عيدهم، وما سُنَّ لهم من السرور فيه والانبساط، فإذا حبسوا عن ذلك عاد العيد على مقصوده بالإبطال؛ ولأن يوم الجمعة عيد ويوم الفطر والنحر عيد، ومِن شأن الشارع إذا اجتمع عبادتان من جنس واحد أدخل إحداهما في الأخرى كما يدخل الوضوء في الغسل، وأحد الغسلين في الآخر، والله أعلم.-32-"

قلت :والواجب على إمام الجمعة وخطيبها أن يُقيم الجمعة ويصلي بمن حضر، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقيمها في يوم العيد يصلي العيد والجمعة عليه الصلاة والسلام.

-3لا يشرع لصلاة العيد أذان ولا إقامة، ولو في المسجد؛ لِما روي عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: "صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العيد - غير مرة ولا مرتين - بغير أذان ولا إقامة.-33-"

وكان صلى الله عليه وسلم إذا انتهى إلى المصلَّى أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة، ولا قول: الصلاة جامعة، والسُّنة ألا يُفعَل شيء من ذلك؛ كما قال أهل العلم.

- 4ومِن الأخطاء أن البعض قد يُصلِّي ركعتين قبل الجلوس في المصلي، فينكر عليه لمخالفته للسنة، ويجوز فقط إن كانت الصلاة داخل المسجد، فيصلي تحية المسجد؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين"-34-، أما في مصلَّى العيد، فهو خلاف للسنة كما يقولون.

•فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم العيد فصلَّى ركعتين لم يصلِّ قبلهما ولا بعدهما.-35-"

وقال الحافظ: "والحاصل أن صلاة العيد لم يثبت لها سُنة قبلها ولا بعدها، خلافًا لِمن قاسها على الجمعة.-36-"
ولكن هذه مسألة مختلف فيها، بل إن بعض العلماء يرون جواز صلاة ركعتين؛ كابن عثيمين، قال: يصلي تحية المسجد، ثم يجلس حتى يحضر الإمام؛ لعموم قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين"، ومصلى العيد مسجد، والدليل على أنه مسجد أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر النساء أن يخرجن لصلاة العيد وأمر الحيض أن يعتزلن المصلى - أي مصلى العيد - ولولا أنه مسجد ما منعهن من أن يدخلن فيه، ولَما أمرهن من أن يَعتزلنه، فإن قال قائل: أليس النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلى العيد ولم يصلِّ قبلها ولا بعدها، فالجواب: بلى، لكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما دخل مصلى العيد شرع في الصلاة، فأجزأت صلاة العيد عن تحية المسجد"؛ اهـ.-37-

- 7كيفية صلاة العيد:

صلاة العيد ركعتانِ، بركوع وسجود، يكبر في الأولى سبع تكبيرات مع تكبيرة الإحرام، وفي الثانية خمس تكبيرات سوى تكبيرة الانتقال.

وينتبه لبعض الأحكام:

1-يجوز رفع اليدين عند جمهرة من أهل العلم، ولم يصحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء، ولم يثبت ذلك إلا عن طريق ابن عمر رضي الله عنه، مع المشهور عنه بحسن اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم، حتى قال ابن القيم رحمه الله: "وكان ابن عمر مع تحرّيه للاتباع يرفع يديه مع كل تكبيرة.-38-"

وممن يرى رفع اليدين كابن القيم لعمل الصحابة:

• مالك بن أنس أنه قال: "ارفع يديك في كل تكبيرة-39-"، وابن قدامة: "وجملته أنه يستحب أن يرفع يديه-40-"، والإمام النووي.-41-

وقال الإمام البغوي رحمه الله في كتابه (شرح السنة(:-42-ورفع اليدين في تكبيرات العيد سُنة عند أكثر أهل العلم؛ اهـ.

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه (رفع اليدين في الصلاة(ص٢٩٥: "وقد ثبت عن الصحابة رفع اليدين في تكبيرات العيدين"؛ اهـ.

• ومن المعاصرين الشيخ ابن باز قال عن حديث ابن عمر: "ويكفي ذلك دليلًا على شرعية رفع اليدين-43-"، وغيرهم.

وممن يرى عدم الرفع من المعاصرين العلامةُ الألباني، وقد رد رحمه الله على الشيخ ابن باز في تصحيحه لرواية ابن عمر في كتابه القيم أحكام الجنائز ص ١٤٨.

وقال رحمه الله: "وأما تصحيح بعض العلماء الأفاضل لرواية الرفع، فهو خطأ ظاهر، كما لا يخفى على العارف بهذا الفن"؛ اهـ.

وأضاف الألباني رحمه الله: "وكونه روي عن عمر وابنه - يعني رفع اليدين مع التكبيرات - لا يجعله سُنة، ولا سيما أن رواية عمر وابنه ها هنا لا تصح"؛ اهـ.-44-

قلت: ومِن ثَم نرى الأمر هنا واسعًا، فمَن رفع فقد أحسن، ومَن لم يرفع فلا يُنكَر عليه.

وأما الجهر بالتكبيرات الزوائد ورفع الصوت في صلاة العيد، فهو مستحب للإمام دون المأموم؛ لأن الأصل في أقوال المأموم مِن تلاوة وذكر وتكبير وغير ذلك في الصلاة عمومًا - الإسرارُ، والجهر لا يكون إلا للإمام والمنفرد؛ بدليل قولِ النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبَّر فكبِّروا"؛ متفق عليه، وهذا هو الأفضل، وقد بيَّنت اللجنة الدائمة هذا الأمرَ في ردها على سؤال :هل رفع صوت المأمومين بتكبيرات الإحرام خلف الإمام يجوز ذلك أم لا؟
فأجابت :يُشرع للإمام رفع صوته في جميع التكبيرات حتى يُسمِع مَن خلفه، وأما المأموم فالمشروع في حقه عدم رفع صوته في التكبيرة الأولى وغيرها، وإنما يُكبِّر بحيث يُسمِع نفسه فقط، بل رفع الصوت بالتكبير من المأمومين من الإحداث في الدين، والمنهي عنه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ"؛ اهـ.-45-

- 2لم يصحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرٌ معين بين تكبيرات العيد.
وقال ابن العثيمين رحمه الله: لا أعلم سُنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك، لكن الفقهاء قالوا: يَحمَد الله ويثني عليه، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ على محمد؛ لأنك إذا قلت: الحمد لله رب العالمين، والرحمن الرحيم، أثنيت على الله وحمدته، وإذا صليت على نبيه صلى الله عليه وسلم قلت: اللهم صلِّ على محمد، لكن لا أعلم في هذا سُنة، ومن العلماء مَن قال: لا ذكر بينها، والأمر في ذلك واسع، والحمد لله؛ اهـ.-46-

وكان ربما قرأ فيهما :(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) -الأعلى: ١-، و(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) -الغاشية: ١-، وربما قرأ (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) -ق: ١- في إحدى الركعتين، ومن الأخرى (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) - القمر: ١-، وقد صح عنه هذا وهذا، والله أعلم وأحكم.

-3مَن فاتته تكبيرات فليُكبِّر تكبيرة الإحرام وليتمَّ ما فاته، ومَن غفل وترك التكبير نسيانًا أو عمدًا، فلا تَبْطل الصلاة.
وقالت اللجنة الدائمة في فتوى لها :مَن فاتته التكبيرات الزوائد في صلاة العيد، فإنه يدخل مع الإمام في الركعة، ولا يأتي بما فاته من التكبيرات الزوائد؛ لأنها سُنة فات محلُّها، وإن فاتته ركعة كاملة، فإنه يقضيها بتكبيراتها الزوائد على صفتها؛ اهـ.-47-

التهنئة بالعيد:
ليس في التهنئة بالعيد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو ثابت عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كأن يهنئ بعضهم بعضًا بالعيد بقولهم: (تقبل الله منا ومنكم).

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتاوى الكبرى": هل التهنئة في العيد وما يجري على ألسنة الناس: عيدك مبارك، وما أشبهه، هل له أصل في الشريعة أم لا؟ وإذا كان له أصل في الشريعة، فما الذي يقال؟
فأجاب " :أما التهنئة يوم العيد، يقول بعضهم لبعض إذا لقيه بعد صلاة العيد: تقبل الله منا ومنكم، وأحاله الله عليك، ونحو ذلك - فهذا قد روي عن طائفة من الصحابة أنهم كانوا يفعلونه، ورخَّص فيه الأئمة كأحمد وغيره، لكن قال أحمد: أنا لا أبتدئ أحدًا، فإن ابتدأني أحد أجبتُه؛ وذلك لأن جواب التحية واجب، وأما الابتداء بالتهنئة فليس سُنة مأمورًا بها، ولا هو أيضًا مما نُهِي عنه، فمَن فعَله فله قدوة، ومن تركه فله قدوة، والله أعلم"؛ اهـ.-48-

وسئل الشيخ ابن عثيمين :ما حكم التهنئة بالعيد؟ وهل لها صيغة معينة؟
فأجاب ما مختصره" :التهنئة بالعيد جائزة، وليس لها تهنئةٌ مخصوصة، بل ما اعتاده الناس فهو جائز ما لم يكن إثمًا"؛ اهـ.-49-

وختامًا:
أرجو مِن الله العلي القدير أن أكون قد طرحتُ وبيَّنت - في هذا البحث - كثيرًا من النقاط في أحكام عيد الأضحى المبارك جعَلَتِ الناس في حَيرة!

ووصيتي لنفسي ولكل مسلم في هذه الأيام الطيبة من ذي الحجة:
لا تنسَ أعمال البر؛ كصلة الرحم، وزيارة الأحبة، وإصلاح القلب من الآفات كالحسد الحقد، وعليك بالمسامحة والتواضع، وإصلاح ذات البَيْن، والعطف على المساكين والفقراء.
وأسأل الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم عملَ هذه الأيام خالصًا لوجهه الكريم
إنه ولي ذلك والقادر عليه
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

- -1-انظر: حاشية ابن عابدين ٢/١٦٥.
- -2-انظر: السلسلة الصحيحة (٣٠٢١) للألباني.
- -3-أخرجه مسلم برقم / (١١٣٨) - باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى.
- -4-انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٨/١٥).
- -5-أخرجه ابن أبي شيبة (٢ / ٢ / ٢).
- -6-انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني (٣ / ١٢٥).
- -7-أخرجه مسلم في (الأقضية)، باب نقض الأحكام الباطلة برقم (١٧١٨).
- -8-مجموع فتاوى ابن باز " (١٣ / ٣٠ – ٣٣).
- -9-أخرجه مسلم برقم / (١٩٦٠) كتاب الأضاحي، باب وقتها.
- -10-انظر: السلسلة الصحيحة برقم ٢٤٧٦.
- -11-فتوي رقم / ١٠٠ - حكم ذبح الأضحية قبل صلاة العيد.
- -12-أخرجه البخاري برقم / ١٧١٧ - باب: يتصدق بجلود الهدي وتمامه أن عبدالرحمن بن أبي ليلى أخبره أن عليًّا رضي الله عنه أخبره: "أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يقوم على بُدْنِه، وأن يقسم بُدْنَه كلَّها؛ لحومها وجلودها وجلالها، ولا يُعطي في جزارتها شيئًا."
- -13-انظر: المغني لابن قدامة (١٣ / - ١٣٦ دار الحديث).
- -14-الشرح الممتع (٧ / ٤٩٣ – ٤٩٤).
- -15-فتاوي نور على الدرب، الجزء رقم: ٢٤، الصفحة رقم: ١٤٥.

- -16-أخرجه مسلم برقم / (١٧١٨) - باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.
- -17-فتاوى اللجنة الدائمة (١١ / ٤٣٢).
- -18-رواه مالك عن نافع في الموطأ برقم ٦٠٩ -٢ / ٢٤٨-، ورواه الشافعي وعبدالرزاق عن مالك عن نافع؛ مسند الشافعي برقم ٣١٨ - ص ٧٣-.
- -19-رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم ٦٣٤٣ -٣ / ٢٧٨-، وقال الألباني: وسنده صحيح؛ إرواء الغليل (١ / ١٧٧).
- -20-انظر: بداية المجتهد (١ / ٢١٦) لابن رشد.
- -21-قال الهيثمي في المجمع: "رواه الطبراني في الأوسط، وقال الألباني في الصحيحة (١٢٧٩(: إسناده جيد.
- -22-أخرجه مسلم برقم / (٨٩٠) - باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى وشهود الخطبة، مفارقات للرجال.
- -23-رواه الإمام أحمد (١٩٣١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.
- -24-أخرجه مسلم برقم / (٤٤٣) - باب إذا شهدت المرأة العشاء فلا تمس طيبًا.
- -25-أخرجه مسلم برقم / (٤٤٠) - باب خير الصفوف.
- -26-انظر: فتاوي نور علي الدرب لابن باز (٨١٢).
- -27-أخرجه البخاري برقم / ٩٨٦ - باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد
- -28-انظر: الروضة الندية ج١ ص ٢١٤
- -29-المغني لابن قدامة (٢/٢٣٠/٢٢٩).
- -30-انظر: الملخص الفقهي (ج١ ص ١٨٥)
- -31-رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٥٩١)، وانظر: الجامع للألباني برقم / ٤٣٦٥.
- -32-انظر: مجموع الفتاوى (٢٤ / ٢١٠ – ٢١١)
- -33-انظر: (صحيح أبي داود((١٠٤٢) للألباني.
- -34-أخرجه البخاري - باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى (٢ / ٥٧).
- -35-أخرجه مسلم / ٨٨٤ - في صلاة العيدين.
-) - -36-الفتح ٤٧٦ / ٢.)
- -37-فتاوي نور علي الدرب - الصلاة.
- -38-انظر: زاد المعاد (١ / ٤٤٣).

- -39-أحكام العيدين للفريابي (ص١٨٢).
- -40-المغني (٢ / ١١٩).
- -41-انظر: المجموع ٥ / ٢٦.
- -42-انظر: شرح السنة (٤ / ٣١٠).
- -43-انظر: تعليقه على فتح الباري (٣ / ١٩٠).
- -44-انظر: تمام المنة في التعليق على فقه السنة (٣٤٨).
- -45-انظر: الفتوى رقم (١٠٨٩٢).
- -46-مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين - المجلد السادس عشر - كتاب صلاة العيدين.
- -47-انظر: السؤال الثاني من الفتوى رقم (١٦٤٢٨).
" - -48-الفتاوى الكبرى" (٢ / ٢٢٨).
- -49-مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٦ / ٢٠٨ - ٢١٠.

رابط الموضوع: https://www.alukah.net/spotlight/0/120102/#ixzz5h0wOXIHj

١٥

وصيتي إلى ابنتي في ليلة زفافها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد:

هذه وصيتي لكل امرأة مسلمة جاءها النصيب، وفي بداية الطريق لبناء عشّ الزوجية، وقد كتبتها بمناسبة زواج أخت لنا في الله، وكانت وصيتي لها في ليلة زفافها، فهي كابنتي تحتاج إلى التوجيه والإرشاد؛ لما في الزواج والحياة الزوجية السعيدة القائمة على المودة والرحمة والحب والتفاني، مِن آثارٍ إيمانية طيبة على الذرية، وتوجيهها لتراعي الله تعالى وحدوده، وتلتزم سنةَ رسوله صلى الله عليه وسلم، وما في ذلك من صلاح أفراد المجتمع كله، وبه تترقَّى الأمم وتسمو إلى آفاق عالية بقوة إيمانها وارتباطها بخالق السماوات والأرض ورازقهم جل وعلا، ورأيت نشرها لتستفيد بها كل أخت لنا في الله في ليلة زفافها، والله المستعان وعليه التكلان.

أختي الفاضلة، أو دعيني أقول ولي الشرف: ابنتي حفظك الله، أسألك: كم مرة دمعت عيناك لفرحة مسَّت قلبك الصغير، من أجل بُشرى خير لفرد من أفراد أسرتك الصغيرة؟ وكم دمعة من عينيك ذُرِفت لبلاء في الجسد أو النفس أو غير ذلك، لشخص عزيز عليك من أفراد أسرتك؟
وها أنت أخيرًا قد نضجت وأصبحت عروسًا، وسيكون لك بيتك وزوجك، لا يُشاركِكِ فيهما أحدٌ.

• ابنتي الغالية، لقد أصبحت عروسًا.
آن الأوان لتحملي مسؤوليتك زوجةً ثم أُمًّا، وهي مسؤولية وربِّ الكعبة جسيمةٌ تحتاج إلى عزيمة لا تلين وشِحنة إيمان يَملأ قلبك؛ لتُحسني الظن بالله واليقين برحمته وقضائه، وهو أحكم الحاكمين.

• ابنتي الغالية، لقد أصبحت عروسًا.
أعلم صعوبة الأمر ومسؤوليات الزواج وتبعاته على قلبك الصغير، ولكن مهما كانت مرارة الدواء فلا تستمرُّ مرارته دومًا، بل تتحوَّل رويدًا رويدًا حتى يصير للزواج حلاوةٌ ما بعدها حلاوة.

•ابنتي الغالية، لقد أصبحت عروسًا.
هل تعلمين أعظم وصية زواج في تراثنا الذي نفخر به من أمٍّ لابنتها ليلة زفافها، حدث هذا لما خطب عمرو بن حجر الكندي إلى عوف بن محلم الشيباني ابنته أمَّ إياس، وأجابه إلى ذلك، أقبلت عليها أمُّها ليلة دخوله بها تُوصيها، فكان مما أوصتها به أن قالت:

أي بنية، إنك مفارقة بيتك الذي منه خرجتِ، وعشّك الذي منه درجتِ، إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمَةً ليكونَ لك عبدًا، واحفظي له خصالًا عشرًا يكن لك ذخرًا:

فأما الأولى والثانية، فالرضا بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، وأما الثالثة والرابعة، فالتفقُّد لمواقع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب الريح، وأما الخامسة والسادسة، فالتفقُّد لوقت طعامه ومنامه، فإن شدة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة، فالإحراز لماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وأما التاسعة والعاشرة، فلا تُعصي له أمرًا، ولا تُفشي له سرًّا، فإنك إن خالفت أمره، أوغرت صدره، وإن أفشيت سرّه، لم تأمني غدره، وإياك والفرح بين يديه إذا كان مُهتمًّا، والكآبة لديه إذا كان فرحًا؛ فقبلت وصية أمها، فأنجبت وولدت له الحارث بن عمرو جد امرئ القيس الملك الشاعر.

•ابنتي الغالية، لقد أصبحت عروسًا.
لأنني أعتبرك كابنتي، فإليك وصيتي لك ولكل عروس في ليلة زفافها، لعلّها تُنير بصيرتك لإدراك حقيقة مسؤوليتك زوجةً، وبيان ما لك وما عليك؛ لتستقيم حياتك في جنّتك الصغيرة مع من اختاره الله تعالى؛ ليكون شريكًا لك في المسؤولية، والله المستعان.

•ابنتي الغالية، حفظك الله، لقد أصبحت عروسًا.
وكوني على يقين بأن الزواج فطرةٌ طبيعيةٌ، وآيةٌ من آيات الله تعالى؛ كما قال تعالى :(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) -

الروم: ٢١-، وزواجك مع من جمع الله بينك وبينه شريكًا لك في حياتك الزوجية بصرف النظر عما إن كنت تحبينه قبل الزواج، أو ما زلت مترددةً تجاهه لعدم معرفتك به على طبيعته التي جُبل عليها بعد كمٍّ المجاملات والكلمات الحماسية والعبارات الرنَّانة والوعود المستحيلة، وهلُمَّ جرًّا.

ففي فترة الخطوبة -كما لا يخفى - لا يظهر المعدن الحقيقي لمن يتقدَّم إليك بالزواج، بل يتجمَّل ويتأنَّق لترضي به زوجًا، إلا من رحم ربي ممن رأى في الصدق مفتاحَ الفلاح والصلاح، وأبى التدليس والنفاق، وهم قلَّةٌ في زمن الغربة عن الدين الذي صار فيه الكذب صفةً حميدةً، والادِّعاء بالعلم والجاه والغنى، وغير ذلك مما يبتغيه أصحابُ القلوب المريضة - هو جواز القبول أو الرفض من أولياء الأمور، ومن كثير من النسوة الغافلات عن دينهن اللواتي غرَّتهن زينة الحياة الدنيا، وقد أوصى نبينا صلى الله عليه وسلم الرجلَ والمرأةَ بحسن الاختيار على أساس الدين والخلُق الحسن، وفيهما الكفاية لحياة زوجية سعيدة، تقوم على تعاليم الشرع، كما لا يخفى.

وعلى كل حال، فقد صار زواجُك أمرًا مقضيًّا بعد عقد النكاح، وصار من رضيت به زوجًا لك على شرع الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، له عليك حقوق، كما لك عنده حقوق.

ومن الخطأ وضعف الإيمان أن نعتبر الزواج لسبب من الأسباب بلاءً ونقمةً، بل هو ورب الكعبة نعمةٌ وآيةٌ من آيات الله، وهو راحةٌ للجسم والقلب، واستقرارٌ للحياة والمعاش، ومنبع المودة والرحمة، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط، فكوني راضيةً بقضاء الله، واعلمي أن الحياة الزوجية لا تقوم على الحب وحده، بل على الاحترام، وتحمُّل المسؤولية، وهي حياة ليست سعادة دائمة، ولا شقاءً دائمًا، بل هي بين هذا وذاك!

ابنتي العروس الغالية، حفظك الله أوصيك:

إن دخل بك زوجك، فكوني له مُذكِّرةً وناصحةً، فقولي له: ألن تضع يدك على ناصيتي كما أمر حبيبنا صلى الله عليه وسلم وتقول: "اللهم إني

أسألك خيرَها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرّها ومن شرّ ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيرًا فليأخذ بذِروة سَنامه، وليقل مثل ذلك"-1-، ثم تصلي بي إمامًا ركعتين شكرًا لله تعالى على نعمته وكرمه.

ابنتي العروس حفظك الله، أوصيك أن تكون الأيام السبعة الأولى من زواجك إن كنت بكرًا، أو الأيام الثلاثة الأولى إن كنت ثيبًا كما أوصى نبيُّك، فعنعن أنسٍ قال: "مَن السنة إذا تزوّج الرجل البكر على الثيب، أقام عندها سبعًا وقسم، وإذا تزوج الثيب على البكر أقام عندها ثلاثًا ثم قسم".-2-

وأوصيك أن تجعليها خطةً قصيرة المدى؛ ليرى شريكُ عمرك ورفيق دربك مِن عبير كلماتك ودلالك وأنوثتك ما هو به جدير، كوني له زوجةً مُحبةً وأختًا ناصحةً، وأمًّا عطوفًا، وابنةً لا تجادل ولا ترفض، ولكن تسمع وتطيع، ما لم يكن في معصية الله تعالى.

•ابنتي العروس الغالية حفظك الله.
كوني لزوجك فقيهةً، تأمرينه بالصلاة على وقتها، والمحافظة على ترتيله للقرآن؛ لأنه حياة القلوب، فإن ماتت القلوب خربت البيوت.

ابنتي العروس حفظك الله:
عليك أن تعاهدي زوجك بالسمع والطاعة ما لم يكن في معصية الله، فقد أوصاك الحبيب صلى الله عليه وسلم: "لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها".-3-

وطاعة زوجك أَولى من أداء النوافل، فاستأذنيه إن أردت الصلاة أو الصيام، فلا يصحُّ صيامُك أو صلاتك لنوافل الطاعات إلا بإذنه، وتذكري قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه".-4-

ابنتي العروس حفظك الله:
لا تنسَي عند العلاقة الحميمة هذا الدعاء: "باسم الله، اللهم جنّبنا الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنا"، فقد قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: "فإنه إن يُقدَّر بينهما ولدٌ في ذلك، لم يضرَّه شيطان أبدًا"-5-.

وحذارِ من رفض دعوة الزوج إلى الفراش، اللهم إلا لمرض أو حيض، ويجوز لكما في فترة الحيض الاستمتاع دون الجماع، وتذكَّري قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فلم تأته فبات غضبانَ عليها، لعنتها الملائكة حتى تُصبح".-6-

وإياك وإفشاء أسرار الزواج والفراش بينكما، فذلك يُفسد زواجك، ولا تأمني غدره؛ لأنك أطعت الشيطان، بل أصبحت أنت شيطانة، وتذكَّري قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: "عسى رجل يحدث بما يكون بينه وبين أهله، أو عسى امرأة تحدث بما يكون بينها وبين زوجها، فلا تفعلوا، فإن مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في ظهر الطريق، فغشيها والناس ينظرون".-7-

ابنتي العروس حفظك الله:
إن كنت قادرةً ماليًّا فلا تبخلي على زوجك وبيتك، فهما أَولى من غيرهما، وتذكَّري قول نبيك صلى الله عليه وسلم: "دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبةٍ، ودينار تصدَّقت به على مسكينٍ، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك".-8-

نعم، الإنفاق مسؤولية الزوج، ولو كانت الزوجة تعمل، ولكن لعلَّ الله تعالى يبارك لك في مالك وبيتك وزوجك، ولا يغيب عنك قولُه تعالى لمن ينفق ابتغاء مرضاته :(وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) -الرعد: ٢٢-.

ابنتي العروس حفظك الله:
كوني لزوجك ناصحةً ومربيةً في الحث على صلاة الفجر في وقتها وغيرها من الصلوات لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رحِم الله رجلًا قام من الليل فصلى، ثم أيقظ امرأته فصلَّت،

فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحِم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء".-9-

ابنتي العروس حفظك الله:
إليك سرّ النجاح في العلاقة الزوجية، وإدخال السعادة على الزوج، عليك بكلمة طيبة أو بهدية رمزية قيمة، والصبر على أذيّته، والتماس العذر له، ولك في رسولك أُسوة حسنة، فعن عائشة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنني لأعلم إذا كنت عني راضيةً، وإذا كنت عليّ غَضبى"، قالت: وبمَ تعرف ذلك يا رسول الله؟ قال: "إذا كنت عني راضية، فحلفتِ قلت: لا وربِّ محمد، وإذا كنت عليّ غضبى، قلتِ: لا وربِّ إبراهيم"، قلت: أجل، ما أهجر إلا اسمك.-10-

وعند غضبه وأذيّتك بما لا تحبِّين، كوني صابرةً حليمةً؛ فهو قطعًا لا يقصد أذيتك، وتذكَّري حديث أمِّنا عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيركم لأهلي.-11-)

ابنتي العروس حفظك الله:
زوجك جنَّتُك ونارُك، كوني له نعم الزوجة في بيته، وأكرمي مثواه، وليكن بيتك نظيفًا أنيقًا، طيب الرائحة؛ ليشعره بالراحة والسكينة، وتجمَّلي والبسي أجمل الثياب التي يحب رؤيتك فيها، وخارج بيتك احفظي نفسك وعرضه، وأرضِي ربَّك بلُبس الحجاب.

ابنتي العروس حفظك الله:
كوني حريصةً على نيل رضا أهل زوجك، وإن قطع زوجك رحمه فذكِّريه بثواب صلة الرحم وأنت غاضبة، وأظهري الاحتفاء بهم إن حضروا لبيتك، وأجيبي دعوتهم، واحضري مناسباتهم إن طلبوا ذلك، ولا تعيبي على أحدٍ منهم بسوء أمام زوجك؛ فيُغَمّ قلبُه، ويَزيد همُّه وغمُّه.

ابنتي العروس حفظك الله:
لا تنشغلي عنه في وجوده، واعملي أعمالك المنزلية في غيابه، ولا تكثري من مكالماتك الشخصية مع صواحبك وتُهمليه؛ فرضاه من رضا ربِّك، وابتسمي دومًا في وجهه، وسارعي باستقباله في الدخول، أو

بتوديعه عند الخروج من المنزل؛ ليشعر باهتمامك وشوقك، فيحرص على العودة اشتياقًا إليك وحبًّا لقربك، ولك ثواب الله تعالى، فقد أوحى لنبيه أن يقول: "وحصَّنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت".-12-

وختامًا تذكَّري أن بيتك وزوجك هما مسؤوليتك أمام الله تعالى؛ فكوني خيرَ راعية لهما، وتذكَّري وصية نبيك صلى الله عليه وسلم: "كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤول عن رعيته".-13-

وأسأل الله تعالى أن يعينك لما يحبُّه ويرضاه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وبارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير.

-1-صحيح الجامع للألباني ح/ ٣٤٢.
-2-أخرجه البخاري/5214 .
-3-السلسلة الصحيحة ح/ ١٢٠٣.
-4-أخرجه البخاري ح.5192 /
-5-أخرجه مسلم ح/ ٣٦٠٦.
-6-أخرجه مسلم ح/ ٣٦١٤.
-7-صحيح الجامع برقم/٤٠٠٨.
-8-أخرجه مسلم ./995
-9-صحيح سنن النسائي للألباني، ح/ ١٦١٠.
-10-أخرجه مسلم ح/ ٦٤٣٨.
-11-صحيح الترغيب للألباني ح/ ١٩٢٤.
-12-صحيح الجامع /303 – 660
-13-أخرجه البخاري./2409
رابط الموضوع
https://www.alukah.net/social/0/122193/

١٦

وسطية الإسلام وأصوله الشرعية

إنَّ الحمد لله نحمده، وتَستعينه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرُور أنفُسِنا، وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أمَّا بعد:

وسطية الإسلام، ومناسبتُه للفطرة الإنسانية في كل عصر ومصر: أمرٌ جليٌّ كما سوف نُبيّنه في السطور التالية؛ لأنه ببساطة الدينُ الذي يُناسِب فطرةَ الإنسان، ويُحرّر عقلَه ووجدانه إلى آفاق عالية من السموّ والرقي والحرية التي تُشعِرُه بآدميته، وحقه الذي لا يتعارض مع حقوق الآخرين في المجتمع الذي يعيش فيه، ويكون عاملَ بناءٍ لا مِعْولَ هدمٍ، يزرع ويحصد، لا يُدمِّر ويُخرّب.

وهو دين الفطرة؛ لأنه الدينُ الذي ارتضاه الله لعباده، ولا يقبل غيرَه؛ لأنه ناسخٌ لما قبله من الأديان، ومهيمنٌ عليها، اختاره الله دون سائر الأديان كرسالةٍ خاتمة للبشرية، واصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وختم به النبوة والرسالة، ويدل على ذلك قوله تعالى :(إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) -آل عمران: ١٩-، وقوله تعالى :(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) -آل عمران: ٨٥-.

قال السعدي رحمه الله في بيان الآية ما نصه: أي: مَن يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعملُه مردودٌ غيرُ مقبولٍ؛ لأن دين الإسلام هو المتضمِّن للاستسلام لله إخلاصًا، وانقيادًا لرسله، فما لم يأتِ به العب،د لم يأتِ بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وكلُّ دين سواه فباطل؛ ا هـ-1-

قلت: والقرآن والسُّنة للمتأمِّل المتعمِّق يجد جوهر الوسطية ولبَّها ظاهرًا لكل ذي عين في آيات الله البيّنات، وسنةِ رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة.

ولا نبالغ ألبتة عندما نقول بيقين: الوسطية خصيصةٌ لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم يُبيّن ذلك؛ فقد قال تعالى :(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) -البقرة: ١٤٣-.

ولأننا نريد بيان حقيقة وسطية الإسلام بالأدلة الشرعية والتجارب الإنسانية، ولا يكون الكلام على عواهنه؛ وإنما نريد من مقالتنا تلك أن نقنع من لا يُدرك وسطية إسلامنا، ومناسبته للفطرة السوية والحياة الإنسانية في كل عصر ومصر.

ولا يخفى على اللبيب أن مظاهر الوسطية والاعتدال في القرآن والسُّنة الصحيحة كثيرةٌ في كل ما يتعلّق بالإسلام من عقائد وأحكام، وعبادات ومعاملات... إلخ، ولكننا سنكتفي في هذه العجالة ببيان أصول وسطيته من أحكام تتعلّق بحياة الإنسان وحريته وعبادته لله تعالى في أي مجتمع من المجتمعات في كل عصر ومصر، وسنرى مثاليَّته ووسطيته، وأنه حقًّا الدينُ الخاتم والصالح للبشرية جمعاء.

وبسبب هذه المثالية ذهب "توماس كارليل" إلى التعجُّب من الهجوم على شريعة الإسلام في كتابه "محمد المثل الأعلى"، فقال ما نصه: "لقد أصبح من أكبر العار على أيّ فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يُصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا خدّاع مُزوّر، وآن لنا أن نحارب ما يُشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة، فإن الرسالة التي أدّاها ذلك الرسول ما زالت السراجَ المنيرَ مدة اثني عشر قرنًا لنحو مائتي مليون من الناس-2-، وخلقهم الله الذي خلقنا.

أفكان أحدكم يظنُّ أن هذه الرسالة التي عاش بها، ومات عليها هذه الملايينُ الفائقة الحصر والإحصار - أكذوبةٌ وخدعة؟!

أما أنا، فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثلَ ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بله ومجانين."

قلت :ونزيد عن ذلك ونقول: لا يخفى على كل من له بصيرة إيمانية، أن الشريعة الإسلامية فيها مقوّمات وأصول ودعائم نجاحها من نصوص الوحيين، وهي ليست من وحي الشيطان والهوى الذي يصدُّ الإنسان ويُبعِده عن الحق، وهذا واضح جليٌّ؛ فهو يختصر المسافات والخطوات للمجتمعات المتعطِّشة للمثالية والوسطية التي يؤيّدُها وحيُ السماء، فتجمع بين رضا الربِّ جل في علاه ومقومات النفس البشرية.

أصول وأسس وسطية الإسلام:

وبادئ ذي بدء، نقول بكل قناعة من خلال التأمُّل والتدبُّر للقرآن والسنة، وما فيهما من نصوص صريحة في جملتها تدلُّ بوضوح على أن وسطية الإسلام ومفهومه الذي ذكرناه سلفًا - سواء ما يخصُّ الفقه، أو المعاملات، أو العبادات، أو غير ذلك - تقوم على ثلاثة أعمدة رئيسية، لا يتَّصف أي عمل أيًّا كان نوعه بالوسطية دون هذه الأعمدة، وإن شئت فقل: الأصول التي يكون هذا العمل نابعًا حقًّا من وسطية الإسلام، ولا يخرج عن إطار الشريعة وروحها، ولا يمنع هذا ألبتة من وجود أصول أخرى يراها البعض، ولكن هذه الأصول الثلاثة هي أهمها من وجهة نظرنا، وها هي بشرح وجيز والله المستعان:

الأصل الأول :أن يكون العمل غيرَ مخالفٍ للنصوص الشرعية الصحيحة الصريحة من القرآن والسنة ودون تأويل فاسد؛ لقوله تعالى :(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) -الأحزاب: ٣٦-.

- وفي السنة الصحيحة قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا ما إن تمسَّكتم بهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردَا عليّ الحوض".-3-

ومثال على ذلك: الصلاة والصيام، والزكاة والصدقة، وإكرام الجار، وقيام الليل، وما أشبه هذا من الأوامر والطاعات في القرآن والسنة، فكلُّها لها أصلٌ ونصٌّ شرعيٌّ معتبر.

الأصل الثاني :أن يكون العمل له مُسوّغ شرعي، وحسب الأصول الشرعية والمصادر الفقهية المعتبرة عند أهل العلم، وهي: إما قرآن أو سنة أو إجماع أو قياس صحيح، وليس عن هوى مُضلّ كاذب.

قال تعالى :(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) -الحشر: ٧-.

•وقال تعالى :(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) -آل عمران: ٧-.

ومثال على ذلك الإفتاء والقول على الله بغير علم أو مستند شرعي من هذه الأصول على ترتيبها المذكور آنفًا.

•قال العلّامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله في فتوى له ما مختصره: "يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قال عليّ ما لم أقل، فليتبوّأْ مَقْعَده من النار"-4-، فالواجب على الإنسان أن يتحرّى العلم ويتحرّى الدليل حتى يُفتي على بصيرة ولا يُفتي على الله بغير علم، فالمقصود أن العلم دين، والفتوى دين؛ فلا بد أن الإنسان يتقيد بما أوجب الله عليه، لا يُفتي بغير علم، بل يتحرّى وينظر في الأدلة في الكتاب والسنة، ويُفتي على ضوء الكتاب والسنة، وإلا فليرشدهم إلى غيره، ولا يجوز أن يقول على الله بغير علم، الله سبحانه يقول :(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) -الأعراف: ٣٣-، فجعل القول عليه بغير علم فوق مرتبة الشّرك؛ لما يترتب على القول على الله بغير علم من الفساد الكبير، والشر العظيم، وقد يبيح ما حرّم الله، وقد يوجب ما لا يوجبه الله، وقد يقع في شرور كثيرة، وأخبر جل وعلا في آية أخرى أن هذا من أمر الشيطان :(إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ)؛ أي: الشيطان، (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) -البقرة: ١٦٩-، فالواجب على طالب العلم أن يتحرّى الحق، وأن يحذر من القول على الله بغير علم، وإذا كان لا يستطيع ذلك فليرشدهم إلى غيره، ولا يتكلم ولا يقول على الله بغير علم، نسأل الله السلامة؛ ا هـ.-5-

الأصل الثالث :أن يكون العمل وسطًا بلا إفراط أو تفريط فيه..
ومما يدل على ذلك قوله تعالى :(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) -الإسراء: ٢٩-.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلوّ في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين".-6-

فإن كان العمل فيه إفراط في الدين أو تفريط فيه فهو أبعد عن الوسطية قطعاً إلا ما أباحته الشريعة من غير حد فهو تفريط مطلوب شرعاً وكذلك ما قيدته بحد فينبغي ألا يتعداه لأن أمور العبادات كلها توقيفية ولا مجال فيها للقول على الله بغير دليل فتلك الأعمال استثناء في هذا الأصل طالما يؤيدها النص من القرآن والسنة وليس على هوى متبع كاذب.

• ومثال ما أباحته الشريعة من غير حدٍّ: ذكر الله تعالى بالتسبيح والتهليل والتكبير؛ لقوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) -الأحزاب: ٤١، ٤٢-.

• وما قيَّدته الشريعة: النهي عن الصدقة بأكثر من الثلث؛ لما رُوي عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، أنا ذو مالٍ، ولا يَرثني إلَّا ابنةٌ لي واحدة، أفأتصدَّق بثُلُثي مالي؟ قال: "لا"، قلت: أفأتصدَّق بشَطره؟ قال: "لا"، قلت: أفأتصدَّق بثُلُثه؟ قال: "الثُّلُث، والثُّلُث كثير؛ إنَّك أنْ تَذَرَ ورَثتك أغنياءَ، خيرٌ من أن تَذَرهم عالةً يتكفَّفون الناس".-7-

هذه الأصول الثلاثة فيما أرى تُبيّن طبيعة الأعمال ووسطيتها، وهي الخطُّ الفاصل بين الاجتهاد الشرعيِّ للأمور المستحدثة، والذي يأخذ بيد الأمة إلى التكيُّف مع الواقع الجديد من منظور شرعيٍّ ملائم للعصر، الذي ندعو إلى انتهاجه من علمائنا الثقات الفقهاء؛ حتى لا يُصاب الناس بالحيرة أمام ما يستجدُّ من أمور لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ولا يدرون أحلال هي أم حرام، ولا نترك الساحة لخطباء الفتنة الذين أدمنوا الاجتهاد

القائم على الهوى، وتحكيم العقل الذي يخرجنا عن الشريعة الربانية ووسطيتها وجوهرها وروحها، وينسفها نسقًا، وشتان الفارق بينهما.

والمفكر الإسلامي الفرنسي" روجيه جارودي "يرى هذا الأمر ويدرك أهميته، فقال في كتابه القيّم "الإسلام والقرن الواحد والعشرين" ما نصه: "إن الاجتهاد هو الشرط الأساس للنهضة، وهو معرفة تمييز الأولويّات، والخروج من ظلام "التقليد"، واتّباع التوحيد انطلاقًا من القرآن" الوحي الإلهي"، ومحاربة الوثنيات المعاصرة من علمانية، وتقديس التقنية التي تتخلّص من السؤال" لماذا"، وهو السؤال عن الهدف والمعنى، وهذه المذاهب وضعت في خدمة الازدياد الأعمى وإرادة القوة، وقادتنا إلى انتحار كوكبي، وكذلك محاربة وثنيات الدولة والمنفعة والنظم الأيديولوجية التي تُبرّر تلك الوثنيات"، ثم أضاف في مقطع آخر من كتابه سالف الذكر: "لماذا لا تشرق تلك الشريعة، وهذا القانون الإلهيُّ اليوم على العالم؟!

لماذا تظل الشعوب المسلمة حتى التي حرّرت من الاستعمار شيئًا وليست فاعلًا كاملًا ومؤثرًا في التاريخ؟! لماذا لا يعطون القدوة في المبادرة التاريخية؟!

لأن هذه الشريعة، وهذا القانون فُرّغ من مضمونه، وتوقّف عن التطوُّر الحي منذ القرون الأولى من تاريخه.

لأننا نقرأ القرآن بأعين الموتى، بأعين أولئك الذين كانت لديهم عبقرية لحل مشاكل عصرهم من خلال الوحي الخالد للقرآن، ولا يمكننا أن نحل مشاكلنا إن اكتفينا بترديد ما قالوه فقط، ولكن باستلهام مناهجهم، فلنرجع إلى المنابع الأولى، لا يعني ذلك الدخول إلى المستقبل بتقهقر، فعيوننا على الماضي، ولكننا نبحث عن المصدر الحي والفاعلية الخلاقة للإسلام "المبكر"، "فالشريعة" ليست بركةً راكدةً ننزح منها الماء الآسن"؛ ا هـ-8-

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وآله وصحبه أجمعين، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

1-انظر: "تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان"؛ لعبدالرحمن بن ناصر السعدي (ص: ١٣٧)؛ الناشر: مؤسسة الرسالة؛ تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق؛ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

2-قلت: تُشير بعض الإحصائيات التي تم نشرها مؤخرًا عام ٢٠١٥ م عن وصول نسبة تعداد المسلمين حول العالم إلى ١,٥٧ مليار مسلم، وهذه النسبة في زيادة مستمرة بصورة كبيرة، ولله الحمد والمنة!

3-انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته "الفتح الكبير" (برقم: ٢٩٣٧)؛ لمحمد ناصر الدين الألباني؛ نشر المكتب الإسلامي؛ دمشق؛ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

4-انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته "الفتح الكبير" (برقم/١١١٠٦)؛ لمحمد ناصر الدين الألباني؛ نشر المكتب الإسلامي؛ دمشق؛ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، وهو جزء من حديث الصحيحين بلفظ: "ومَنْ كذَب عليّ مُتعمِّدًا، فَلْيَتبوَّأْ مَقْعَده من النار".

5-انظر فتاوى نور على الدرب؛ للعلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله على موقعه بعنوان "حكم الفتيا بغير علم"

6-انظر صحيح الجامع الصغير (برقم/٤٤٤٥)؛ لمحمد ناصر الدين الألباني؛ نشر المكتب الإسلامي؛ دمشق؛ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

7-انظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه "صحيح البخاري" (برقم/٦٣٧٣)؛ لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي؛ تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر؛ نشر دار طوق النجاة؛ بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

8-الإسلام والقرن الواحد والعشرين؛ شروط نهضة المسلمين (ص:٨٣)؛ روجيه جارودي؛ ترجمة كمال جاد الله؛ نشر الدار العالمية للكتب والنشر؛ القاهرة؛ لا توجد سنة الطبع.

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أن شاء الله